يقظة المسلمين في الشيشان
و روسيا

دكتور مصطفى محمد رمضان
رئيس قسم التاريخ والحضارة بجامعة
الأزهر

الفصل الأول

تمهيد

المسلمون في روسيا

لقد استولت روسيا على عدد كبير من البلاد الاسلامية واستعمرتها أسوأ استعمار وعرف الاستعمار الروسى بأنه أبدى لأن المناطق التى كان يستولى عليها الروس يستعملون فيها طريقة القضم والهضم أي أنهم كانوا كلما قضموا إقليما قاموا بهضمه تماما على الطريقة الروسية وهى طريقة تهجير أهله منه الى أسوأ مناطق سيبريا مناخا لكى يهلكوا فيها ثم يستوطنون المكان بعد طرد أهله بالمستوطنين الروس وهكذا الى أن تنمحى شخصية البلاد التى استعمروها تماما.

وكانت مناطق المسلمين في حوض نهر الفلجا من المناطق التى استولى عليها الروس ، وكان الاسلام قد انتشر فيها على فترتين :

الأولى : في بداية القرن الرابع عشر الهجرى (١٠م) حين انتشر الاسلام في منطقة الفلجا بين قبائل ((البلغار)) نتيجة جهود التجار والدعاة .

والثانية : في منتصف القرن السابع الهجرى (منتصف القرن ١٣م) حين انتشر بين التتار حيث اعتنقته القبائل الذهبية التى استقرت في المناطق الشرقية والجنوبية في حوض الفلجا .

ولا تزال آثار الاسلام قوية في عدد من الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتى في حوض الفلجا وهى :

-١جمهورية بشكيريا. ٢-جمهورية تتارستان .
-٣جمهورية الجوفاش. ٤-جمهورية موردوف.
-٥جمهورية أدمورت. ٦- جمهورية شكالوف(أورنبرج).

وكذلك توسع الروس في منطقة القوقاز ، وهى التى دخلها الاسلام في عهد مبكر منذ عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وزادت قوة الاسلام بها على مر الزمن وخاصة في فترة قوة الدولة العثمانية [١] .

ولا تزال آثار الأسلام قوية في منطقة القوقاز الشمالية التابعة لجمهورية روسيا الاتحادية حيث توجد بها أربع جمهوريات ذات استقلال ذاتى وولايتان ذات استقلال ذاتى أيضا وهى :

-١ جمهورية طاغستان . ٢- جمهورية الشيشان والأنجوش .

-٣ جمهورية كباردينا - بلغار. ٤- جمهورية أوستيا الشمالية .

-٥ ولاية قرتشاى الشركسية . ٦- ولاية بلاد الأديجة .

وبالأضافة الى المسلمين في سيبريا التى انتشر فيها الاسلام في وقت مبكر على يد التتار التجار المنتشرين في حوض الفلجا والمسلمين المهاجرين اليها .

كما وصل التتار أيضا الى شبه جزيرة القرم التى كانت تابعة للأتحاد السوفيتى وهى الآن جمهورية ذات استقلال ذاتى داخل جمهورية أوكرانيا الاتحادية ونسبة المسلمين بها حوالى ٧١% . [٢]

ولا تكاد تخلو مدينة كبيرة في روسيا مثل موسكو وأركانجسك واستراخان وسان بطرسبرج وغيرها من عدد من المسلمين مستقرين فيها وبخاصة في المناطق الجنوبية الشرقية من روسيا الاتحادية على السواحل الشمالية الشرقية للبحر الأسود وسواحل بحر آزوف .

---

[١] البلدان الأسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ، تأليف د. محمد غلاب و د. حسن عبد القادر ، ومحمود شاكر ، نشر جامعة الأمام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض بالسعودية ١٩٧٩م بمناسبة انعقاد المؤتمر الجغرافى الاسلامى الأول بالجامعة .

[٢] المرجع السابق ، ص ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٥١ .

جدول عام للمسلمين في جمهورية روسيا الاتحادية

الجمهورية أو الولاية ذات الحكم الذاتى	عدد سكانها	عدد المسلمين بها	النسبة
جمهورية بشكيريا	٤,٠٠٠,٠٠٠	٢,٤٠٠,٠٠٠	٦٠٪
جمهورية تتارستان	٣,٥٠٠,٠٠٠	٢,٢٧٥,٠٠٠	٦٥٪
جمهورية الجوفاش	١,٥٠٠,٠٠٠	٨٧٠,٠٠٠	٥٨٪
جمهورية موردوف	١,٢٥٠,٠٠٠	٦٨٧,٥٠٠	٥٥٪
جمهورية أدمورت	١,٠٠٠,٠٠٠	٦٠٠,٠٠٠	٦٠٪
جمهورية مارى	١,٠٠٠,٠٠٠	٥٢٠,٠٠٠	٥٢٪
جمهورية شكالوف أورنبرج	٢,٠٠٠,٠٠٠	١,٠٦٠,٠٠٠	٥٣٪
جمهورية القرم	٧,٠٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠	٧١٪
جمهورية سيبريا	١٠,٠٠٠٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠	٢٥٪
جمهورية طاغستان	٢,٠٠٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	٧٥٪
جمهورية الشيشان والأنجوش	١,٥٠٠,٠٠٠	١,١٠٠,٠٠٠	٧٤٪
جمهورية كبارديابلغار	٧٥٠,٠٠٠	٥٦٢,٥٠٠	٧٥٪
جمهورية أوستينا الشمالية	٦٠٠,٠٠٠	٣١٨,٠٠٠	٥٣٪
ولاية قرتشاى الشراكشة	٥٠٠,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠	٨٠٪

ولاية بلاد الأديجة	٥٠٠,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠	٨٠٪
جهات أخرى متفرقة	ـ	١٠٠,٠٠٠	ـ
المجموع		٢٠,٢٩٣,٠٠٠	

ويتضح من هذه الأحصائية حسب أحصاء عام ١٩٧٠م أن عدد المسلمين في جمهورية روسيا الأتحادية يقارب عشرين مليونا ونصف المليون ، فهم يؤلفون ١٥,٥% من مجموع سكان روسيا البالغ عددهم ١٣٠مليونا .[1]

دخول الأسلام :

وكان الأسلام قد دخل في أراضى روسيا الاتحادية على مراحل متباعدة ،ففى (منطقة القوقاز)كان الاسلام قد دخلها في وقت مبكر في القرن الأول الهجرى على أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في مناطق القوقاز الجنوبى شمال فارس (إيران) مثل أذربيجان وجورجيا وأرمينية على يد (حذيفة بن اليمان) سنة ١٨هـ ومن بعده عياض بن غنم سنة ١٩هـ و (عتبة بن فرقد السلمى) وسليمان بن ربيعة .

وقد صالح عتبة بن فرقد أهل أذربيجان وأعطاهم أمانا ذكره الطبرى في كتابه ويعتبر هذا الأمان مثالا لعدل الاسلام وسماحته مع الأمم المغلوبة ونثبت فيمايلى ليرى القارىء الفرق بين سماحة الاسلام وعدله وما فعله الروس بعد ذلك من ظلم ووحشية مع سكان هذه البلاد :

)) بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان - سهلها وجبلها وحواشيها وشغارها وأهل مللها - كلهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ، على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ، ليس على صبى ولا أمرأة ولا في زمن ليس في يديه من الدنيا شىء لهم ذلك ولمن سكن معهم ، وعليهم قرى المسلمين ، من جنود المسلمين

---

[1] المرجع السابق ص ٧٥١ .

يوما وليلة ودلالته ، ومن حُشر(حُسر) في سنة (أى لم يستطع الدفع في ذلك العام) وضع عنه جزاء تلك السنة (ترفع عنه الجزية) ومن أقان فله مثل ما لمن أقم من ذلك ، ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ الى حرزه [١])) كتبه جندب وشهد بكير بن عبد الله الليثى وسماك بن خرشة الأنصارى ، بتاريخ ١٨هـ .

ودخل الأسلام الى القوقاز الشمالى شمال أذربيجان في سنة ٢٢هـ في خلافة عمر بن الخطاب أيضا وهى منطقة طاغستان وعاصمتها باب الأبواب (دربند) والشيشان والأنجوش في غربها ، وأسكنها ناسا من العرب من أهل العطاء والديوان [٢] .

فقد توجه اليها (سراقة بن عمرو) ، ومعه عبد الرحمن بن ربيعة وحبيب بن مسلمة ، واستمر الفتح في أيام عثمان بن عفان وكانت هذه البلاد تتنازعها أديان عديدة مثل البوذية والزرادشية والمانوية والمسيحية قبل مجيء الاسلام [٣].

وفي العهد الأموى توطد الاسلام بهذه المناطق على يد رجال أمثال (حبيب بن مسلمة) و (محمد بن مروان) وابن أخيه (مسلمة بن عبد الملك) وبذلك دخل الاسلام في هذا العهد يتوسع الى القوقاز الأعلى في طاغستان والشيشان والأنجوش وأوستين الشمالية وانتقل اليهم بعض القبائل العربية والأشراف .

وانتشر الاسلام سلميا في المرحلة التالية للفتوح في القرون التالية للقرن الأول الهجرى ، وهى القرون الثانى والثالث والرابع والخامس والسادس وذلك عن طريق التجار والدعاة النشطين ، وسلك الانتشار السلمى للأسلام الطريقين الرئيسين للتجارة الدولية :

الأول : طريق الفراء من الجنوب الى الشمال على طول نهر الفلجا .

---

[١] محمد بن جرير الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ،ج٤ ص١٥٥ طبعة لبنان وانظر : أحمد بن يحيى البلاذرى ، فتوح البلدان ص ٤٠٠ ـ ٤٣٠ .

[٢] اللاذرى ، فتوح البلدان ،ص٤٠٣ .

[٣] المسلمون المنسيون في الأتحاد السوفيتى ، مجلة الأسبوع العربى عدد٨/٢/١٩٨٢م.

الثانى : طريق الحرير من الغرب الى الشرق أى من البحر الأسود الى الصين .

فمنذ القرن الثانى حمل التجار والدعاة العرب معهم الدين الاسلامى الى مناطق نهر الفلجا ومملكة البلغار القائمة على المجرى المتوسط لهذا حيث مناطق التتار حاليا ، ومع انتهاء القرن الثالث والرابع كانت المنطقة في معظمها وقفا على الاسلام ، وانطلق في القرنين التاليين ليعبر جبال الأورال ويمتد الى بلاد البشكير ، وبفضل التجار المسلمين عربا كانوا أم فرسا أم أتراكا من وسط آسيا تسرب الاسلام أيضا الى سهوب بلاد قاراقستان شمال نهر سيحون (سرداريا) ومنها صعد الى جبال قيرغيزستان حتى وصل الى تركستان الشرقية (سين كيانج)[١] التابعة للصين الآن .

الأسلام في روسيا في العصر المغولى[٢] :

دخل الاسلام على نطاق واسع في مناطق الفولجا والقوقاز وغيرها من المناطق التابعة لروسيا الآن منذ سيطرة المغول على هذه المناطق في عهد الملك المغولى المسلم (بركة خان) بن جوجى ابن جنكيزخان زعيم (القبائل الذهبية) .

فما هى قصة هذا التحول الإسلامى للمغول ؟ إنها قصة جديدة بأن تروى. ذلك لأنها قصة الصراع بين الضلالة والهدى وبين البداوة والحضارة وبين الوثنية والوحدانية قصة حمد فيها الاسلام أمام وثنية البداة وكانت مثار اعجا لمؤرخى الغرب والمؤرخ الانجليزى توماس أرنولد يقول :

)) لكن لم يكن بد أن ينهض الاسلام من تحت أنقاض عظمته الأولى وأطلال مجده التالد ، كما استطاع بواسطة دعاته أن يجذب

---

[١] المرجع السابق نفس المكان .

[٢] كان الشائع في البداية أسم التتار ، ولم يظهر اسم المغول حتى القرن العاشر الميلادى (٤هـ) ومن المرجح أنه أطلق على تلك التى انضوت تحت لواء زعيم إحدى قبائلهم ، وكان يحمل ذلك الاسم ثم أخذ لنفسه السيادة على بقية العشائر المتحالفة ، ومن ثم أطلق اسم البعض على الكل أى من باب اطلاق اسم البعض على الكل ، وبصفة عامة شاع اسم المغول في العالم الاسلامى بينما شاع اسم التتار في أوربا ، ويطلقه الأوربيون على جميع الشعوب التركية ، وهو مرادف للترك عندهم .

أنظر : توماس أرنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص٢٤٨ - ٢٤٩ وابن الأثير في حوادث سنة ٦١٧هـ.

أولئك الفاتحين والمتبربرين ويحملهم على اعتناقه ، ويرجع الفضل في ذلك الى نشاط الدعاة من المسلمين [1])) .

صمود الاسلام :

كانت غارات المغول أفظع كارثة حلت بالعالم الاسلامى بل بالانسانية كما قرر تلك الحقيقة المؤرخ عز الدين بن الأثير في لهجة باكية مؤثرة في معرض كتابته عن تلك الأحداث سنة ٦١٧هـ (١٢٣٠م) فيقول :

)) لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها ، فأنا أقدم اليه رجلا وأؤخر أخرى فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الاسلام والمسلمين ؟ ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ؟ فياليت أمى لم تلدنى ، وياليتنى مت قبل حدوثها وكنت نسيا منسيا إلا أننى حثنى جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعا فنقول : ((ان هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقمت الأيام والليالى عن مثلها ، عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل : إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم والى الآن لم يبتل بمثلها لكان صادقا ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها وما يدانيها [1])) مع أنه لم يشاهد بغداد ومات قبلها .

ثم يستشهد بقول المولى عز وجل حين يقول : { وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من واق } .

ولكن لم يكن بد من أن ينهض المسلمون من كبوتهم معتمدين على تعاليم دينهم الراقى ، فاستطاع دعائهم أن يجذبوا هؤلاء الفاتحين المتبربرين الى اعتناق الاسلام ، ويرجع الفضل في ذلك الى نشاط الدعاة من المسلمين الذين لاقوا من الصعاب والعنت الشىء الكثير ، وتوماس أرنولد صاحب كتاب (الدعوة الى الأسلام) يقول : ((ليس هناك في تاريخ العالم الاسلامى نظير لذلك المشهد الغريب

---

[1] توماس أرنولد ، الدعوة الى الاسلام ،ص٢٥٠ .

[1] عز الدين بن الأثير ، الكامل في التاريخ ج٩ حوادث سنة ٦١٧هـ .

وتلك المعركة الحامية التى قامت بين البوذية والمسيحية والاسلام كل ديانة تنافس الأخرى لتكسب قلوب أولئك الفاتحين القساة الذين داسوا بأقدامهم رقاب أهل تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة والمبشرين في جميع الأقطار والأقاليم [٢])) .

وكان لدى المغول ديانة وثنية قديمة هى الشامانية ، كانوا يعبدون طائفة من الآلهة المنحطة وبخاصة تلك الآلهة الشريرة التى كانوا على رغم اعترافهم باله عظيم قادر لا يؤدون له الصلوات . وإنما يتقدمون الى آلهتهم الشريرة بالقرابين والضحايا لما كانوا يعتقدونه فيها من السلطان والقدرة على إيذائهم كما كانوا يعبدون أرواح أجدادهم القدامى التى كانوا يعتبرونها ذات سلطان عظيم على حياة أعقابهم ، ولكى يوفق المغول بين هذه القوى السماوية والعالم السفلى كانوا يلجأون الى رجال الدين الشامان والسحرة أو الى رجال الطب الذين كانوا يعتبرونهم ذوى نفوذ خفى وسلطان غريب على عناصر الموتى وأرواحهم ، ولم يكن دينهم يستطيع مقاومة الأسلام الذى يملك قوة الأقناع على يد دعاته.

ومن ثم تأثر المغول بالأسلام واذا كان المغول قد غلبوا العالم الاسلامى عسكريا فإن المسلمين غلبوهم عقائديا وثقافيا وتلقف المغول الاسلام وخدموه بعد ما أذلوه لكن هذا أخذ وقتا ، وجهدا من دعاة المسلمين .

وتنافس اتباع الديانات السالفة لتحويل المغول الى دينهم ولما هدأت ثائرة المغول الذين كانوا يدينون بالشامانية وتركوا التخريب والتدمير الذين أمتازات بها غزواتهم ظهروا بمظهر التسامح مع أهالى الديانات الأخرى فأعفوا قسيسيها ودعاتها من الضرائب كما منحوهم الحرية التامة في إقامة شعائرهم الدينية .

وكان السبق في البداية للمسيحية بسبب أن (جنكيز خان) تزوج من احدى بنات رئيس قبيلة مسيحية كانت تعيش جنوبى بحيرة بيكال ، على حين تزوج ابنة (أقطاى) من نفس هذه الأسرة وكانت القوى المسيحية في الشرق والغرب تتطلع الى المغول لمساعدتها

---

[٢] الدعوة الى الأسلام ، ص٢٥٠ .

في حروبها الصليبية مع المسلمين وكان ملك أرمينيا (هيتونHayton) المسيحى هو العامل الرئيسى في أقناع المغول بأرسال الحملة التى دمرت بغداد بقيادة هولاكو (١٢٥٦ - ١٢٦٥م) ٦٥٦هـ ومن ثم أعتنق كثير من المغول الذين أحتلوا بلاد أرمينيه وجورجيا الدين المسيحى . وتبادل الخان الأعظم والبابا الرسائل الودية ، وكان البابا يحث زعماء المغول على التحالف من أجل القضاء على الأسلام [1] .

ولكن ظهور الأختلافات الدينية المسيحية بين اللاتين والأغريق والنسطوريين والأرمن ، وامتدادها الى معسكر المغول ذاته قد جعل الأمل ضئيلا في احراز نجاح أكبر من ذلك النجاح ، وبينما كانت الطوائف المسيحية تتناصر فيما بينها كان الاسلام يوطد قدمه بين المغول ، وكانت البوذية قد أحرزت تقدما في مجال المغول الذين دخلوا بلاد الصين ، وبذلك أخفقت حركة التبشير التى قامت بها الأرساليات المسيحية بين المغول ، هذا بالأضافة الى سلوك دعاة المسيحية الأخلاقى الذين كانوا يشربون الخمر ويتصفون بالجشع والفسق وكان القساوسة يتاجرون بالمناصب الدينية ويجمعون الثروات من وراء تعليم طقوس الكنيسة ، ويؤثرون جمع المال على نشر تعاليم الدين .

وسرعان ما أبرم المماليك في مصر أيام قظز تحالفا مع (بركة خان) زعيم القبيلة الذهبية في الفلجا والقوقاز ونتج عنه تعاون عسكرى في معركة (عين جالوت) التى أنتصر فيها المماليك على المغول سنة ٦٥٨هـ واستمر على أيام الظاهر بيبرس (١٢٦٠ - ١٢٧٧م) وغيره من المماليك البحرية . هذا على الرغم من أن المسلمين كانوا قد قاسوا أكثر من غيرهم من تلك الأضطرابات التى صحبت غارات المغول وأن معظم هذه المدن التى كانت حتى ذلك الحين مجمع السلطة الدينية وكعبة العلم الأسلامى في القارة الأسيوية ، قد أصبح معظمها أطلالا دارسة ، حتى أن الفقهاء وأئمة الدين الأتقياء كان نصيبهم القتل أو الأسر ، وكان نصيب كل من

[1] المرجع السابق ، ص٢٥٤ ، وانظر أيضا : بارتولد ، العالم الاسلامى في العصر المغولى ص٥٨ - ٥٩.

يضبط وهو يذبح ما أحله الله من الحيوانات على الطريقة الأسلامية أن يقتل وعينوا مكافآت لكل من دل على من يذبح الحيوانات بهذه الطريقة .

وكان بركة خان قد تحول الى الاسلام منذ طفولته حيث عهد والده (جوجى بن جنكيز خان) بتربيته الى أحد مشايخ خوقند فقرأ القرآن وهو صغير ، ونشأ منذ طفولته على تعاليم الاسلام وقد قيل في سبب إسلامه روايه ذكرها توماس أرنولد : " إنه تلاقى يوما مع عير للتجارة آتية من بخارى ولما خلا بتاجرين منهم سألهما عن عقائد الاسلام فشرحاها له شرحا مقنعا أنتهى به الى أعتناق الاسلام والأخلاص له (1) " .

وكان جيش بركة خان كله مسلما وكانوا يؤدون الصلاة في أوقاتها ، ولم يكن في جيشه شخص واحد يتعاطى مسكرا وكانت الطبقة الراقية في بلاده تضم مشاهير العلماء من المفسريين والمحدثين والفقهاء وعلماء الكلام ، واستمر حكم بركة خان من سنة ٦٥٦- ٦٦٧هـ وتحول في أثنائها معظم أفراد القبائل الذهبية الى الاسلام .

وكان سلطان هذه القبائل المغولية يمتد من التركستان حتى روسيا وسيبريا وحكموا موسكو ذاتها ، وكانت دولتهم تشمل التركستان الشرقية والغربية وعاصمتها " قازان " في شمال نهر الفلجا وكانت مدينة " السرا " أو السراى عاصمة لهم بعد ذلك ، وكانت تسمى دولة التتار الشمالية .

وفي عهد بركة خان حدث تعاون بين المغول المسلمين من قوات بركة خان وبين قوات المماليك في مصر أيام السلطان سيف الدين قطز في حربهم ضد أبن عمه هولاكو في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ التى كانت نقطة تحول فاصلة بالنسبة لنظام المماليك

---

(1) الدعوة الى الاسلام ، ص٢٥٩ .

الذى لم يمض وقت طويل على تأسيسه ، وبعدها توطدت سلطة المماليك وزاد نفوذهم منذ تلك المعركة [٢] .
وقد زاد التقارب بين بركة خان والدولة المملوكية بإقامة تحالف رسمى سنة ٦٦٠هـ (١٢٦١م) وقبل بركة خان أن يكون تابعا للخليفة العباسى في القاهرة ، وعندما اتخذ بركة هذا القرار تخلى عن انتمائه للمجتمع المغولى الدولى ، هذا المجتمع الذى كان لايزال يؤلف امبراطورية مترامية الأطراف على رأسها (الخان الأعظم) ونظرا لذلك فإن اسم الخان الأعظم اختفى من على قطع العملة المسكوكة لدى القبائل الذهبية منذ عام ١٢٦٠م [١] .

وكان من سلاطين هذه الأسرة السلطان (محمد أوزبك) الذى آل اليه الحكم سنة ٧١٣هـ(١٣١٢م) وقد زار (ابن بطوطة) مملكتهم في عهد هذا السلطان (محمد أوزبك) ووصفها في رحلته ووصف مدينة (السرا) الواقعة على نهر الفلجا بقوله :

" ومدينة السرا من أحسن المدن متناهية في الكبر في بسيط من الأرض تغص بأهلها كثرة ، حسنة الأسواق متسعة الشوارع وركبنا يوما مع بعض كبرائها وغرضنا التطواف عليها ، ومعرفة مقدارها ، وكان منزلنا في طرف منها ، فركبنا منه غدوة فما وصلنا لآخرها إلا بعد الزوال ، فصلينا الظهر وأكلنا طعاما ، فما وصلنا المنزل إلا عند المغرب ، ومشينا يوما في عرضها ذاهبين وراجعين في نصف يوم ، وذلك في عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا بساتين ، وفيها ثلاثة عشر مسجدا لإقامة الجمعة أحدها للشافعية ، وأما سوى ذلك فكثير جدا ....[٢] "

" وقاضى هذه الحضرة (العاصمة) بدر الدين الأعرج من خيار القضاة وبها من مدرسى الشافعية الفقيه الامام الفاضل صدر الدين سليمان اللزكى (من الداغستان) وبها من المالكية شمس الدين المصرى ، وبها زاوية الصالح الحاج نظام الدين ، أضافنا بها

---

[٢] برتولد ، العالم الاسلامى في العصر المغولى ، ترجمة خالد أسعد عيسى ص٥١ - ٥٢ الطبعة الأولى ، نشر دار حسان ، دمشق في ١٩٨٢م .
[١] المرجع السابق ص ٥٣ .
[٢] محمد على البار ، المسلمون في الاتحاد السوفيتى ، ج١ ص٨٢ - ٨٤ .

وأكرمنا ، وبها زاوية الفقيه الامام العالم نعمان الدين الخوارزمى ، رأيته بها وهو من فضلاء المشايخ حسن الأخلاق كريم النفس شديد التواضع ، شديد السطوة على أهل الدنيا ، ولا يقوم إليه ، ويقعد السلطان بين يديه ويكلمه ألطف كلام ويتواضع له والشيخ بضد ذلك ، وفعله مع الفقراء والمساكين والواردين خلاف فعله مع السلطان ، فإنه يتواضع لهم ويكلمهم بألطف كلام ويكرمهم ، وأكرمنى جزاه الله خيرا وبعث الى بغلام تركى وشاهدت له بركة [١] "

وهذا الوصف الذى ذكره ابن بطوطة في رحلته لهذه البلاد يدل على أنها بلاد اسلامية مثل أى بلد اسلامى في العالم أيام ابن بطوطة في مطلع القرن الثامن الهجرى (٧١٣هـ - ...) .

أما بلاد فارس فكان فيها هولاكو الذى حكم (دولة التتار الشرقية) وأسس أسرة (إيلخانات المغول) بها وتحالف مع المسيحيين في المشرق في أرمينيا وجورجيا ، وكانت وكانت زوجته المحببة اليه مسيحية ، وعملت على استمالة زوجها نحو اخوانها في الدين ، كما تزوج إبنه (أباقاخان) (١٢٦٥ - ١٢٨١م = ٦٦٣ - ٦٨٠هـ)من إبنة امبراطور القسطنطينية ، ومع أنه لم يتخذ المسيحية دينا له امتلأ بلاطه بالقساوسة من المسيحيين وكان يراسل لويس ملك فرنسا وشارك ملك صقلية وغيرهم من المسيحيين يطلب إليهم التحالف معه على المسلمين [٢] لكن أخوه (تكودار أحمد) (١٢٨٢ - ١٢٨٤م = ٦٨٠ - ٦٨٣هـ) [١] الذى اعتلى العرش من بعده واعتنق الاسلام ، وبعث بنبأ اسلامه الى سلطان مصر المملوكى المنصور قلاوون ونصه ملخصا : " الى سلطان مصر . أما بعد ، فإن الله سبحانه وتعالى بسابق عنايته ونور هدايته ، قد كان أرشدنا في عنفوان الصبا وريعان الحداثة الى الاقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته ، والشهادة لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام بصدق نبوته ... فلم نزل نميل الى إعلاء كلمة الدين وإصلاح أمور الاسلام

---

[١] المرجع السابق ، ج١ ص٨٤ .

[٢] توماس أرنولد ، مرجع سبق ذكره ص ٢٦٠ .

[١] لين بول ، تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، به زيادات لبارتولد وخليل أدهم وأحمد السعيد ، ج٢ ص٤٨٣ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

والمسلمين ، الى أن أفضى إلينا بعد أبينا الجليل وأخينا الكبير نوبة الملك ... ففكرنا فيما تمخضت زبد عزائمهم عنه واجتمعت أهوائهم عليه ، فوجدناه مخالفا لما كان في ضميرنا من اقتفاء الخير العام ، الذى هو عبارة عن تقوية شعار الاسلام ، وأن لا يصدر عن أوامرنا ما أمكننا إلا ما يوجب حقن الدماء وتسكين الدهماء ، وتجرى به في الأقطار رخاء نسائم الأمن والأمان ، ويستريح به المسلمون في سائر الأمصار في مهاد الشفقة والاحسان تعظيما لأمر الله وشفقة على خلق الله فألهمنا الله تعالى إطفاء تلك الثائرة ، وتسكين الفتن الثائرة ، وإعلام من أشار بذلك الرأى بما أرشدنا اليه ... وقوى عزمنا على ما رأيناه من دواعى الصلاح وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه النجاح ، إذ كان الشيخ قدوة العارفين (كمال الدين عبد الرحمن) الذى هو نعم العون لنا في أمور الدين ، فأرسلناه رحمة من الله لمن لبى دعاه ، ونقمة على من أعرض عنه وعصاه ، وأنفذنا أقضى القضاة قطب الملة والدين ، والأتابك بهاء الدين ، اللذين هما من ثقات هذه الدولة الزاهرة ليعرفوهم طريقتنا ، ويتحقق عندهم ما تنطوى عليه لعموم المسلمين جميل نيتنا ، وبينا لهم أنا من الله تعالى على بصيرة ، وأن الاسلام يجب ما قبله وأنه تعالى ألقى في قلوبنا أن نتبع الحق وأهله ، ونشاهد أن عظيم نعمة الله للكافة بما دعانا اليه من تقديم أسباب الاحسان ، ... وعفونا عن كل من اجترح سيئة واقترف ، وقابلناه بالصفح وقلنا عفى الله عما سلف ، وتقدمنا بإصلاح أمور أوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس ... وإيصال حاصلها بموجب عوائدها القائمة الى مستحقيها بشروط واقفيها ... وأمرنا بتعظيم أمر الحجاج وتجهيز وفدها ، وتأمين سبلها ، وتسيير قوافلها ، ... فقد ظهر بفضل الله تعالى في دولتنا النور المبين ... فمن يتحرى الآن طريق الصواب ، فإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ، وقد رفعنا الحجاب ، وأتينا بفضل الخطاب ، وعرفناهم طريقتنا وما عزمنا بنية خالصة لله تعالى على استئنافها ، وحرمنا على جميع العساكر العمل بخلافها ، لنرضى الله والرسول ... فإن وفق الله سلطان مصر الى ما فيه صلاح العالم ، وانتظام أمور بنى

آدم ، فقد وجب عليه التمسك بالعروة الوثقى ، وسلوك الطريقة المثلى ، بفتح أبواب الطاعة والاتحاد وبذل الاخلاص بحيث تعمر تلك الممالك وتيك البلاد ، وتسكن الفتنة الثائرة وتغمد السيوف الباترة (يلتمس محالفة سلطان مصر) وتحل العامة أرض الهوينى ، وتخلص رقاب المسلمين من أغلال الذل والهوان ... والله تعالى الموفق للرشاد والسداد ، وهو المهيمن على البلاد والعباد إن شاء الله تعالى [1]" تحريرا في أسط جمادى الأولى سنة٦٨١هـ.

وقد قامت ثورة في وجه (تكودار أحمد) على رأسها ابن أخيه رغون الذى دبر قتله ، ثم خلفه على عرش فارس وما حولها وفي أثناء حكم أرغون (١٢٨٤ - ١٢٩١م) ٦٨٣ - ٦٩٠هـ استرد المسيحيون مكانتهم ، ولقى المسلمون الاضطهاد ومنعوا من شغل الوظائف الهامة التى كانوا يشغلونها ، وظل خلفائه على وثنيتهم حتى دخل غازان (١٢٩٥ - ١٣٠٤م) ٦٩٤ - ٧٠٣هـ في الدين الاسلامى في سنة (١٢٩٥م = ٦٩٤هـ) وجعله دين الدولة الرسمى في فارس ، فتشجع رجاله واعتنقوا الدين الاسلامى ووزع المنح عليهم وزاد في عدد المساجد ، وظهر في كل أدواره بمظهر الحاكم المسلم المثالى ، ويذكر ابن بطوطة أن سيرة ذلك الملك كان لها تأثير كبير في نفوس المغول ، ومن ذلك العهد غدا الاسلام الدين السائد في دولة إيلخانات فارس [1] .

النهضة الاسلامية في عهد أوزبك :

كان لإسلام (بركة خان) أثر كبير في أنتشار الاسلام بين أهالى القبيلة الذهبية ، ووصل الاسلام الى أوجه في عصر (أوزبك خان) الذى كان زعيما لهذه القبيلة من سنة ١٣١٣ - ١٣٤٠م (٧١٢ - ٧٤١هـ) والذى اشتهر بإخلاصه للاسلام ونشر تعاليمه ، ونجح في كسب كثيرين وتحويلهم الى هذا الدين الذى كان من أشد أتباعه حماسة وصلابة ، وايه يرجع الفضل في توطيد دعائمه

---

[1] القلقشندى ، صبح الأعشى ... طبعة دار الكتب المصرية ، سنة ١٣٣٤هـ (١٩١٥م) ج٨ ص٦٥-٦٨ .

[1] ابن بطوطة ، ج١ ص٥٧ وتوماس أرنولد ، ص٢٦٥ .

وتثبيت أركانه في البلاد التى كانت تحت سلطانه ، ومما يدل على إخلاص هذا الرجل للاسلام ما نجده في القبائل الأوزبكية في أواسط آسيا ، التى اشتقت اسمها من أسمه ، وتنسب اليه الآن دولة تعدادها حوالى عشرين مليون مسلم وهى أوزبكستان . وعندما انفرط عقد الاتحاد السوفيتى مؤخرا، واستقلت هذه الدولة ، أختفت تماثيل لينين من ميادين أوزبكستان ووضع الشعب مكانها تماثيل (أوزبك) .

ويقال إن أوزبك وضع خطة لنشر الاسلام في روسيا ولكنها لم تصادف نجاحا ، ومع ذلك فقد كانوا أصحاب السيادة المطلقة على روسيا مدة قرنين من الزمان ، وكان أوزبك كثير التسامح نحو رعاياه من المسيحيين ، فقد منحهم الحرية التامة في اقامة شعائرهم الدينية من غير أن يتعرض لهم أحد بسوء ، ويذكر توماس أرنولد ، وهو خير شاهد على سماحة الاسلام ، أنه ذهب في تسامحه الى أبعد من هذا ، فسمح لهم بجولات التبشير لدينهم ونشره في بلاده ، ومن أهم الوثائق التى تستدعى الأنتباه عن التسامح الاسلامى ، ذلك العهد الذى منحه (أوزبك) للمطران بطرس في سنة ١٣١٣م والذى جاء فيه :

" بمشيئة العلى القدير وعظمته ورحمته من أوزبك الى أمرائنا كبيرهم وصغيرهم ، ان كنيسة بطرس مقدسة فلا يحل لأحد أن يتعرض لها أو لأحد من خدامها أو قسيسيها بسوء ، ولا أن يستولى على شىء من ممتلكاتها أو متاعها أو رجالها ، ولا أن يتدخل في أمورها ، لأنها مقدسة كلها ، ومن خالف أمرنا هذا بالتعدى عليها فهو أثيم امام الله وجزاؤه منا القتل ، ولندع المطران ينعم بالأمان والبهجة ، ولندعه (أو وكيله) يقرر وينظم كل المسائل الكنيسية بقلب سليم وفؤاد عادل قويم . واننا نعلن في حزم اننا نحن وأولادنا وأمراء دولتنا وولاة أقاليمنا لن نتدخل بأى حال في شئون الكنيسة ولا في شئون المطران ، ولا في شئون المدن والمراكز والقرى الداخلة في أملاكها الخاصة ...الخ [1] "

---

[1] الدعوة الى الاسلام ، ص٢٧٢ .

وهذا التسامح هو الذى دفع البابا يوحنا الثانى والعشرين الى ارسال رسالة الى الخان يشكر فيها للأمير المسلم ما اظهره من عطف على رعاياه المسيحيين ويثنى على هذه المعاملة الطيبة التى كان أوزبك يعاملهم بها .[٢]

التعصب الروسى في مواجهة التسامح الإسلامى :

في مقابل هذا التسامح الاسلامى الذى قام به حكام التتار المسلمين نجد أن روسيا عندما فتحت قازان عاصمة التتار في القرن السادس عشر تلى هذا الفتح حركة رسمية للتبشير بالمسيحية ، ونشط رجال الشرطة ورجال السلطات المدنية في تأييد أعمال رجال الكنيسة ، وحولوا الكثير من التتار الوثنيين الى المسيحية بالقوة وكانوا يستعملون معهم الحبس ويبلونهم بالحديد ، وفي عهد الامبراطورة كاترين الثانية أمرت في سنة ١٧٧٨م بأن يوقع هؤلاء الذين اعتنقوا ظاهريا المسيحية على إقرار كتابى يتعهدون فيه بترك خطاياهم الوثنية والتمسك بالدين المسيحى وعقائده والثبات عليها ، على الرغم من ذلك ظل هؤلاء مسيحيون بالأسم ، وسرعان ما أخذوا يحاولون التخلص مما بذلت الكنيسة الأورثوذكسية ، وتركوا المسيحية واعتنقوا الاسلام .[١]

وأتجه جهود روسيا في هذا المجال الى المسلمين التتار لتحولهم بالقوة الى المسيحية وتسجلهم في سجلاتها على أنهم مسيحيون ، والقانون الجنائى الروسى كان يتضمن دائما عقوبات صارمة لهؤلاء الذين يتركون المسيحية الأورثوذكسية بتجريدهم من كافة الحقوق المدنية وبحبسه مع الأشغال الشاقة مدة تتراوح بين ثمانى سنين وعشر ، وعلى الرغم من هذه القسوة نجح رجال الدعوة الاسلامية في جذب القرى بأسرها الى عقيدة الاسلام بعد تعميدهم بالقوة .

---

[٢] المرجع السابق ، ص٢٧٣ .

[١] توماس أرنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص٢٧٨ - ٢٧٩ .

وقد أثار هذا فزع رجال الكنيسة الأورثوذكسية وأخفقت جهودهم ، عندما دخل التتار في دين الله أفواجا ولا سيما عند صدور مرسوم حرية التدين في سنة ١٩٠٥م مثال ذلك ما قيل من أن احدى وتسعين أسرة اعتنقت الاسلام في قرية (أتومفا) في سنة ١٩٠٩م ، وأن عددا بلغ من الكثرة حوالى ٥٣,٠٠٠ نسمة أسلم بين سنة ١٩٠٦ ، ١٩١٠م ويعلق توماس أرنولد على هذا المشهد بقوله : " وقد قيل أن أكبر الفضل في نجاح هذه الدعوة يرجع الى مستوى الحياة الأخلاقية في المجتمع الاسلامى ، الذى كان أكثر رقيا ، كما يرجع أيضا الى شعور التآخى الذى كان يشيع في هذا المجتمع ، والذى كان أكثر تماسكا وقوة ، أضف الى ذلك أن الاساليب التى لجأ اليها رجال الكنيسة الروسية وأيدتها الحكومة ، قد جعلت العقيدة المسيحية أمرا غير مألوف لديهم. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى صارت الدعوة الاسلامية قدما في حماسة بالغة ، فقد كان كل مسلم ساذج أمى داعية الى دينه [١] " .

وقد تجلى هذا المشهد عن تحول كثير من القبائل والقرى التتارية (التى اعتنقت المسيحية بالقوة) الى الاسلام ، ولا يزال تأثير الاسلام آخذا في النمو بين هؤلاء الذين يدينون بالمسيحية وبين البقية القليلة التى لا تزال على وثنيتها ، على الرغم من العقوبات الصارمة التى تحاصرهم بها الحكومة الروسية ونجحت الدعوة الاسلامية حتى بين القبائل الروسية التى تقيم في الشمال الشرقى من روسيا .[٢]

وقد لعبت مدينة (قازان) عاصمة تتارستان دورا كبيرا في مجال الدعوة الى الاسلام ، فقد كانت المركز الرئيسى لنشاط هذه الدعوة ، وكان يطبع في كل سنة عدد من المنشورات الاسلامية التى توزع في حوض نهر الفلجا وفي جميع أنحاء روسيا .

من الوحدة الى الفرقة :

---

[١] المرجع السابق ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

[٢] المرجع السابق نفس المكان .

وقد انقسمت أملاك القبائل الذهبية الى عدة دويلات عرفت باسم الخانيات أى الممالك ، وذلك منذ سنة ٨٤٢هـ (١٤٣٨م) وهى :

١.خانية الحاج طرخان .
٢.خانية قازان .
٣.خانية القرم .
٤. خانية قاسموف .
٥.خانية الشيبانيين في بخارى .[1]

ومن هنا أتى الضعف لهذه السلطنة عندما دب فيها مرض الفرقة الذى يقضى على القوة واستطاعت روسيا في عهد (إيفان الرهيب) أن تقضى على هذه الخانيات الضعيفة الواحدة تلو الأخرى منذ عام ٩٦٠هـ (١٥٥٢م) .

واستولى الروس على جميع الأراضى الخصبة المنتشرة على طول نهر الفلجا وروافده ونهر الأورال وروافده وطردوا المسلمين من المدن المهمة وشيدوا قلاعا في الأماكن الاستراتيجية للروس وتحولت الشعوب الاسلامية في هذه المناطق الى أقلية عندما قام الروس بإبادة المسلمين بعد التغلب عليهم ونفيهم الى سيبريا ، ولاذ المسلمون بالريف والجبال وهى الأماكن المفضلة الآن للمسلمين في الشيشان وداغستان وجميع بلاد القوقاز .

وهدم الروس المساجد وعاملوا المسلمين كرعايا من الدرجة الثانية وملكوا أرضهم للمسيحيين وهى الأرض الخصبة ، وصادروا الأوقاف الاسلامية وكانت الكتابة بالخط العربى فألغاها الروس وأحلوا مكانها الحرف الروسى .

وفرضوا الردة على كثير من المسلمين في هذه المناطق في عهد (إيفان الرهيب) وتحول الى النصرانية في عهده أكثر من مائة ألف تترى وتحول في عهد خلفائه حوالى ثلاثمائة ألف الى النصرانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، الا أن هؤلاء استطاعوا في الغلب المحافظة على اسلامهم سرا عبر أربعة قرون من الأرهاب

[1] المرجع السابق ، ص٨٥ - ٨٦ .

الدينى وفي سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ) عندما فتح البرلمان الروسى (الدوما) الحرية الدينية لجميع رعايا القيصر أعلنوا اسلامهم مرة أخرى ، وكان هذا درسا قاسيا للروس لكى يعرفوا أن العقائد لا تحارب بهذه الطريقة القسرية.

وإزاء هذه الاضطهادات تجمع المسلمون في هذه الأماكن في قومية واحدة وأصبح الاسلام مرادفا للقومية ، وارتبط مفهوم القومية بالاسلام وذلك على النقيض مما نراه في البلاد التى خضعت للتأثير الغربى مثل تركيا والبلاد العربية وإيران وأندونيسيا ، فالحركات القومية فيها بعيدة عن الاسلام وأحيانا تتصادم معه [1] .

ولكن التوسع الاسلامى لم يوقفه الفتح الروسى ولا حتى خفف من مسيرته ، وعلى العكس ففى النصف الثانى من القرن الثامن عشر عاد الاسلام يسجل إنتصارات جديدة أيام حكم (الامبراطورة كاترين الثانية) (١٧٦٤-١٧٧٣م) التى كانت مياله شخصيا الى الدين الاسلامى الذى كانت تجده (معقولا) ومؤهلا لتمدين الشعوب البدوية أكثر من المسيحية الأرثوذكسية ، ففى سنة ١٧٦٤م بدأت سياسة التسامح الدينى فرفعت الخطر المفروض على التتار المسلمين فسمحت لهم بالعودة الى عاصمتها (قازان) وفى ١٧٧٣م منحتهم حق بناء الجوامع والمدارس القرآنية ، وبذلك أصبح (التجار التتار) الوسطاء بين روسيا وآسيا الوسطى يقومون بدور كبير في نشر الاسلام بين شعوب بشكيريا وسيبريا وسهوب قازاقستان (كازاخستان) .

ومع ظهور (فرقة النقشبندية) الصوفية في القوقاز الشمالى سجلت موجة أخرى لانتشار الاسلام في الامبراطورية الروسية سلميا وبدأ الدعاة (النقشبنديون) يعملون في نهاية القرن الثامن عشر واليهم يعود الفضل في سيطرة الاسلام الكاملة على بلاد الشيشان وبلاد الشركس ، وفي أواخر القرن ١٩ ظهرت فرقة صوفية أخرى هى (القادرية) حوالى ١٨٨٠م [1] .

---

[1] محمد على البار ، مرجع سبق ذكره ، ص٩١ .

وهكذا استطاع المسلمون تغيير أسلوب الدعوة في مواجهة القهر الروسى عن طريق الطرق الصوفية التى لا تثير إنتباه الروس .

وصفوة القول أن روسيا حاولت أن تسيطر على أهل القوقاز المسلمين ومسلمى روسيا خلال أكثر من ثلاثة قرون من ١٥٥٢ حتى ١٩١٧ عاشت خلالها هذه الشعوب محنة قاسية وعانت صراعا مريرا ومستمرا للحفاظ على إسلامها ، ونجحت في كفاحها نجاحا كاملا ، وخرج الفاتح مهزوما من المجابهة واندمج الاسلام المضطهد بعنف إندماجا تاما بثقافة هذه الشعوب وتقاليدها وأصبح النواة الأكثر عمقا لهويتها القومية ، فالشعوب المسلمة في روسيا ظلت قبل كل شىء ورغم تغير الأحوال السياسية منتمية الى دار الاسلام [٢] .

وكان القوقاز الشمالى الذى به الشيشان والداغستان والأوستين والأنجوش والشراكسة هو الأقليم الاسلامى الوحيد الذى جابه الروس بمقاومة شرسة دامت قرنا كاملا ، والتى بدأت من سنة ١٧٨٣م حتى أعلن الامام المنصور أشرمة الجهاد ضد الروس واستمرت حتى آخر ثورة قام بها (الشيخ شامل) بالطاغستان من أصحاب الطريقة (النقشبندية) الذى أسر في سنة ١٨٥٩م ونفى الى تركيا ومنها الى المدينة المنورة حيث مات بها ودفن بالبقيع سنة ١٨٧١م [١] ولم تنته المقاومة واستمرت الى يومنا هذا بقيادة جماعة النقشبندية الصوفية الذين يؤمنون أن هدف المؤمن النهائى الاتحاد مع الله واقامة مملكة الله على الأرض ، وطرد المحتل الكافر .

ثورة الشيخ شامل :

الشيخ شامل أو الأمير شامل كما يلقبه بعض المؤرخين هو أحد رجال الطريقة النقشبندية في بلاد القوقاز وهى التى أبلت بلاء حسنا في مقاومة الروس في بلاد القوقاز الواقعة بين بحر قزوين

---

[١] المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتى ، مجلة الاسبوع العربى عدد ١٩٨٢/٢/٨ .
[٢] المسلمون المنسيون ... مجلة الاسبوع العربى عدد ١٩٨٢/٢/٨ .

[١] المرجع السابق ، عدد ١٩٨٢/٢/٢٢ ، ومحمد على البار ج١ ص١٥٥ .

والبحر الأسود ولعبت دورا كبيرا وما زالت في المحافظة على الاسلام في البلاد التى كانت خاضعة للأتحاد السوفيتى في الماضى .

والشيخ شامل حامل لواء الجهاد ضد الروس في القوقاز ، هو مثل الأمير (عبد القادر الجزائرى) خرج من المشيخة الى الامارة ، وتناول سيف الجهاد من طريق القلم يعنى بعد اشتغاله بالعلم على يد شيوخ النقشبندية الذين سبقوه وثاروا على أمرائهم في القوقاز الذين استسلموا للروس ، ومنهم الامام الغازى محمد الذى استشهد سنة ١٨٣٢ بعد جهاد طويل ويلقبه الروس بقاضى مُلاً وكان من العلماء المتبحرين في العلوم العربية وله كتاب بعنوان : " اقامة البرهان على ارتداد عرفاء طاغستان " يهاجم فيه أمراء بلاده طاغستان ويذمهم لاستسلامهم للروس .

ومنهم (حمزة بك) الذى استشهد في عام ١٨٣٤م فتولى زعامة الثورة بعده الشيخ شامل ، ولم يكن الشيخ شامل في سعة علم الغازى محمد وحمزة بك ، ولكنه كان أحسن منهما في ادارة الجهاد وشئون الحرب فشمر عن ساعد الجهاد والتف ذلك الشعب القوقازى الأبى حوله ودافع عن بلاد القوقاز نحو ٣٥ عاما قضاها في الامارة والجهاد وظفر بالروس في وقائع كثيرة وألقى الرعب في قلوبهم عندما كان يخرج عليهم من قمم جبال القوقاز الشاهقة فيقضى عليهم وأجلاهم عن جميع البلاد إلا بعض مواقع ثبتوا فيها من الناحية الجنوبية وكان يمزج جهاده بالدعوة الى الاسلام على بصيرة بين أتباعه وكشف زيف الحكام المتخاذلين أمام الأعداء الروس وكان هو ورجال النقشبندية أول من عرف أن الضرر للمسلمين يأتى من الأمراء المنهزمين الذين يبيعون حقوق المسلمين بلقب ملك أو أمير وتبوء كرسى زائل ، ورفع علم كاذب ولذة فارغة بإعطاء أوسمة ومراتب فثاروا منذ ذلك الوقت على الأمراء والروس الذين يحمونهم وطلبوا أن تكون المعاملات وفقا للشريعة الاسلامية وليس للعادات القديمة الباقية من جاهلية أولئك الأقوام [1] .

---

[1] شكيب أرسلان ، من مقالة له في كتاب حاضر العلم الاسلامى عن الشيخ شامل ج٢ ص١٨٨-١٩٣

وفي هذه الحرب تحالف الشيشان والطاغستان والشركس وانتهجت روسيا القيصرية ضدهم سياسة تصفية ، وبدأ الجيش الروسى بتصفية الشركس الذين طردوا من أراضيهم أما الشيشان فاعتبروا الأكثر صلابة وحبا للحرية ، وتفيد الروايات المتواترة من تاريخ روسيا القيصرية أن القائد الروسى الجنرال (أرمولوف) وعد القيصر أنه لم تغمض له عين طالما وجد شيشانى واحد على قيد الحياة لأن هذا الشعب المطبوع بعقلية الاستقلال يمكن أن يتحول الى مثال حتى لرعايا القيصر المقربين .

وعلى الرغم من الحملات المتتالية التى جردها أرمولوف ضد الشيشان فإنه لم يفلح في الوفاء بالوعد الذى قطعه للقيصر ذلك أن الشيشان انحازوا بأكثريتهم الى الشيخ شامل وهو شخصية اسلامية محبوبة لدى شعوب القوقاز الاسلامية بسبب نهجه الاصلاحى وقضائه على النظام الاقطاعى واستخدامه الاسلام وسيلة لتحرير شعبه من العبودية .

الامام شامل واللغة العربية :

جعل الامام شامل اللغة العربية لغة القوقاز الرسمية إبان إقامة حكومته وإمامته منذ ١٨٣٢ حتى ١٨٥٩ وظهرت في تلك السنوات أول أبجدية عربية للغة الشيشانية وفي بدايات القرن ١٩بدأت المدارس العربية تعم في المناطق الشيشانية وأصبحت اللغة العربية هى اللغة الرسمية للمكاتبات والمراسلات ، وعمت دراسة الفلسفة والجغرافيا والعلوم باللغة العربية ، وظهرت قبل ثورة ١٩١٧شريحة كاملة مثقفة وسط الشيشان تلقت تعليمها في حجرات الجوامع المخصصة للدرس والتعليم ، ولإدراك مدى انتشار الثقافة العربية بين الشيشان تكفى نظرة على عدد الكتب التى صدرت قبل ثورة أكتوبر ١٩١٧ بالعربية .

والعالم الروسى (بتروفيتش أوسلر) يحصرها قائلا : " من الأول من سبتمبر ١٩١٠ حتى الأول من سبتمبر ١٩١٤ صدر بالعربية اثنان وثمانون كتابا ، طبع منها أكثر من مائة وخمسين ألف

نسخة .. ومما يدل على أن العربية غرست جذورها بعمق في الشيشان قبل ثورة أكتوبر أن العربية ظلت منتشرة لسنوات طويلة بعد ظهور السلطة السوفيتية [١] " .

وفي عام ١٩٣٨ فقط فرضت على الشيشان الأبجدية الروسية وعلى الرغم من ذلك بقيت من آثار اللغة العربية في لغة الشيشان اليومية كلمات عربية كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر : (بركا لله) وهى تحريف لعبارة (بارك الله) وهناك كلمات (عادات) و (آخرة) و (أبدية) و (آدم) و (ملاك) و (ابليس) بمعناها ولفظها وغيرها من مفردات اسلامية .

ولعل من آثار تمسك هذه المناطق القوقازية بالعربية هو أن ادارة المسلمين في شمال القوقاز لغتها العربية حتى الآن وهذا ما صرح به مفتى إدارة مسلمى آسيا الوسطى وما وراء النهر الشيخ محمد صادق يوسف لجريدة العالم الاسلامى[١] .

والشيخ شامل هو الذى طبع المقاومة الشيشانية والاسلامية عموما في القوقاز بالصمود حيث استطاع أن يصمد في مواجهة الروس حتى النهاية ، وكانت أعظم الوقائع التى أنتصر فيها على الروس في سنة ١٨٤٣ ، وسنة ١٨٤٤م حيث أفتتح جميع الحصون التى كانت لهم في الجبال وغنم منها ٣٥ مدفعا وبعض القطع الحربية الأخرى ومؤنا وافرة ، وأخذ عددا كبيرا من الأسرى فجردت عليه روسيا جيوشا جرارة ونادت هى الأخرى بالجهاد في طاغستان مركز المقاومة في القوقاز [٢] ، ونظم شعراء الروس القصائد في وصف تلك الحروب ، ومازالت توالى الزحف على القوقاز ، ولكن الشيخ شامل صمد حوالى عشرة أعوام يجاهد في الجهات الغربية من الجبال .

وتفيد الروايات التاريخية أن المعركة الأخيرة التى خاضها كانت في حاجز جبلى في طاغستان عام ١٨٥٩ حيث كان متحصنا مع

---

[١] أحمد الخميس ، حرب الشيشان ، ص١٤١ - ١٤٢ .

[١] عدد ١٣ مايو ١٩٩٦ لجريدة العالم الاسلامى التى تصدرها في مكة المكرمة رابطة العالم الاسلامى .

[٢] مجلة الوسط عدد ١٩٩٥/٢/٦م .

٥٠٠ مجاهد من رجاله في حين كان الجيش الروسى يحاصره بأربعين ألف جندى الأمر الذى اضطره الى الاستسلام .

وبعد أسره نفاه الروس الى تركيا ومنها ذهب الى المدينة المنورة بالحجاز حيث مات بها ودفن بالبقيع سنة ١٨٧١م (١) .

لم يرضى الشيشان باستسلام الشيخ شامل فواصلوا المقاومة وأصيبوا بخسائر فادحة ، وكان يقودهم في حربهم بعد الشيخ شامل القائد المسمى (الباى سنجور) لكن هذه المقاومة كلفتهم غاليا إذ لم يبقى منهم سوى أربعين ألفا ، ولم تكن الهزيمة تعنى سيطرة الروس على مناطقهم سيطرة نهائية إذ كانوا على الدوام يقاومون . وهذا ما جعل السلطات الروسية في العهدين القيصرى والشيوعى تحتفظ دائما بقوات عسكرية في أراضيهم (٢) .

ويذكر العلامة (شكيب أرسلان) في تعليقاته على كتاب (حاضر العالم الاسلامى) أن بلاد الشيشان جزء من بلاد الطاغستان والطاغستان قسمان : ١- طاغستان لزكى ٢- طاغستان تركى .

١. فالطاغستان اللزكى : يتكلمون ويكتبون بالعربية ومحاكمهم لسانها عربى ، وذلك منذ الفتح الاسلامى حيث أختلطوا بالعرب ونزح اليهم بعض العرب ، والشيخ شامل لزكى يتحدث العربية ويكتب بها ، وهو من قرية (كرة) وفي الطاغستان كثير من الأشراف الذين يرجعون في أصولهم الى بنى هاشم .
٢. والطاغستان التركى : يتكلمون ويكتبون بالتركى لأن الأتراك حكموا البلاد فترة طويلة ، وبقى بينهم بعض الأتراك (٣) .

ومما هو جدير بالذكر أن الأمير شامل هو الذى وضع دستور للبلاد وتوصل بحزمه وحنكته الى تطبيقه وتنفيذه ، وقد أعترف

---

(١) المسلمون المنسيون .... مجلة الاسبوع العربى عدد ١٩٨٢/٢/٨م ومحمد على عبد البار ج١ ص١٥٥.
(٢) مجلة الوسط عدد ١٩٩٥/٢/٦م .
(٣) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الاسلامى ، ج٣ ص٣٦٩ .

الروس أنفسهم بأنه تمكن من تنفيذ هذا الدستور على الوجه الأكمل وفي دائرة العدل والشرف [1].

وعمد الروس بعد القضاء على (ثورة الشيخ شامل) في القوقاز الى تسليم السلطة الى الأمراء المهزومين الذين فضحهم رجال النقشبندية الشجعان وذلك ليتمكن الروس عن طريقهم الى كسر شوكة العلماء الذين لم تلن لهم قناة ولم تكن المقاومة إلا بهم ومنهم ، وبعد أن استتب الوضع للروس بواسطة هؤلاء الأمراء عادوا فخلعوهم هم أيضا كما هى العادة في الدول الأستعمارية حيث تبدأ أولا باستعمال نفوذ الأمير الوطنى في أغراضها وتصريفه في حاجاتها حتى إذا حققت أغراضها كلها رجعت اليه ونبذته نبذ الحصاة ، وذهب يعض بنان الندم على ما فرط في حق وطنه ومجاراته لأعداء الوطن واعتماده عليهم .

ففى سنة ١٨٦٢ استأصلت الحكومة الروسية جميع ما كان بقى من آثار الامارة الأهلية وأنزلت أولئك الأمراء حتى عن كراسيهم الوهمية وبقى الأمر كذلك حتى سنة ١٨٧٧ إذ نشبت الحرب الروسية العثمانية فثار الطاغستانيون وافتتحوا قلعة القومق ورفع أبناء البيوتات التى كانت مالكة من قبل أعلام الثورة واستعادوا ألقاب الامارة ، ولكن لما تمكن الروس من هزيمة العثمانيين ودارة الدائرة على الدولة العثمانية في تلك الحروب تمكن الروس من قمع الثورة بدون عناء كبير .

ولما قامت الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ وسقطت الحكومة القيصرية ، وأعلنت أنها تنوى استقلال الأمم المهضومة وخيرت الشعوب التى كان القياصرة الروس قد أخضعوها بحد السيف بين أن تبقى منضمة الى روسيا أو تنفصل عنها فكان أهالى بلاد القوقاز جميعا ممن أعلنوا استقلالهم التام فتألفت منهم أربع جمهوريات :

١.جمهورية الطاغستان .
٢.جمهورية كرجستان .
٣.جمهورية أذربيجان .

---

[1] يوسف عزت باشا ، تاريخ القوقاز ، ص٢٥٢ ترجمة عبد الحميد بك غالب ، القاهرة ١٩٣٣م.

٤.جمهورية أريفان الأرمنية .
وطلبوا من ألمانيا وتركيا حماية هذا الأستقلال .

وأوفدت هذه الجمهوريات الأربع وفودها الى اسلامبول لمفاوضة الأتراك والألمان في الأعتراف بهذه الجمهوريات وبدأت مفاوضات بشأن ارتباط هذه الدول ببعضها لإقامة حلف منها ضد أطماع روسيا ، ولكن ألمانيا أعترفت بكرجستان لأنها مسيحية دون غيرها ، وأحدث ذلك خلافا بين الأتراك والألمان ، وطلبت تركيا من ألمانيا الأعتراف باستقلال الجمهوريات الثلاث الباقية ، وكلفت تركيا شكيب أرسلان في السعى لدى ألمانيا للتفاوض لهذا الغرض مع وزارة الخارجية الألمانية وضرورة المساواة بين جمهوريات القوقاز كلها .

وقام (الوفد الطاغستانى) بتكليف الأمير شكيب أرسلان بالاهتمام بقضيتهم لأنهم حسبوا أن الأتراك قد يصرفون معظم عنايتهم في مصلحة جمهورية أذربيجان التركية ، ويذكر شكيب أرسلان أنه تم الاتفاق على اعتراف المانيا باستقلال الدول الأربع دون تفرقة ، ولكن رياح الحرب أتت بما لا تشتهى هذه الدول القوقازية وهى أن بريطانيا احتلت بلاد القوقاز ، وعلق القوقازيون الآمال على بريطانيا أن تعترف باستقلالهم وتوطد لهم حكوماتهم ، وخاصة أنها كانت تعطف على الطاغستانيين أثناء مقاومتهم الطويلة للروس لكن الأمر كان بالعكس إذ حصرت بريطانيا جهودها في مقاومة الشيوعية وإعادة الحكم الامبراطورى القيصرى ولكن الأمر فلت من يدها واستتب الأمر للشيوعيين أنفسهم فجرد الشيوعيون جيوشا على جمهوريات القوقاز الأربع وقبضوا على أزمتها وألحقوها بحكومة موسكو خلافا لوعدهم الأول ، وثار أهل القوقاز فتغلبت روسيا عليهم وقبضت على زعماء الثورة وألقت بهم في السجون وشردت الباقين [1] .

المسلمون بعد ثورة ١٩١٧ :

---

[1] شكيب أرسلان ، من مقال له : في كتاب حاضر العالم الاسلامى ، عن بلاد الطاغستان وثورة الشيخ شامل ج٢ ص١٨٨ - ١٩٣ .

النداء الشيوعى للمسلمين في روسيا : قامت الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ فعادتها أوربا كلها ، وفي ٢٤من نوفمبر سنة ١٩١٧ أى بعد أنقضاء ستة أسابيع بقليل على وقوع الانقلاب الشيوعى الذى جاء بالشيوعين في روسيا الى الحكم وجهت الحكومة السوفيتية الجديدة نداءها الرسمى الأول الى كل المسلمين العاملين وهو النداء الذى أزاح اللثام عن الخطوط العريضة في موقف البلشفيك تجاه الشرق جاء فيه : " لقد سقطت ممالك المغتصبين والقراصنة الرأسماليين وإن الأرض تغلى تحت أقدام المعتدين الاستعماريين ، يا مسلمى روسيا يا من خُرّبت مساجدكم وهدمت بيوت عبادتكم نعلن لكم أن عقائدكم الدينية وشعائركم ومنشآتكم الحضارية والقومية ستصبح إبتداء من اليوم مصونة لن تمتد اليها يد آثمة أقيموا حياتكم القومية في جو الحرية دون أن يعوقها عائق فلكم الحق في ذلك [٢] " .

في عهد لينين :

وكذلك خاطب (لينين) جميع المسلمين في العالم بنداء آخر فضح فيه تآمر روسيا القيصرية مع بريطانيا وفرنسا وغيرها من الامبراطوريات الاستعمارية التى تآمرت على اقتسام أراضى المسلمين في تركيا والشام والعراق والمغرب ومصر وإيران وأوضح النداء الشيوعى الى العالم الاسلامى أن الروس أرادوا به عقد تحالف بينهم وبين المسلمين لمقاومة الاستعمار الرأسمالى الذى أعلن الحرب على الشيوعية .

ولكن كان هذا خداعا من لينين للمسلمين بأن ثورته قامت لإيقاف مظالم القيصرية الطاغية والدول الاستعمارية ضد الاسلام والمسلمين ، وما أن أستتب الأمر لينين بمساعدة المسلمين في كثير من مناطق روسيا القبصرية واعدا إياهم بالحكم الأستقلالى والحرية الدينية الكاملة إلا وقلب للمسلمين ظهر المجن وأبدى لهم العداوة وبدأ الحزب الشيوعى ينفذ مخططات لينين في إبادة المسلمين

---

[٢] باول شمتز ، الاسلام قوة الغد العالمية ، ص٢٤١ .

ومحاربة الاسلام منها : مذبحة مارس سنة ١٩١٨م في (باكو) عاصمة (أذربيجان) ومذبحة (خوقند) في فبراير سنة ١٩١٨م في (بخارى) و (الداغستان) وبشكيريا وقازاخستان والقرم والشيشان والأنجوش وغيرها من المناطق الاسلامية .

في عهد ستالين ١٩٢٤-١٩٥٣م :

شعب الشيشان قاسى من ظلم (ستالين) إبان الحرب العالمية الثانية مثلما قاسى من حكم لينين ، فقدقام (ستالين) واسمه (جوزيف جوجاشفيلى) ولكنه اشتق لنفسه اسما لا أنسانيا هو ستالين بمعنى الفولاذى [1] . بنفى شعب الشيشان بأكمله بعد أن أباد عشرات الآلاف منهم الى سيبريا بتهمة الخيانة وذلك في ٢٣فبراير ١٩٤٤م وألغى ستالين جمهوريتهم ووزع أراضيها على جمهورية جورجيا .

قصة التنكيل بالشيشان :

أن قصة التنكيل بالشيشان تحتاج الى وقفة خاصة ... فخلال الحرب العالمية الثانية .. أعلن قادة الشيشان تعاطفهم مع القوات الألمانية الغازية ... كما حدث في البلدان الواقعة تحت الاحتلال البريطانى في منطقتنا إلا أن قوات هتلر لم تصل الى أراضى الشيشان على أى حال .

وبعد انتهاء الحرب العالمية شمر (ستالين) عن ساعد الجد ... وبدأ في إبادة شعب الشيشان ... حيث صدر قرار بنقل كل الشعب الشيشانى والأنجوشى (أنجوشيا الآن جمهورية اسلامية ذات حكم ذاتى مجاورة للشيشان في إطار الاتحاد الروسى) الى سيبيريا .

وفي هذه الرحلة المقيتة تعرض ثلث الشيشان للفناء ... فقد أخرجوا من ديارهم وتم تجميعهم في أحد المواقع بموسكو ... حيث كان يتم حشرهم في عربات القطار العتيقة المخصصة لنقل المواشى ... وكانت السلطات السوفيتية كريمة بما يكفى كى تفرش لهم أرضية هذه العربات ببعض الحشائش والأعشاب .. وتتحرك القطارات الكئيبة في طريقها الى سيبريا إذا كان الطريق مفتوحا في أسبوع ...

---

[1] أحمد الخميس ، حرب الشيشان ، ص١٣٩ .

ولكن القطارات كانت تقطع المسافة في شهرين ... من كثرة القطارات المقابلة ... وربما عمدا لتهيئة الظروف للمزيد من الإفناء .

وتظل القطارات الكئيبة تتسكع في الطريق والمحطات ... طوال هذه المدة (شهرين) دون توفير أى نوع من الغذاء أو الشراب ... اللهم إلا ما استطاع هؤلاء البؤساء المفلسون حمله ... ولم يكن معهم من الزاد ما يكفى فكانت الأمهات والجدات يوفرن اللقيمات للأولاد والأحفاد ... ويقضين نحبهن في واحدة من القمم الشامخة لتضحية (الأم) . وعندما كان الموت يصرع الركاب كان يتم إلقاء الجثث من القطار في الطريق أو في المحطات ... كما تلقى المهملات .

وكان هؤلاء المحشورون في القطارات يقضون حاجتهم في نفس مكان نومهم أو كلما اقترب القطار من (ماجادان) انخفضت الحرارة مزيدا من الدرجات تحت الصفر .

وعندما يصلون الى سيبريا لا يجدون إلا صحراء ثلجية .. وتعطى كل أسرة بلطة (أو بالأحرى ما تبقى من الأسر) لتقطيع الأخشاب ... وبناء أكشاك صغيرة للسكن فيها .. أكشاك كالزنازين ... كل كشك ينطوى على ثلاث أو أربع أسر .

وقد كان هذا التكديس مطلوبا ... لأن التصاق الأجساد كان الوسيلة الرئيسية للتدفئة مع حفر دائرة في الأرض لإشعال الحطب ... وكان المنفيون في سيبريا يستخدمون في معسكرات عمل بطريقة السخرة في منطقة سيبريا وعندما يصل حطام البشر الى هذه المنطقة ... كانوا يستقبلون استقبالا كريما ، حيث تقدم لهم بعض الخدمات : بعض الماء الساخن ... في اليوم الأول فقط ... ثم يبدأ صرف التعيين : قليل من الخبز والبطاطس والسمك ... وقد وصف كاتب روسى هذه الحياة بالتفصيل في كتابه : (الحياة في سيبيريا) وقد كتبه على أوراق علب السجائر ... حيث تمكن من إخفائه ... ومن أشهر المشروعات التى قام بها عمال السخرة هؤلاء ... حفر قناة بيلامور ... باستخدام الوسائل البدائية في الحفر ... وكان الذى يموت يدفن في ثلوج سيبيريا .

وكذلك ما حدث في (داغستان) المجاورة للشيشان .. فقد حصدت السلطات الشيوعية في عاصمتها (محج قلعة) ٧٥ ألف شيخ وعالم وطالب علم ، ومواطنين مسلمين ... وقد أكتشفت مقابرهم الجماعية قبل أعوام قليلة ، ورأت السلطات أن تبيد شعب داغستان في مكانه ودون ترحيل أو نقل ... وكان يم إلقاء المسلمين أحياء من على أطراف الجبال .

وتقول بعض مصادر (داغستانية) : أن عدد سكان هذه الجمهورية أنخفض من ١٠ ملايين الى مليونين ... وتقدر بعض المصادر الشيشانية أن الشيشان قدموا ١١ مليون شهيد على مدار سنين الصراع مع روسيا من أيام القيصرية حتى يلتسين ... أى أن هذين الشعبين الصغيرين فقدوا ١٨ مليون شهيد ... ومن الصعب أخذ هذه الإحصاءات بدقة ... ولكن لا شك في أننا أمام مجزرة إبادة ... ولا شك في أن هذه المجازر التاريخية لم تخضع لأى محاكمات دولية .. أو دراسات تاريخية دقيقة وعلمية ومعمقة .. لأن دماء المسلمين رخيصة .

كما ألغت الشيوعية المحاكم الشرعية ... وكانت القيصرية قد مهدت بوقف العمل بالشريعة الإسلامية في هذه الجمهوريات ... على نفس طريق الاستعمار الغربى في بلادنا .[١]

وقد قام مجلس السوفيت الأعلى بتبرئة شعب الشيشان والأنجوش من تهمة التعاون مع النازى وسمح لهم بالعودة الى وطنهم [٢] .

وأعلنت روسيا حرية الأديان وسمحت بإقامة الأبنية الدينية على نفقة أصحابها ، وأنشأت أربع مراكز إدارية اسلامية تحت إشراف رجال الدين المسلمين في المناطق الاسلامية .

وهذه المراكز هى :

---

[١] مجدى أحمد حسين ، من مقال له في جريدة الشعب المصرية بعنوان : (قصة صمود الاسلام والمسلمين في أذربيجان) ، عدد ٥ من نوفمبر ١٩٩٦م .

[٢] محمد على البار ، ج١ ص١٣٦ - ١٣٧ . ويذكر الدكتور محمد حرب أنهم عادوا الى بلادهم في سنة ١٩٨٨م . انظر مقالا له في مجلة الأزهر عدد شعبان سنة ١٤١٥هـ بعنوان " معلومات أساسية لفهم المسألة الشيشانية " .

١.الهيئة الدينية الاسلامية للجزء الأوربى من الاتحاد السوفيتى وسيبريا ومركزها مدينة (أوفا) عاصمة بشكيروستان غرب الأورال ومذهبها سنى ولغتها اللغة التركية التترية .
٢.الهيئة الدينية الاسلامية لوسط آسيا وقازاقستان ومركزها مدينة (طشقند) عاصمة أوزبكستان ولغتها هى اللغة الأوزبكية التركية .
٣.الهيئة الدينية الاسلامية لمناطق عبر القوقاز ومركزها مدينة (باكو) عاصمة أذربيجان ومذهبها سنى وشيعى معا ولغتها الأذربيجانية التركية .
٤.الهيئة الدينية الاسلامية لشمال القوقاز ومركزها مدينة (بونياكسك) في غرب ساحل بحر قزوين بجمهورية داغستان [1] ومذهبها سنى ولغتها العربية.

ويرأس كل مجلس من مجالس هذه الهيئات مفتى سنى ، فيما عدا هيئة شيعية يرأسها شيخ الاسلام الشيعى (في باكو) يساعده نائبان أحدهما سنى والآخر شيعى ، وتشرف الإدارة على المسلمين الشيعة في الاتحاد السوفيتى السابق وكذلك على السنة [2] .

وعلى الرغم من أنشاء هذه المراكز الاسلامية إلا أن المسلمين حوربوا في عقيدتهم وأماكن عبادتهم ومنعوا من أداء الشعائر .

في عهد خروشوف :

وفي عهد خروشوف كانت هناك حملة جديدة ضد المسلمين ودامت هذه الحملة من سنة ١٩٥٤ الى ١٩٦٤م .

وأعلنت حملة إلحادية عنيفة ضد الدين الاسلامى وجند لخدمتها كل أجهزة الاعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون وسنيما ومرح وكتب ونشرات ومحاضرات وطبع في تلك الفترة ١٢٩ كتابا مناهضا للإسلام وترجمت هذه الكتب الى جميع اللغات واللهجات التى يتحدث

---

[1] د . محمود متولى ، المسلمون والحكم الشيوعى ... ، من أحاث مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر سبتمبر ١٩٩٣ .

[2] المسلمون المنسيون ..، مرجع سبق ذكره ، مجلة الاسبوع العربى عدد ١٩٨٢/٤/٥م .

بها معلموا الاتحاد السوفيتى مثل اللغة الأوزبكية والكازاخية والداغستانية والأذرية والتركمانية والفيرغيزية.

وعلى الرغم من هذه الحروب الضاربة إلا أن أهل الشيشان وغيرهم من شعوب روسيا ظلوا على إسلامهم فقد أظهر استفتاء أجرى في الشيشان عام ١٩٧٨ وكذلك في الأنجوش أن ٨٠% من الشعب ضد الالحاد ، وأن ٢٠% فقط من السكان يحبذون الالحاد .

وقد نشرت الصحف أثناء الحرب الأفغانية وتورط الشيوعيين في أفغانستان خبرا مفاده أن ثلاثة من الجنود السوقيت المسلمين اكتشفتهم السلطات الروسية وهم يقرأون القرآن سرا فنفذت فيهم حكم الاعدام ، وهى العقوبة التى كانت مفروضة على كل من يقرأ القرآن من أولاد المسلمين في روسيا الشيوعية [1] .

ولقد فجرت الحرب الأفغانية بركان الغضب في البلاد الاسلامية التابعة لروسيا الاتحادية وللمسلمين في وسط آسيا الذين كانوا ضمن الاتحاد السوفيتى.

وكانت الحرب الأفغانية وجهاد الأفغان مقدمة الانهيار الشيوعى ، والحق أن هذا الجهاد قضى على هيئة الاتحاد السوفيتى كما قال الرئيس الأمريكى الأسبق (ريتشارد نيكسون) في كتابه (الفرصة السانحة) فقال ما نصه :

" تمكنت المقاومة الأفغانية رغم ضعف تسليحها من وقف النفوذ الشيوعى وأجبرت موسكو على الانسحاب المهين من البلاد [1] " .

---

[1] محمد على البار ، مرجع سبق ذكره ج١ ص١٤٠ .

[1] ص١٣ من الترجمة العربية لأحمد صدقى مراد ، نشر دار الهلال المصرية القاهرة ، ١٩٩٢م . وانظر أيضا للمؤلف المسلمون في آسيا الوسطى وإيران ، ص٢٤ من المقدمة .

الفصل الثانى

الانهيار الشيوعى في الاتحاد السوفيتى
وإعلان استقلال الشيشان

في أوائل شهر ديسمبر من عام ١٩٩١م أعلنت كل من روسيا الاتحادية وأوكرانيا وروسيا البيضاء إلغاء الاتحاد السوفيتى ، وإقامة رابطة جديدة أطلقوا عليها " كومنولث الدول المستقلة " ولم تلبث أن انضمت اليها الدول الاسلامية الخمس التى استقلت في وسط آسيا وواحدة في القوقاز وهذه الدول هى :

١ - قازاقستان ٢ - وأوزبكستان ٣ - وتركمانستان ٤ - وطاجيكستان ٥- وقيرغيزستان من آسيا الوسطى ٦ - وأذربيجان من القوقاز .

واتخذ الكومنولث شكله الجديد في عاصمة قازاقستان (ألما آتا) في ٢١ديسمبر عام ١٩٩١م ليضم كل جمهوريات الأتحاد السوفيتى السابق ، عدا جمهوريات البلطيق الثلاث (استونيا - لاتفيا - لتوانيا) التى استقلت هى الأخرى ولم تقبل الانضمام الى الكومنولث الجديد ، وأعلن (نور سلطان نزار باييف) رئيس قازاقستان أن رؤساء الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتى المجتمعين في العاصمة القازاقية ألغوا رسميا ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتى الشيوعى من خارطة العالم واتفقوا على أن تحتل جمهورية روسيا الاتحادية مقعد

الاتحاد السوفيتى الدائم في الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمنظمات الدولية الأخرى[1] .

وكانت مقدمة هذا الانهيار قد بدأت بتعديلات جوهرية في النظام الشيوعى على أيام رئاسة جورباتشوف مثل أدخال نظام الانتخاب عام ١٩٨٩م وإنشاء مجلس تشريعى يراقب السلطة التنفيذية ، وتعديل الدستور ليرفع منه السلطة القيادية التى يتمتع بها الحزب الشيوعى وفي ديسمبر ١٩٩٠ صدر قانون يحول النظام الاقتصادى المركزى الى نظام السوق الحرة وفي يوليو ١٩٩١م اجتمعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى لتقرر التخلى عن الشيوعية الماركسية اللينينية . وبرز الى الساحة الدولية زعيم روسى جديد هو الرئيس (بوريس يلتسن) رئيس جمهورية روسيا الاتحادية بعد اختفاء الرئيس السوفيتي (جورباتشوف) عقب الانهيار الشيوعي ، وأعيد انتخاب يلتسين في العهد الجديد فأصبح أول رئيس منتخب لروسيا الاتحادية وهلل له الغرب وأطلقوا عليه الرئيس الديموقراطي .

إعلان إستقلال الشيشان :

وعقب هذه التطورات السريعة كانت (جمهورية الشيشان) التي هي من جمهوريات روسيا الاتحادية من الجمهوريات السباقة في إعلان إستقلالها عن روسيا عام١٩٩١م تحت قيادة أول رئيس جمهورية منتخب وهو " جوهر دودايف" وهو متحمس جدا للاسلام .

كان جوهر دواديف يقود الفرقة الجوية للسلاح الاستراتيجي النووي قبل أنهيار الأتحاد السوفيتي وعندما بدأت رياح التغيير تهب على الشيشان عام١٩٩١طرح إسم الجنرال جوهر دودابيف لكي يتسلم الزعامة في هذه البلاد ، فقد حدث في عام ١٩٩١أن أيد رئيس جمهورية الشيشان "دوكازافغاييف" زعماء الأنقلاب على جورباتشوف وبعد فشل الأنقلاب أنتهت حياة هذا الرجل السياسية ،

---

[1] مصطفى كسبة ، المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز ، وهى ملخص للأبحاث التى قدمت الى مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ، الذى انعقد بجامعة الأزهر في سبتمبر ١٩٩٣م .

فقد خرجت المظاهرات في جروزني هاتفة ضده ومطالبة بإقصاءه عن الحكم لأن أسمه كان مقترنا في الأذهان بالحقبة الشيوعية التي يكرهها الناس حين ذلك حدث فراغ في القيادة السياسية وطرح إسم الجنرال (جوهر دوداييف) الذي كان قد حضر في عام ١٩٩٠مؤتمرا عاما لأبناء الشيشان عقد في (جروزني) ولفت أنظار الكثيرين آنذاك .

كان الجنرال جوهر آنذاك في مقره بقيادة فرقة السلاح الاستراتيجي النووي الجوية بمدينة (تارتو) في جمهورية أستونيا إحدى جمهوريات الأتحاد السوفيتي منذ عاد من أفغانستان في عام ١٩٨٢حيث أبلى بلاء حسنا في الحرب ضد المجاهدين الأفغان وتمت ترقيته الى رتبة جنرال وأستقر في "أستونيا " مع زوجته الروسية الأصل "أوللا" ، وكانت زوجته أبنة جنرال روسي .

وكان دوداييف رياضيا بارزا يلعب الكاراتيه ومن أبطال حمل الأثقال وقد أشتهر كطيار فذ أبتكر أسلوبا جديدا في الحملات الجوية التي قاد بعضها بنفسه في أفغانستان ولكفاءته التي أثبتها في الحرب ضد المجاهدين الأفغان فإنه منح ميداليتين أيضا أعترافا بنبوغه واعتبر واحدا من أبطال الاتحاد السوفيتي .

وعلى الرغم من أن تجربته في حرب أفغانستان كانت مثار إعجاب القيادات السوفيتية إلا أنها ظلت تؤرق ضميره وتعذبه بعد انجازها حتى إنه حين أصبح رئيسا لجمهورية الشيشان فيما بعد أجرى أتصالا مع الرئيس الأفغاني " برهان الدين رباني " وأتفق معه على أن يقوم بزيارة الى كابول لكي يعتذر له عن دوره في الحرب لكن الظروف التي تلاحقت حالت دون إتمام الزيارة .

وعندما التفتت الانظار الى دوداييف لكي يتولى قيادة شعب الشيشان ذهب اليه وفد من الحزب الديموقراطي الشيشاني في مقره في "أستونيا" وعرضوا عليه أن يعود الى بلاده وأن يرأس اللجنة التنفيذية المكلفة بإدارة شئون البلاد ويبدو أنه كان يتحين الفرصة للعودة فإستقال في صيف عام ٩١ وكان عمره حينذاك ٤٢سنة ومنذ تولى منصبه كرئيس للجنة لم يضيع وقتا وعمل على تثبيت موقعه

في السلطة وأهم من ذلك أنه وضع نصب عينيه أن يحقق الحلم الكامن في ضمير كل شيشانى وهو الاستقلال والخروج من الأسر الروسى .

وكانت في أوائل القرارات التى أصدرها أنه دفع مؤيديه لإحتلال مبنى المخابرات ومقر وزارة الداخلية ةالاستيلاء على قيادة الجيش ومستودعات السلاح وهذه كلها مواقع كانت بأيدى الروس أنتزعها منهم ووضعها تحت سيطرته وقد فوجئت السلطة الروسية بما جرى فأصدر وزير الداخلية أمر بإعتقال دوداييف الأمر الذى رفع من أسهمه وحوله الى بطل في أعين جماهير الشعب الشيشانى التى وجدت فيه رمزا نجح في أن يعبر عن تطلعهم الى مقاومة الروس وتحديهم وكان هذا تمهيدا لإعلان الأستقلال عن روسيا الاتحادية ولم يخف الرجل هذه الرغبة ولكنه كان يعلنها في كثير من المناسبات وشجعه على ذلك أن الدستور السوفيتى كان ينص على حق شعوب الاتحاد في تقرير المصير ومبادىء القانون الدولى تعترف أيضا بذلك الحق للشعوب وقد توافرت للشيشان العناصر الثلاثة المطلوبة لإقامة دولة وهى السكان والأرض والسلطة .

كما أن الرئيس (بوريس يلتسين) كان قد خاطب الشعوب المسلمة الداخلية في اطار الاتحاد الروسي أثناء حملته الأنتخابية عام١٩٩١م فحياهم "السلام عليكم " ثم قال لهم ما نصه " خذوا من الاستقلال بالقدر الذي تستطيعون هضمه " وهي الحملة التي ألهبت مشاعر المسلمين وأحيت في نفوسهم أملا دفينا منذ عشرات السنين ومضى الجنرال دودايف في سعيه للاستقلال على الرغم من أنه أدرك أن كلام الرئيس يلتسين كان مجرد خطبة انتخابية وتم إنتخاب جوهر دودايف رئيسا لجمهورية الشيشان بأغلبية ساحقة سنة١٩٩٢م [(1)] .

أصل الشيشان :

[(1)] فهمي هويدي من مقال له في جريدة الاهرام عدد٥٢يوليو ١٩٩٥م بعنوان "مغامرة غير محسوبة " .

يعتقد بعض الباحثين أن الشيشان يعودون بأصولهم الى قبائل هاجرت من آسيا الوسطى ، ويرى البعض أنهم يعودون بأصلهم الى العرب الوافدين خاصة أن ثمة أسطورة شعبية شيشانية قديمة في هذا الصدد ورد فيها إسم مدينة (حلب) . وتشير صحيفة (نداء الأجداد) التى تصدر في (جروزنى) الى ذلك بل وتحدد إسما للمهاجر العربى الذى ينحدر منه الشيشانيون وهو "على عرب" . كما طالع بنفسه مخطوطا قديما بالعربية يشير الى أن الشيشان يعودون بأصولهم الى موجة من الهجرة العربية استقرت في شمال القوقاز . ويعتبر باحث آخر هو (أركادى جولد شتاين) أن التفاصيل التى أوردها (سيمونوف) في كتابه لا تدع مجالا للشك في صحة ما ذهب اليه . ويعتقد آخرون أن أصل الشيشان أسرة شركسية تدعى (ناختسو) سمى الشيشان على أسمها فيما مضى فعرفوا بأنهم (نوختشى) .

ولذلك جاءت الوثائق التاريخية الأرمينية في القرن السابع على ذكرهم باعتبارهم (ناختشمايتان) أى الشعب الناطق بلغة (نوختشى) ، ويرد ذكرهم في سفر التاريخ الجيورجى ١٣١٤ - ١٣٤٦ مطلقا عليه أيضا (نوختشى) أما أستاذ التاريخ (ياوز أحمدوف) فيميل الى أنهم عرق مستقل بنفسه عرف بالشجاعة والفروسية ومنهم تشكلت فئة المماليك المصرية التى حكمت مصر حتى أبادها محمد على في مذبحة القلعة عام ١٨١١ - لكن ثمة اعتقادا بأن الشيشان هم الساسان الذين حكموا بلاد فارس ذات يوم . ذلك لأن المصادر الفارسية في القرن الثالث عشر وخاصة أعمال (رشيد الدين) تشير الى الشيشانيين باعتبارهم - وفقا للنطق الفارسى - الساسان ، وهم أولئك الذين أقاموا امبراطورية ضخمة استمرت لأكثر من مائتى عام حتى ٦٤٢م وانتهت باستيلاء العرب على عاصمة فارس . ويؤكد ذلك التصور ما رجحته (الموسوعة العربية الميسرة) - القاهرة اشراف محمد شفيق غربال - من أن الفرس القدامى كانوا قبيلة

رحالة تسربوا في زمن مجهول عبر جبال القوقاز الى الهضبة الإيرانية [١] .

وعندما تولى دوداييف الحكم أقسم على القرآن أمام مفتى الشيشان وذلك مثلما فعل يلتسين عندما أصر على أن تكون مراسم تعيينه في الكنيسة الأورثوذكسية وعلى يد كبير القساوسة في روسيا . وأصر دودايف على أنه لا يتولى أى شخص شيشانى أى منصب الا إذا أقسم اليمين على القرآن معنى ذلك أنه لابد أن يكون مسلما ، وتخلى عن العلمانية أخيرا ونص على اعلان الاسلام دينا للدولة والالتزام بالمحاكم الشرعية . ويريد نموذجا معتدلا ، وهو وحدوى ينادى بوحدة شمال القوقاز في دولة واحدة وهى داغستان والشيشان والانجوش وأوسيتا وقبارديا وبلكاريا ، وهى دولة ذات موقع استراتيجى خطير وثروات طبيعية هائلة ، ويذكر بعض الباحثين [١] ان الشيشان بها ثروة بترولية كبيرة ولوكانت مستقلة لكانت في غنى الكويت .

ومن ثم قامت روسيا بحصار الشيشان واستمر هذا الحصار ثلاث سنوات كاملة منذ عام ١٩٩١ حتى قيام المدرعات الروسية وسلاح الجو الروسى بهجومه العسكرى ضد الشيشان .

حدث هذا في الوقت الذى لم تجرؤ روسيا على الهجوم على دول البلطيق الثلاث وهى (لتوانيا - ولاتفيا - واستونيا) لأن أوربا حرست هذا الاستقلال لأن هذه دول مسيحية أوربية .

وعندما بدأت عملية غزو الشيشان في ديسمبر سنة ١٩٩٤ وأعلن الرئيس جوهر دوداييف أنه من الاكرام للمرء أن يعيش مجاهدا على أن يعيش في ظل الرق والعبودية (إذاعة لندن صباح ١٩٩٤/١٢/٢٣م ، وارتدى الكفن منذ ١٩٩٤/١٢/٢٥ استعدادا للاستشهاد في سبيل الله ، والرئيس جوهر متصوف يتبع النقشبندية [٢] ولذلك ينقاد له الشعب الشيشانى في كفاحه ضد روسيا ومع أن

---

[١] أحمد الخميسى ، حرب الشيشان مشاهد من أرض القتال ، ص ٦٦ ، ٦٧ .

[١] د . محمد حرب ، من مقال له في جريدة الأهرام في ١٩٩٥/١/١٩م .

[٢] المرجع السابق .

جوهر دودابيف مع العنف العسكرى بسبب طبيعتة العسكرية الجبلية القوية ، وفكره وحدوى لإنه ينادى بوحدة شعوب القوقاز المسلمة ، ولد في المنفى الاجبارى الذى أمر به ستالين ، الا أنه رقيق الحاشية لا يميل الى العنف الدينى بأى شكل من الأشكال ، عمل على وضع دستور جديد للشيشان سنة ١٩٩١ بعد الاستقلال نص فيه على : علمانية دولة الشيشان ليتجنب المشاكل مع روسيا والغرب مع أنه أمر بإعادة فتح ١٥٥ مسجدا كان الشيوعيون قد أغلقوها واتخذ قرارا بتبنى الدولة لنشاط الفكر الاسلامى والدراسات الاسلامية فأنشأ في (جروزنى) العاصمة معهدا للدراسات الاسلامية حنفى المذهب ، وأيد دعم اقامة معهد الامام الشافعى للدراسات الاسلامية وبه معلمون مصريون [١] .

ولقد أصبح (جوهر دودابيف) رمزا لشعوب شمال القوقاز في الكفاح ضد روسيا ، وإذا استشهد دودابيف ستتحول منطقة القوقاز الى نار تحرق بيت الاتحاد الروسى ، وإذا صعد دودابيف الى الجبال فلابد ساعتها أن نحسب العد التنازلى لتفكك الاتحاد الروسى ، وفي الأمس القريب كان جورباتشوف قد أمر المدرعات الروسية باقتحام (باكو) عاصمة دولة أذربيجان وانتصرت القوات الروسية على الشعب الأذرى لكن العد التنازلى لتفكك الاتحاد السوفيتى بدأ وقتها وانهارت الشيوعية [٢] .

ولا خوف على الشيشان من الانقسام مثل ماحدث في أفغانستان فشعب الشيشان متحد ويخلو من التصارع القبلى الحاد أحد أسباب الخلاف الآن في أفغانستان ، ولا خوف من حدوث بوسنة أخرى لأن عدد سكان الشيشان حسب آخر احصاء (١,٤٥٠,٠٠٠نسمة) فيهم مليون شيشانى مسلم يملكون كل مقدرات بلادهم من القوات المسلمة الى البلديات الى الوظائف الإدارية بالإضافة الى مساندة ٥٠٠٠ تتارى مسلم و٤٠٠٠ تركى مسلم و٢٠,٠٠٠طاغستانى مسلم وهم مواطنون شيشانيون يأتمرون بأمر دودابيف والأهم من

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .

ذلك أنهم يملكون القائد العسكرى والعسكرية هنا هامة وجوهر دوداييف ضابط طيار انتخبه الشعب رئيسا للجمهورية والبوسنة لا تملك منفذا ولا جوارا مسلما بينما الشيشان تملك منافذ كلها موالية لها سواء الأنجوش أو طاغستان وكلا الجمهوريتين قد أعلنتا انضمامهما للشيشان ضد روسيا منذ اليوم الأول للتحرك الروسى العسكرى [١] .

التركيبة العرقية في الشيشان و الأنجوش:

- ٥٧,٨% شيشان .
- ٢٣,١% روس .
- ١٢٩% أنجوش .
- ٧٥% مسلمون .[٢]

أهمية القوقاز لروسيا :

روسيا تهتم بالقوقاز لأنه مخزون بترولها وطريق مواصلاتها الى الشرق والى آسيا ، والقوقاز الاسلامى مؤلف من : أذربيجان وداغستان والشيشان وأوسيتا الشمالية والأنجوش وباشقور وبلكاريا ...

والمؤرخ الروسى (فادييف) قال كلمته عن القوقازيين المسلمين " لولا الحروب القاقازية التى عاقت تقدم روسيا لا ستطاعت الجيوش الروسية أن تحتل الشرق بأجمعه من مصر الى اليابان وهى تسير على نغمات فرقها الموسيقية " .

بالأضافة الى الموقع الاستراتيجى هناك الأهمية الاقتصادية فهناك في القوقاز بترول غزير وغاز طبيعى وثروات الشيشان الطبيعية وأخوة الجوار في القوقاز غنية بالبترول ولو كانت الشيشان مستقلة لكانت في غنى الكويت كما ذكرنا من قبل واحتياطى البترول

---

[١] المرجع السابق .
[٢] مصطفى دسوقى ،المشكلة الشيشانية ، دراسة جغرافيى وتاريخية وسياسية ، بحث مقدم في ندوة بجامعة الأزهر عن المشكلة الشيشانية ١٩٩٥ .

في تتارستان أعلى منه في الكويت وبترول أذربيجان أنقى من نفط الخليج .

واتحاد شمال القوقاز اتحاد فطرى في هذه الشعوب فبمجرد إعلان تقدم القوات الروسية نحو حدود الشيشان اسرعت جمهورية الأنجوش باعلان اعتراضها على روسيا ويبدو أن الجنرال (أوشيف) رئيس جمهورية الأنجوش مصمم على مساعدة جمهورية الشيشان وجمهورية الأنجوش منفذ ثوار الشيشان في حرب العصابات المحتملة ضد القوات الروسية .

الجيش الروسى عند بداية الحرب:

عندما بدأت روسيا الحرب ، كان جيشها بتعداده البالغ مليونى فرد يعانى من أوضاع صعبة في مقدمتها الميزانية الضئيلة المخصصة للدفاع (حوالى ٤٥ تريليون روبل عام ٩٥ تساوى حوالى ٩ مليار دولار فقط مقابل ٢٦٠ مليار دولار تنفقها أمريكا على الدفاع) ورواتب العسكريين الضئيلة والأوضاع المعيشية المتدهورة ، ووجود ثلاثمائة ألف ضابط ينتظرون الحصول على مسكن ، وشكاوى الآلاف من تأخير رواتبهم ، علاوة على الأنهيار المعنوى لجيش فقد هويته الفكرية ومشروعه القومى ، ومع ذلك كان الجيش الروسى مازال ثانى أقوى جيش في العالم بتعداده وأسلحته التى تفوق بعضها لدى الجيش الأمريكى ، وحشدت روسيا أربعين ألف جندى بكل امكانياتهم العسكرية .

وكان لدى جوهر دوداييف ١٥ ألف مقاتل ، وأسلحة تركها الجيش السوفيتى منها : منصتين لإطلاق الصواريخ ، ١٠٨ آلية مدرعة ١٥٣ مدفعا ، ٤٢ دبابة ، وأكثر من ألف مدفع رشاش ، ١٤ ألف قنبلة يدوية ، ٦٠٠ صاروخا مضاد للدبابات ، وأكثر من ٢٠٠ طائرة تدريب وبعض الصواريخ المضادة للطائرات ، ولقد دمرت الطائرات كلها على الأرض وكذلك معظم المعدات الأخرى في الشهور الأولى من الحرب . وتبقى لديه قطع السلاح الخفيفة وبعض

المدرعات تصلح لخوض حرب عصابات وواضح من هذا التفوق الروسى الكاسح [١] .

وحاول جوهر دوداييف أن يتم إتصال الشيشان مع الدول الأجنبية مباشرة حيث ظل مبعوث الرئيس دوداييف يطوفون بأنحاء العالم العربى والإسلامى ونظمت الرحلات بين جروزنى والعديد من دول العالم العربى وكذلك رحلات الحج والعمرة الى السعودية وكانوا يستأجرون طائرات أوكرانية وأذريه ويدفعون لمركز المراقبة الجوية الروسى حتى يصلوا الى باكو عاصمة جمهورية أذربيجان ومنها تنطلق الطائرات الى كل مكان ولم تكن هناك ضرائب ولا رسوم جمركية فنشطت حركة الإستيراد والتهريب حتى أصبحت البلاد مركز رئيسيا لتوزيع البضائع المهربة الى مختلف جمهوريات الاتحاد الروسى وآسيا الوسطى [٢] .

من هم جيران الشيشان؟

يتوقف صمود الشعب الشيشانى على موقف جيرانه ، فمن هم جيران الشعب الشيشانى ؟

أولا : طاغستان: وتقع في الشرق من الشيشان وتطل على بحر قزوين .

ثانيا : أوستيا الشمالية :وتقع في غرب الشيشان .

ثالثا : الأنجوش : وتقع في شمال غر الشيشان .

وعندما تحرك الغزو الروسى للشيشان في ديسمبر ١٩٩٤ كان الهجوم من ثلاث جهات عبر الدول الثلاث سالفة الذكر والتقت الطوابير الثلاث في جروزنى العاصمة . ولنبدأ بالحديث عن :

الأنجوش : وهى جمهورية صغيرة عدد سكانها ٣٠٠,٠٠٠ نسمة من الشعوب الجبلية مثل الشيشان يتفقون معهم في اللغة والجنس

---

[١] أحمد الخميسى ، حرب الشيشان مشاهد من أرض القتال ص٣٨ - ٤٠ .

[٢] فهمى هويدى من مقال له في جريدة الاهرام عدد٢٥ يوليو ١٩٩٥ بعنوان (مغامرة غير محسوبة) مرجع سابق .

والتقاليد والعادات وكانوا دولة واحدة قبل استقلال الشيشان فلما استقلت الشيشان إنتهز الرئيس الروسى الفرصة وجعلها دولة مستقلة بذاتها . وكان الأنجوش قد لاقوا الأمرين على يد ستالين سنة ١٩٤٤ م إبان الحرب العالمية الثانية إذ أعلن ستالين أن الأنجوش خونة للوطن السوفيتى وتم نفيهم من وطنهم الى مجاهل سيبريا وكازاخستان وآسيا الوسطى وبعد وفاة ستالين سنة ١٩٥٣م استلم نيكيتا خروشوف السلطة وأعاد الأنجوش والشيشان الى وطنهم في الشيشان والأنجوش وأقيمت جمهوريتهم من جديد .

أوستيا الشمالية : وبعد عودة الأنجوش الى وطنهم ظهرت مشاكل أخرى فخلاف غياب الأنجوش ثلاث عشرة سنة من وطنهم حتى ١٩٦٥م كانت بلادهم محتلة من قبل أوناس آخرين ؛ فكانت مقاطعة (بريغورودنى) في أوستيا الشمالية بالقرب من عاصمة أوستيا " بلاد القوقاز " محتله من قبل الأوستين وبعد رجوع الأنجوش تراجع الأوستين عن بعض الأراضى لهم ، وعندما كان الأتحاد السوفيتى يدار من المركز موسكو بسياسة القابضة الحديدية كان الأنجوش والأوستين يحافظون على الأمن ولكنهم كانوا متحاملين على بعضهم البعض .

وعندما أنتهى الاتحاد السوفيتى أنفجرت المشاعر الدفينة وطفحت الحساسيات الى السطح وفي خريف عام ١٩٩٢م حدثت مواجهات دموية بين الأنجوش والأوستين في محافظة (بريغورودنى) في أوستيا الشمالية وخلال ستة أيام من المواجهات قتل أكثر من ٧٥٠ شخصا من الجانبين ونتيجة لذلك هجر سبعين ألفا من الأنجوش منازلهم في محافظة بريغوردنى واستقروا في جمهورية الأنجوش ، ويعيش أغلبية اللاجئين الأنجوش في عربات القطارات ومراكز اطفاء الحريق والاصطبلات ، ويعيش ٥٠% منهم بدون عمل ويعتمدون على الدعم الحكومى ، والأمل يحدوهم بالرجوع الى أوستيا الشمالية يوما من الأيام ، وحسب ما نشرته

جريدة الجارديان البريطانية في ٢٩ يونيو ١٩٩٤م فإن هؤلاء يعتقدون أنهم سيرجعون بمساعدة الروس الى وطنهم .

ولكن بعد أن أوقف الأنجوش طوابير الدبابات الروسية الغازية لجمهورية الشيشان عبر بلادهم لابد أن موقف الحكومة الروسية تجاه عودة الأنجوش الى (بريغوردنى) قد تغير لغير صالح الأنجوش ، لأن الطرف الآخر أوستيا الشمالية حليف قوى لروسيا تاريخيا ، فالأوستيون لم يكونوا مع الأمام شامل ولم ينفوا الى سيبريا خلال الحرب العالمية الثانية كما كان الأنجوش ، وفي أثناء اجتياح الروس للشيشان لم يعترض الأوستيون على عبور الروس أراضيهم في طريقهم الى الشيشان .[1]

طاغستان : أما الدولة الثالثة فهى طاغستان وموقفها كما يقول البروفيسور قوسطنطين [2] أكثر تعقيدا من الأنجوش وأوستيا الشمالية فهى جمهورية مسلمة مثلهما ، ولكنها ليست جمهورية ذات قومية واحدة إذ يقطنها حوالى ٥٠ جنسية كبيرة وصغيرة ولا يمكن تعبئة هذه الجنسيات جميعا لقد كان رد الفعل الأول لطاغستان بخصوص اجتياح الشيشان ضعيفا حيث قامت مظاهرة قوامها ثلاثة الآف شهر وخلال حرب الامام شامل ضد الحكومة القيصرية بقى بعض الطاغستانيين محايدين ، وفي فترة الحرب العالمية الثانية أستمروا خاضعين للأتحاد السوفيتى ولم يقمعوا من قبل ستالين ، وبعد تفكك الاتحاد السوفيتى في سنة ١٩٩١م لم يظهر الطاغستانيون رغبة قوية للأنفصال عن روسيا الاتحادية .

وفي حالة نشوب حرب عصابات بقيادة الرئيس دودابيف فإن الشيشان قد يحصلون على دعم ضعيف من الطاغستانيين والمدخل الوحيد لحرب العصابات الشيشانية سيكون من أنجوشيا حسب زعم البروفيسور قسطنطين وفي رأيه أنه لا يمكن تشبيه الشيشان بأفغانستان ، فأفغانستان لها مخارجها الى كل العالم الاسلامى ، ولكن

---

[1] البروفيسور الروسى قوسطنطين ماتفيف ، من مقال له عن الغزو الروسى للشيشان في مجلة العالم التى تصدر في لندن عدد فبراير ١٩٩٥م .
[2] المرجع السابق .

الشيشان محاطة بدول كمنولث الدول المستقلة حديثا عن الاتحاد السوفيتى ويصعب على هذه الدول السماح لأى انسان من الخارج التحرش بروسيا أو مستعمراتها الاسلامية ، وثمة اختلاف آخر وهو أن أفغانستان دولة مستقلة بينما الشيشان جزء مضموم الى روسيا بالقوة .

جورجيا :

أما جورجيا في جنوب الشيشان فهى دولة مسيحية ولها مشاكل مع أقلية مسلمة في اقليم يسمى أفخازيا (أو الأبازه وهذا الاقليم ينتمى اليه الإباظية في مصر الذين حرفوا أبازة الى أباظة) فإن جورجيا اذا ساعدت الشيشان وقفت روسيا ضدها في مشكلة أفخازيا وانفجر الموقف من جديد .

ومن المعلوم أن جورجيا كانت إحدى دول الأتحاد السوفيتى السابق واستقلت عنه لكن القواعد العسكرية الروسية لا تزال موجودة بها وتتهم جورجيا روسيا بمساعدة الأفخاز المسلمين الذين استطاعوا هزيمة الجيش الجورجى سنة ١٩٩٢م وإخراجه من أفخاذيا ، ولذلك عمل (شيفر نادزة) رئيس جورجيا ووزير خارجية الأتحاد السوفيتى السابق على التقرب من أمريكا وقام بزيارتها وطلب من الرئيس الأمريكى مساعدته في بناء خط أنابيب لتصدير النفط من بحر قزوين كما طلب منه المساعدة في إنهاء مشكلة أفخازيا التى أعلنت استقلالها سنة ١٩٩٣م وخط أنابيب النفط التى ترغب جورجيا في بناءه يمثل منافسا لخط أنابيب آخر يمتد في الأراضى الروسية الى البحر الأسود ، وعلى الرغم من أن جورجيا تبدوا دولة متمردة على السياسة الروسية في مناطق نفوذها اذ تعتبر روسيا جورجيا فناء خلفيا لها ولا تزال القواعد الروسية موجودة بها الا أن جورجيا لا تجرؤ على مساعدة الشيشان وجورجيا سعت للتخلص من القبضة الروسية فقد طالبت بإزالة القواعد العسكرية الروسية من بلادها . والخلاصة أن روسيا لا تزال تمسك بخيوط

كثيرة في جورجيا لا تجعلها حرة في الأنطلاق كما تشاء في التصرف في معاونة الشيشان .[1]

ويقول البروفيسور قسطنطين : " وبمعنى آخر فلدينا هنا موقف نادر ، غير متوقع وغير عادى يتطلب حله وسائل غير معتاده ، وفي رأيى فإن المخرج لا يتم الا بالحوار السلمى ، الذى يمكن تحقيقه عن طريق الذين يدركون بشاعة تبعات الحرب في الشيشان "

لكن كاتبا مصريا هو أحمد عبد الرحمن الخميسى ، وكان قد زار هذه المناطق وله مشاهداته أثناء الحرب الشيشانية فيقول : إن طاغستان تأوى أثناء الحرب حوالى نصف مليون شيشانى حيث فتح الناس لهم أبواب البيوت وأطعموهم وراحوا يفتشون لكل منهم على عمل ، وبدأت تستعيد طاغستان من الحرب الملاصقة لأراضيها صورا من الغزو الروسى لها ، وتتجدد في نفسها ملامح ذلك القاسم المشترك الذى يربط شعوب القوقاز بتاريخ واحد حاربت فيه معاً ، ضد القياصرة الروس القدامى والجدد .

وكان أبلغ دليل على أن الشعوب لا تغفر الاهانة أن الطاغستانيين المنضوين تحت راية : (مؤتمر شعوب القوقاز) قد حذروا روسيا من مواصلة الحرب على الشيشان لأنها قد تنقلب الى حرب قوقاز الجبلية الثانية ضد روسيا ، ثم أعلنوا عن جمع المتطوعين للدفاع عن الشيشان ، وهم الذين حاصروا قوات الأمن الروسية وهى تقطع الطريق عبر بلادهم الى الشيشان في ١١ديسمبر ١٩٩٤م ليعرقلوا مسيرتها ، وذهب اليهم نائ رئيس الوزراء الروسى مرغما الى " محج قلعة " في ٢٠ديسمبر ١٩٩٤م لتحرير الأسرى الروس من أيديهم .[1]

الحصار الاقتصادى :

[1] جريدة الشعب القاهرية عدد ١٧ من فبراير ١٩٩٨م . من مقال للكاتب الصحفى كمال حبيب بعنوان : " مواجهة بين روسيا وجورجيا " .

[1] أحمد الخميسى ، حرب الشيشان مشاهد من أرض القتال ص٩٢ - ٩٣ .

عندما أعلنت الشيشان استقلالها سنة ١٩٩٢م انزعج القادة الروس كثيرا حيث أن بها مخزونا نفطيا هائلا ومصادر ثروة طبيعية كثيرة ، ولها موقعها الاستراتيجى المهم في القوقاز ، واستقلالها يشجع الجمهوريات الأخرى على الاستقلال ، ولما كان الشيشان قد تصرفوا بتحد كبير للروس فإن أول عمل عمله الروس هو محاصرتهم اقتصاديا وهم دولة حبيسه جغرافيا لا حول لها ولا قوة حكم عليها موقعها الجغرافى ، فليس لهم منفذ خارج الاطار الروسى سوى هذه الدول ، وجورجا في الجنوب وهى دولة مسيحية ليست مستعدة لتقديم أى تسهيلات لهم ومن ناحية أخرى ليست على استعداد لتحدى روسيا كما ذكرنا وقد حقق الحصار الاقتصادى لمدة ثلاثة أعوام نتائجه فعزت الأقوات وغابت منتجات كثيرة من المتاجر والأسواق وأصبح ٨٠% من المصانع غير قادر على العمل ولم يعد هناك ما يكفى من المواد الغذائية لهذا الشتاء ، هذه الصعوبات الاقتصادية الناجمة عن قطع العلاقات الاقتصادية مع روسيا ساهمت في قيام معارضة في الشيشان قلقة بشأن مستقبل بلدهم ولكن تمكن جوهر دودابيف من سحقها على الرغم من تسليحها القوى من روسيا كما سبق أن اشرنا الى ذلك من قبل .

وعلى الرغم من أن روسيا دعمت المعارضة بكل السبل الا أنها فشلت وكان معنى ذلك انتصار جوهر دودابيف بشكل قاطع وذلك ليس في مصلحة روسيا ، واصبحت حكومة روسيا في موقف حرج بعد فشلها في مؤتمر (بودابست) سنة ١٩٩٤م الذى حضرته الدول الأوربية في المجر ففي هذا الاجتماع تعرضت روسيا لخسارة دبلوماسية كبيرة فقد أقر المؤتمر أندماج كل الجمهوريات الاشتراكية السابقة في شرق أوربا وجمهوريات البلطيق (أستونيا ولاتفيا وليتوانيا) في الوحدة الأوربية على الرغم من اعتراض روسيا وبعد هذا الموقف الحرج كان يلتسين بحاجة لحفظ ماء وجهه وصرف اهتمام الرأى العام بفشله على الجبهة الدبلوماسية في أوربا وأختار الشيشان لذلك ، الأمر الذى أدى الى الاسراع بالحرب .

ويذكر بعض الباحثين العسكريين وهو الدكتور فوزى طايل : [١]
إن الولايات التحدة وأوربا وراء هذه الحرب والهدف فتح جبهة جديدة تشغل روسيا عن شرق أوربا ، والهدف مزيدا من التورط في القوقاز ، واستخدام الاتحاد السوفيتى لهدم نفسه بنفسه ، وتفكيك روسيا قائم وقادم لا محالة ، ويشبه الوضع في الشيشان مثل أفغانستان فالأمريكان وراء مسألة الشيشان ، بل يذكر أن اسرائيل متواجدة أيضا . والهدف محاربة الصحوة الاسلامية ، ويذكر الدكتور فوزى طايل أن للشيشان أهمية كبرى حيث تقع على الخط الفاصل بين الشمال الأورثوذكسى والجنوب المسلم وتتحكم في الطريق بين بحر قزوين والبحر الأسود فلها أهمية استراتيجية ، وهى كتلة حيوية لها قيمة عالية من أراضى غنية ،وشعبها له تاريخ قتالى طويل ومجاهدون في سبيل الله حقا .

أوستيا الشمالية :

السكان	الأسيتين	الروس	جنسيات أخرى	العاصمة
٧٠٠,٠٠٠	٣٥٠٠٠٠	١٢٠,٠٠٠	٢٣٠,٠٠٠	بلاد القوقاز (فلاديقوقاز)

الأوستيون شعب قوقازى تنتمى لغته الى مجموعة اللغات الايرانية وأغلبهم من المسلمين يقع فيها أهم طريق حربى يصل روسيا بدول القوقاز الجنوبية ، ورئيس الجمهورية هو (أخساريك غالازوف) منذ خمس سنوات من أيام الاتحاد السوفيتى من أيام الاتحاد السوفيتى [٢] وهو رئيس البرلمان بها . وعاصمتها بلاد القوقاز " فلاديقوقاز" والأستين من العناصر الشركسية ويقطنون أعلى المرتفعات في جبال القوقاز ، والقسم الجنوبى التابع لجورجيا

[١] فوزى طايل من بحث له عن نضال الشيشان .
[٢] مجلة الوسط عدد ١٩٩٥/٢/٦م .

على النصرانية ، والأوستين الشمالى جمهورية ذات حكم ذاتى داخل روسيا الاتحادية .[١]

الأنجوش :

سكانها ٣٠٠ ألف من الأنجوش وفيها روس وشيشان وأوستين وغيرهم عاصمتها " نازران " رئيس الجمهورية (روسلان أوشيف) جنرال سابق في الجيش السوفيتى كان من المشاركين في الحرب الأفغانية وأخذ منحة من هذه الحرب وهى لقب (بطل الاتحاد السوفيتى) .

والأنجوش قوية قوقازية تمت بنسب الى الشيشان في أصولهم ولغتهم وعاداتهم . وكانت قبل ١٩٩٢م ذات حكم ذاتى مع جمهورية الشيشان وتم فصلهم عن الشيشان بعدما استقلت الشيشان سنة ١٩٩١م

ولقد وقف الانجوش ضد الزحف الروسى على شيشانيا ومنذ بدء العمليات الحرية في شيشانيا سقط في الجمهورية الأنجوشية حوالى ٣٠ فردا من القتلى وجرح أكثر من مائة نتيجة لإصطدامات مع فصائل الجيش الروسى وغارات طائراته وعبثا حاول الأنجوش في ديسمبر ١٩٩٤ الحيلولة دون تقدم القوات الروسية نحو شيشانيا .

ونزح الى " نازران " عاصمة الأنجوش أكثر من مائة ألف شيشانى أكثرهم من النساء والأطفال وأقيمت في أراضى الجمهورية مستشفيات ميدانية ومراكز اسعاف ويرفع روسلان أوشيف باستمرار صوته معارضا عمل السلطات الروسية الحربى في شيشانيا لكنه لا يؤيد نظام الجنرال جوهر دوداييف [٢] .

طاغستان :

---

[١] محمود شاكر ، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٠٣ .

[٢] الوسط عدد ١٩٩٥/٢/٦م **وانظر** أيضا محمود شاكر المرجع السابق ص ١٠٢ .

سكانها ١,٧٠٠,٠٠٠ نسمة منهم أكثر من مليون من أبناء الشعوب الجبلية الذين يدينون بالاسلام والبقية من الروس والأرض مساحتها (٥٠,٣ ألف) متر مربع نصف مساحة الأردن وتقع على الساحل الغربى لحر قزوين من الجانب الشمالى لسلسلة جبال القوقاز .

وضمت روسيا أراضى طاغستان سنة ١٨١٣م فخاض الطاغستانيون من ١٨١٧م حتى ١٨٦٤م حرب عصابات ضد القوات الروسية وفي ١٩٢١م أعلنت جمهورية طاغستان ذات الحكم الذاتى في اطار روسيا ومنذ ١٩٩١ أصبحت طاغستان في روسيا الفيدرالية عماد اقتصادها البترول وما يتصل به من صناعة آليات وكيماويات وتنتشر تربية المواشى .

عاصمة طاغستان (محج قلعة) على ساحل بحر قزوين ويمر بالجمهورية الخط الحديدى الرئيسى الذى يصل روسيا بأذربيجان وأرمينيا .

رئيس جمهورية طاغستان (محمد على محمدوف) وهو رئيس المجلس الأعلى (البرلمان) انتخب في صيف عام ١٩٩٠ وهو موال لموسكو لكن فريقا من الطاغستانيين المنضمين الى (مؤتمر شعوب القوقاز) يناشدون موسكو الكف عن العمليات الحربية في شيشانيا ويحذر موسكو بأن الحرب قد تنقلب الى حرب قوقازية ثانية ضد روسيا ، وأعلن الطاغستانيون جمع المتطوعين للدفاع عن جروزنى [1] .

وذكر الأمير شكيب أرسلان في تعليقاته على كتاب حاضر العالم الاسلامى أن سكان طاغستان يتراوح عددهم ما بين سبعة ملايين وثمانية ملايين وذلك عند بداية الثورة الشيوعية ، أما الآن وبعد مرور حوالى ثمانين عاما فإن سكانها قد تناقصوا الى مليون وسبعمائة ألف فقط بدلا من أن يزيدوا وذلك نتيجة لحرب الابادة التى

---

[1] الوسط ، عدد ١٩٩٥/٢/٦م .

شنها الشيوعيون على الطاغستان مما اضطر الملايين منهم الى الهجرة الى تركيا ومختلف الدول الاسلامية [١] .

التركيبة العرقية لطاغستان [٢]:

الدولة	السكان بالآلاف	الطاغستان	الروس	أقليات أخرى	نسبة المسلمين
طاغستان	١,٨٠٢	٨٠,٢ %	٩,٢%	١٠,٦%	٧٥%

وتعنى كلمة طاغستان بالتركية (بلاد الجبال) إذ تؤلف الجبال ثلاثة أرباع أراضيها وسكانها من المسلمين على اختلاف قبائلهم (القوموق) و (الآندى) و (الطاغستان) و(اللازكى) ولا يوجد من المصارى فيها سوى الروس الذين جاءوا مستعمرين وقبائل القوموق يقيمون في شمال البلاد وهم أول من أعتنق الإسلام فتأسست في بلادهم إمارة (طارقى) الشامية وكانت عاصمتها مدينة (طارقى) وتسمى اليوم (بتروفسك) وقبائل اللازكى يعتقدون أنهم من أصل عربى ويعرفون باسم طاغستان والى جانب هؤلاء يوجد عدد من التتار في شمال البلاد ولكل قبيلة في البلاد لهجتها الخاصة وإن كانت ذات أصل لغوى واحد وأصبحت اللغة الروسية هى اللغة الرسمية .

ومن أشهر مدنهم مدينة (دربند) وتعنى بالفارسية والعربية باب الأبواب وهوأسم أطلقه عليها المسلمون لأنها تتحكم في الممر الذى يصل بين أوربا وآسيا إذ تقترب الجبال من البحر ولا تترك إلا ممرا ضيقا تقع عنده هذه المدينة[١] .

والجنسيات الأخرى التى تساكنهم من الروس والأوكرانيين وغيرهم بدأوا بعد انفراط عقد الاتحاد السوفيتى في الرحيل وبيع ممتلكاتهم ،

---

[١] حاضر العالم الاسلامى ، ج٢ ص ١٨٨ - ١٩٣ .
[٢] مصطفى دسوقى كسبة ، مرجع سبق ذكره .
[١] محمد السيد غلاب وآخرين ، البلدان الاسلامية ، ص٧٤٤ - ٧٤٦ .

فيذكر الأستاذ أحمد الخميسى وهو مصرى عاش ويعيش في روسيا منذ زمن طويل ، أنه من المشاهد المألوفة أثناء حرب الشيشان مشاهدة اعلانات المواطنين الروس الملصقة على جدران البيوت تعلن عن بيع شققهم من أجل نزوحهم [٢] وشاهد رجال الشيشان يجندون المقاتلين من بين المهاجرين الى طاغستان ويؤلبون الطاغستانيين على روسيا ويعدون المخازن السرية للأسلحة التى يعدها جوهر دودايف في قرى طاغستان .

جمهورية القابرطاى (الكابردين – بالكار) :

عاصمتها (نالتشيك) تقع على المنحدرات الشمالية للقوقاز الكبير وبها جبل (ألبرز) وهو أعلى قمة في القوقاز ارتفاعه ٥٦٤٢ مترا مساحتها ١٢,٥ألف كيلو متر مربع سكانها حوالى ٧١٥ ألفا منهم حوالى ٣٠٠ ألف من القبرتاى (القبرطاى) و٧٠ ألف من البلكار و٢٩٠ ألف من الروس وانضمت الى روسيا عام ١٥٥٧ وفي ١٩٢٢ أصبحت ذات حكم ذاتى وفي ١٩٣٦ أصبحت جمهورية ذات حكم ذاتى والقبرتاى معظمهم مسلمون وينتمون الى الشعوب القوقازية الجبلية .

وتعرض سكانها للاضطهاد سنة ١٩٤٤ وأبعدت روسيا كثيرا منهم في الشيشان رئيس الجمهورية فاليرى كوكوف انتخب في يناير سنة ١٩٩٢م وناشد بوريس يلتسين حقن الدماء في شيشينيا [١] .

وتحمل هذه الجمهورية إسم المجموعتين الرئيسيتين اللتين يتكون منهما السكان وهما :

١ – الكابرد :

ويطلق عليها إسم (القبرطاى) ويقطنون المناطق الجبلية ويشتهرون بتربية الخيل وهم من العناصر الشركسية ويتكلمون لغة خاصة بهم لا تعود الى أصل تركى .

٢ – البلكار (البلغار) :

---

[٢] حرب الشيشان مشاهد من أرض القتال ص١٣٩ .

[١] الوسط ، العدد السابق .

وهم مجموعة أقل عددا من الكابرد وتعود لغتهم الى أصل تركى
.

وسكان الجمهورية جميعا يدينون بالأسلام لكنهم في الوقت نفسه لا يتركون عصبيتهم وعاداتهم القديمة وقد حاول زعمائهم اصلاح هذه العادات دون جدوى والجنسيات الأخرى التى تساكنهم من الروس والأوكرانيين وغيرهم وهؤلاء من المسيحين ونسبتهم ٢٥% من سكان البلاد [٢] .

ولقد تعرض البلغار للأضطهاد والنفى عام ١٩٩٤م بسبب الأعتصامات والاحتشاد تأييدا للشيشان ، وطالب مؤتمر الشعب الكابردينى في أكتوبر ١٩٩٢ بأنسحاب القوات الروسية من أراضى بلاده [٣] .

جمهورية الأديجة :

مساحة هذه الجمهورية ٧٥ ألف كيلو متر مربع تقع جنوب روسيا شمال القوقاز السهلى قرب ساحل البحر الأسود وأصبحت ذات حكم ذاتى في سنة ١٩٢٢م وأصبحت جمهورية داخل روسيا الفدرالية سنة ١٩٩١م وعدد سكانها نصف مليون منهم مائة ألف أديجى مسلم والباقون من الروس عاصمتهم (مايكوب) ورئيس جمهوريتها (أسلان جاميروف) أنتخب في سنة ١٩٩١م وتقف الدولة موقفا مواليا لروسيا لأن ميزانيتها تعتمد على روسيا بحوالى ٦٠% وموقفها من النزاع الشيشانى حيادى [١] .

وعناصرها من الشركس كلهم مسلمون وتقدر نسبتهم من السكان بنسبة ٨٠% وهذا العنصر الشركسى ينتشر أيضا على شواطىء بحر (آزوف) وتشتهر هذه الجمهورية بالبترول الذى يقدر أنتاجه السنوى بسبعة ملايين طن وقد دخل الاسلام الى هذه

---

[٢] محمد السيد غلاب ، وآخرون ، مرجع سابق ، ص٧٤٧ - ٧٤٨ .

[٣] أحمد الخميسى ، حرب الشيشان ، مرجع سبق ذكره ص١٣٩ .ومما هو جدير بالذكر أن أحمد الخميسى هو كاتب مصرى شاهد عيان عاش في الأتحاد السوفيتى فترة طويلة ويعرف اللغة الروسية معرفة جيدة ، وهو أبن المرحوم الكاتب الصحفى عبد الرحمن الخميسى .

[١] محمد السيد غلاب ، وآخرون ، مرجع سابق ، ص٧٤٩ - ٧٥٠ .

المنطقة بجهود الدعاة أيام الدولة العثمانية أمثال (درويش منصور) و (فرح على) في آواخر القرن ١٨ وسيطر الروس على المنطقة بعد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٩م وقد هاجر منهم بعد احتلال الروس جماعات أتجهوا الى البلاد الاسلامية مثل تركيا والعراق والشام وهم الذين عمروا القنيطرة في منطقة الجولان في سوريا [٢] .

جمهورية قره تشاى والشركس :

مساحة هذه الجمهورية ١٤ ألف كيلو متر مربع وتقع في جبال القوقاز الكبير في جنوب روسيا وسكانها ٤٠٠ ألف نسمة منهم مائة ألف قره تشاى و٥٠ ألف شركسى والباقى من الروس وقد نال القرتشاى والشركس الحكم الذاتى سنة ١٩٢٢م وهم مسلمون وقد تحولت منطقتهم الى جمهورية سنة ١٩٩١م ورئيسها روسى هو (سافيلييف) والجبليون أقلية بها ولذلك وقفت موقفا محايدا بالنسبة لمشكلة الشيشان ، وأيضا لأن ميزانيتها تأتى من روسيا وعاصمتها (شركسيك) وأغلبية الشركس هاجروا الى تركيا وغيرها من البلاد الاسلامية وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٨٠% وعلى الرغم من أنها تحمل اسما شركسيا الا أن سكانها بهم عناصر تترية غالبة ولغتهم تتصل بالأصل التركى[١]

غزو الشيشان :

لقد برزت مسألة تفكك روسيا للمرة الأولى في خريف وشتاء ١٩٩١م، بعد انهيار الأتحاد السوفيتى ، ففى ربيع ١٩٩١م أطلق الرئيس (بوريس يلتسين) الذى كان يومها مرشحا لرئاسة روسيا عبارته الشهيرة التى بدأت بها الأنفصالية الأقليمية داخل البلاد ، قال مخاطبا زعماء الكيانات ذات الحكم الذاتى في روسيا : " خذوا من السيادة قدر ما تستطيعون أخذه "

---

[٢] مجلة الوسط اللندنية عدد ١٩٩٥/٢/٦م .
[١] محمد السيد غلاب ، مرجع سابق ، ص٧٤٩ .

ولم ينتظر هؤلاء الزعماء طويلا فأعلنت السيادة في كل جمهورية من جمهوريات روسيا الاتحادية وعددها ١٦ ذات الحكم الذاتى بما حقق سلطة للقادة الأقليميين وأضر بموسكو ، وكان هدف يلتسين تكتيكى (مرحلى) فقط يتركز في الحصول على تأييد زعماء القوميات في أنتخابات الرئاسة عام ١٩٩١م وتم له ذلك وانتخب لمدة خمس سنوات ، وكان بذلك يقتدى بلينين الذى أعترف باستقلال هذه الشعوب وقت الشدة وبعد تمكنه أنقلب عليهم .

وكان أول من أخذ بزمام المبادرة رئيس جمهورية الشيشان (جوهر دوداييف) الذى تم انتخابه في سنة ١٩٩١م ، وأعلن الاستقلال الكامل لجمهوريته عن روسيا ، وقرر عدم الخضوع للسلطات الفدرالية الروسية عندما لوحت له باستعمال القوة .

وحاولت السلطات الروسية التخفيف من قبضتها على جمهوريات الحكم الذاتى فعقدت في صيف عام ١٩٩٢م معاهدة فيدرالية بموجبها حددت سلطات المركز الذى يأخذ على عاتقه مسئولية الدفاع وحفظ النظام والسياسة الخارجية وحماية الحدود والأنفاق على المؤسسات التى هى ملك فيدرالى للدولة ونالت الجمهوريات ٧٠% من إيراد الضرائب والحق في ادارة المشاريع الحكومية التابعة لها واقامة علاقات اقتصادية خارجية وسن القوانين المحلية والضرائب ، أما المسائل التى تختلف عليها الهيئات الفيدرالية والجمهورية فيجب أن تحل عن طريق المحكمة الدستورية الفيدرالية .[1]

وبعد توقيع المعاهدة الفيدرالية واجهت موسكو الجمهوريات الطامحة للأستقلال وفي طليعتها جمهورية الشيشان وجمهورية تتارستان ، فالأولى أعلنت استقلالها ولم تعترف بسلطة الكرملين والثانية طلبت علاقات متميزة وتوقيع معاهدة خاصة بينها وبين موسكو .

وقد وقف يلتسين بشده أمام الشيشان وقرر تجميدها الى أن يتفرغ من مشاكله الداخلية ، وكل ما فعله أنه عقب اعلان الشيشان

---

[1] مجلة الوسط ، عدد ١٩٩٥/٢/٦م .

استقلالها أعلن أنه لم تبقى للأنجوش دولة فتم فصلهم في دولة جمهورية خاصة بهم أصبحت فاصلة بينهم وبين روسيا ، وكانت الحجة المعلنة رسميا أن الأنجوش وهم شعب قوقازى قريب من الشيشان لم تبقى لهم دولة بعد اعلان استقلال الشيشان .

وأتجه يلتسين الى مشكلة تتارستان في سنة ١٩٩٣م وكانت قد طلبت من روسيا الاعتراف رسميا بسيادتها على مستوى القانون الدولى وأضطر يلتسين الى توقيع معاهدة على النحو الذى طالبت به تتارستان على أن تبقى الشئون السياسية من صلاحية السلطات الفيدرالية في موسكو .

وحدث رد فعل في مناطق أخرى في روسيا بدأت تتحدث عن عدم المساواة داخل روسيا الفيدرالية ، وظهرت شعارات تنادى بأنشاء اتحادات كبيرة من محافظات عدة وتسمى نفسها جمهوريات وتطلب الحصول على مكاسب وحقوق مثل المكاسب التى حصلت عليها الكيانات القومية ذات الحكم الذاتى ففى مسقط رأس يلتسين في مدينة (يكاترينبورج) اعلن شعبها عن قيام الجمهورية الأورالية الروسية التى تضم أربع محافظات صناعية ضخمة ، فقام يلتسين بحل هذه الجمهورية بمرسوم وأقال رئيسها (أدوارد روسيل) [1] .

ثم عقد العزم على تأديب الشيشان وبدأ يتفرغ لها لكى يعطى درسا لجميع المناطق الطامحة للأستقلال وكانت عمليات المعارضة المصطنعة ضد الشيشان قد فشلت وانتصر الشيشان عليهم واتضح أنهم روس وليسوا شيشان واعترفوا بذلك على شاشات التليفزيون الشيشانى ، وكان هدف القوات الروسية : أولا: اسقاط نظام دوداييف الذى أعلن استقلاله سنة ١٩٩١م .

ثانيا : المجيء بقوات المعارضة الى السلطة .

اجتماع تشيوكسارى :

---

(1) المرجع السابق .

وعندما اجتاحت القوات الروسية بلاد الشيشان تحركت احد عشر جمهورية واقليم للأحتجاج على هذا العمل الهمجى ودعى رئيس جمهورية (تشوفاشيا) نيقولاى الى اجتماع في مؤتمر يعقد في عاصمة جمهوريته (تشيبوكسارى) وهو من أنشط زعماء الجمهوريات في روسيا وكان هدفه بحث الأوضاع بين أقاليم روسيا وموسكو ، فحضر الأجتماع زعماء خمس جمهوريات قومية في منطقة الفولجا (الجزء الأوربى من روسيا) وست محافظات أورالية واجتمعوا في الخامس من يناير ١٩٩٥م وعلى الرغم من أن تسعه من هذه المناطق الحادية عشر خاسرة وتنال الدعم المالى من الموازنة الفيدرالية فإن سلطاتها تجرأت وأبدت معارضتها للسياسة العدوانية للسلطات الفيدرالية وكان هدف هذا الاجتماع على ما يبدوا ليس تأييد الشيشان بقدر ما هو ايضاح أن سلطات هذه المناطق المجتمعة لن توافق على تغيير قواعد العلاقات بين المركز الفيدرالى (موسكو) في أتجاه تقوية السلطة اللا مركزية .

ومن ناحية أخرى أدركت جميع المناطق أن التدخل العسكرى في الشيشان ليس هدفه معاقبة دوداييف فحسب بقدر ماهو رسالة واضحة الى كل أنصار إزالة مركزية السلطة في روسيا ، وشارك في المؤتمر الثالث إضافة الى زعماء المناطق أحد المرشحين المحتملين لرئاسة روسيا في الأنتخابات التى ستجرى سنة ١٩٩٦م وهو(يورى سكوكوف) مؤسس مجلس الأمن الروسى وأحد صانعى أنتصار يلتسين في أنتخابات ١٩٩١م والسكرتير السابق لمجلس رؤساء الجمهوريات الذى تم حله في ربيع عام ١٩٩٣م ويرأس سكوكوف في ذلك الوقت الحركة الاجتماعية السياسية المعارضة والتى تسمى (الوفاق من أجل الوطن) [1] ويلاحظ أنه كما فشل يلتسين في تنظيم معارضة شيشانية تتولى عن روسيا القيام بالمهمة سواء قبل الغزو أو بعده فقد فشل أيضا في اقامة حكومة نهضة قومية معارضة لدوداييف يتولى رئاستها (سلام بك حاجييف) وزير

---

[1] المرجع السابق ذات العدد .

النفط السابق في الاتحاد السوفيتى وهو من أصل شيشانى وذلك مع اعلان يلتسين وقف العمليات العسكرية التى بدأت يوم ١٩٩٤/١٢/١١م والأنتقال الى المرحلة الثانية من عملية التدخل وذلك لإقامة هيئات إدارية جديدة تتولى شئون البلاد وحاول يلتسين عقد صلح مع عدوه السابق (روسلان حسب الله توف) رئيس البرلمان الروسى وهو مسلم شيشانى وكان هذا الصلح مقابل أن يتولى هو الأمر في الشيشان ولكنه فشل وتمكنت قوات دوداييف من ضحر قواته وفر هاربا الى طاغستان [١] .

ويلاحظ أن روسلان حسب الله توف هذا أتى الى مصر في سنة شهر مارس من سنة ١٩٩٦م وعقد في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام بالقاهرة ندوة اشترك فيها بعض السفراء والباحثين تحدث فيها عن حرب الشيشان ووصف في حديثه قائد الشيشان جوهر دوداييف بأنه غبى وليس بطلا ، ومن العجب أنه لم يقل للحاضرين أنه كان عميلا لروسيا عندما قاد معارضة وهمية من الروس على انهم شيشان وهجم بهم على بلاده وكثير من الذين ناقشوه في الغالب لم يكونوا على علم بهذا الموقف الخيانى المخزى والأدهى من ذلك أنه قال إن الروس بحربهم للشيشان كان لهم مبرران أساسيان:

الأول : هو ضرب معاقل تجمع عصابات المافيا الشيشانية والتى تأخذ من الشيشان نقطة لأنطلاقها في روسيا وتمارس أنواعا من الفوضى في المجتمع الروسى تؤثر على المقومات الضرورية لأستقرار الأقتصاد الروسى .

الثانى : كان لتأكيد وتدعيم شرعية وجود جمهورية الشيشان ضمن جمهوريات روسيا الأتحادية وعدم السماح بالأنفصال والاستقلال عن روسيا .[١]

---

[١] مجلة العالم ، عدد فبراير ١٩٩٥م وهى مجلة شهرية عربية تصدر في لندن ، مقال بعنوان "قراءة بامعان في الغزو الروسى للشيشان " كتبه من اسطنبول محمد العباسى .

[١] جريدة الأهرام القاهرية ، عدد ١٩٩٦/٣/١٥م ، وعدد ١٩٩٦/٣/٢٢م ، في حوارين عن ندوة الأهرام مع حسب اللاتوف .

ويلاحظ على هذين المبررين السالفين من كلام حسب اللاتوف أنه يتهم المناضلين في بلاده بأنهم عصابات المافيا ، وهو بذلك يردد ما قاله الرئيس الروسى يلتسين وعصابته في موسكو وكان أولى به أن يصف هذه العصابة الروسية التى قهرت شعوب القوقاز زمنا طويلا بأنهم هم عصابات المافيا وليس الشيشان لأن من الذى أعتدى على الآخر هل الشيشان ذهبوا الى موسكو واعتدوا عليها أم أن الروس هم الذين أتوا الى (جروزنى عاصمة الشيشان) وهاجموها كاللصوص وقصفوها بالمدفعية وبالطائرات لكن حسب اللاتوف يتجاهل هذا وهو الذى كان في سجن يلتسين عقب ضرب البرلمان الروسى بالمدفعية والقبض عليه في مهاية فبراير سنة ١٩٩٤م وتم الأفراج عنه وتكليفه بقيادة معارضة مصطنعه ضد بلاده .

وهناك عملية معارضة أخرى مصطنعة جربتها روسيا ولم تنجح فقد كلفت مجموعة (عمر إفتخار نوف) حاكم ورئيس شرطة مقاطعة ذنامينسكوى السابق الذي يؤيد بقاء الشيشان في الاتحاد الروسي وقد دعمت روسيا هذه المجموعة لإقصاء دودابيف عن الحكم لعدم إثارة المشاعر القومية ، وعندما دخلت القوات الروسية يوم١١-١-١٩٩٥للأراضي الشيشانية إنطلاقا من أوستيا الشمالية عبر المناطق التي يسيطر عليها وأعلن تأييده لها إلا أن صوته لم يسمع فيما بعد خاصة بعد نجاح المقاومة الشيشانية .

وكذلك (جماعة يراجي محمودوف) رئيس وزراء سابق فقد عينته روسيا رئيسا لحكومة في المنفى ودعمتها موسكو رسميا ، وكذلك أغرت جبريل حانييف رئيس جماعة العلماء ورجال الدين وانقلب على دودابيف ، وجماعة حسين أحمدوف رئيس البرلمان الشيشاني الذي انقلب أيضا على دودابيف ، بالأضافة الى مؤتمر الشعوب القوقازية الذي شكلته روسيا ليواجه اتحاد الشعوب القوقازية المعارض لموسكو الذي وقف مع دودابيف .

ردود الفعل الروسية :

ولقد نجح دودابيف في افشال كل هذه الحركات ونجح في صد الغزو الروسي وأنزل ضربات ساحقة للقوات الروسية إذ بلغ عدد القتلى وفقا لتقديرات " موموريال " وهي منظمة روسية لحقوق الانسان ١٢ألف قتيل حتى يوم١٦-١-١٩٩٥، وأدى هذا النجاح الى احداث انقسامات داخل الادارة الروسية سواء في الحكومة أو في البرلمان أو الجيش وكان ميخائيل جورباتشوف آخر رؤساء الاتحاد السوفيتي السابق وهو من مواليد القوقاز كان أول من حذر يلتسين في بداية كانون الأول (ديسمبر) من التدخل وقال موجها كلامه ليلتسين :((إن روسيا ستنتهي إذا ما غزت القوقاز ، تذكر حرب الشيخ شامل ضد شارليك فدخول الدبابات والجنود الروس هناك يعني بداية حرب القوقاز ، فالحل يجب أن يكون عبر المفاوضات))[1] .

وكذلك اعترض نواب البرلمان الروسي ، فقد طالب (سيرجي يوشانكوف) رئيس لجنة الدفاع بالمجلس بمحاكمة يلتسين أمام البرلمان ، ووقف كل الاحزاب ضد الحرب باستثناء الحزب القومي المتطرف وبعض الزعماء القوميين وجمع الحزب الشيوعي الروسي أكثر من ٣ملايين توقيع لعزل يلتسين عن الحكم ، وعارض حزب ضياء روسيا الحرب بسبب النتائج السلبية .

وقام (سيرجى كوفاليوف) المفوض العام الروسى لحقوق الانسان والمرشح لجائزة نوبل للسلام بجولة في أوربا بدد فيها مزاعم روسيا حول القتال وقال :

" إن دولة يعمد حكامها الى الكذب كسياسة للسيطرة على شعوبها لا تستحق أن تكون وطنا "

وعلى مستوى الاعلام الروسى فإن التليفزيون الروسى قام بنشر الحقيقة التى يحاول يلتسين إخفاءها عن الشعب الروسى فأقال يلتسين رئيس التليفزيون الروسى (أوليج بوبتسون) من منصبه وكان ذلك دليلا آخر على عمق الأزمة التى تعيشها روسيا وناشد

---

[1] مجلة " العالم " عدد فبراير ١٩٩٥م .

موظفوا التليفزيون يلتسين بالإبقاء على رئيسهم وقالوا إن ذلك العمل الذى أقدم عليه يلتسين سيساعد على تدمير الديمقراطية.

وتم إجراء استطلاع للرأى العام في روسيا في شهر ديسمبر ١٩٩٤م أظهر رفض ٦٥% من الروس للتدخل في الشيشان بينما أيده ١٩% فقط ، كما أجريت عملية استطلاع للرأى في مجلس الدوما بالبرلمان الروسى فأيد ٢٢٨ نائبا وقف العملية العسكرية فورا مقابل ٣٦ رافضين الوقف . وقامت مظاهرات ضخمة في موسكو ضد الحرب . في يوم ٨ يناير ١٩٩٥م ورفع المتظاهرون لافتات تدين الحرب وتصف أعضاء القيادة الروسية بالخيانة وقتل الشعب ، وقام رئيس مجلس الدوما في البرلمان الروسى بقيادة مظاهرات للاحتجاج في ١٩٩٥/١/١٦م وطالب فيها بوقف الحرب أيضا .

أما الكنيسة الروسية فلم تقف صامته حيث أصدر القس الثانى راعى الكنيسة بيانا يوم ١٩٩٤/١٢/٢٧م يدين فيه التدخل العسكرى والوسائل التى تتخذها الحكومة الروسية في الشيشان وقال في بيان رسمى : " يجب عدم بلوغ أى هدف حتى الأكثر نبلا بطرق يمكن أن تؤدى الى ظلم كبير وبالتالى الى أعمال عنف تكون قاضية على روسيا " [1]

وهكذا اتسع حجم المعارضة داخل روسيا ذاتها وذلك بسبب فشل القوات الروسية في اقتحام العاصمة الشيشانية وسقوط آلاف القتلى وتدمير عشرات الدبابات ، فأدى ذلك الى اعلان يلتسين وقف الحرب في ١٩٩٤/١٢/٢٦م يهدف تهيئة الموقف واحتواء المعارضة تمهيدا لهجوم جديد وقام يلتسين بتوبيخ وزيرى الدفاع والداخلية لفشلهما في اخضاع الشعب الشيشانى على الرغم من ضرب مستودعات النفط والمصانع الكيماوية لاجبار الشيشان على الخروج من مخابئهم لكى يتمكن الجنود الروس من اصطيادهم .

عملية الاقتحام الثانية :

---

[1] المرجع السابق .

قام الجيش الروسى بعملية اقتحام ثانية للعاصمة جروزنى في ١٩٩٥/١/٧م بعد فشل الأولى وأعلن دوداييف : " أن اجتياح جروزنى سيكون بمثابة كارثة وكانت القوات الروسية تفقد مئات القتلى مقابل التقدم خطوة واحدة ، وذلك مما سبب إعلان وقف اطلاق النار لبدء جولة من المفاوضات سرعان ما تنهكها الروس لتجربة تكتيك قتالى جديد هو عبارة عن تدمير العاصمة بيتا بيتا بدلا من اقتحامها بالدبابات ومواجهة المقاتلين الشيشان بشكل مباشر من خلال وحدات صغيرة يتراوح عددها ما بين مائتين وثلاثمائة مقاتل مع الاغارة على خزانات البترول ، إلا أن الاداء القتالى الاستشهادى أذهل المراقبين خاصة وأن عقيدة القتال الشيشانية مبنية على أساس " إما النصر وإما الشهادة " .

ونجح الشيشان في جمع المعلومات وأدى ذلك الى قيامهم بقتل قائد القوات الروسية الخاصة الجنرال " فيكتور فوروبيوف " يوم ١٩٩٥/١/٧م ، وكانت ضربة معنوية قوية للغزاة الروس ، وقام الشيشان بتحريك قوات " الثعالب السوداء " التى يخشى منها الروس لقيامها بالانقضاض في لحظة واحدة على الهدف وتنفيذ الهجوم في لحظات ثم الانسحاب على إثر ذلك بسرعة قبل أن يعود الروس لوعيهم من هول المفاجأة [1] .

الأصداء العالمية :

تسببت هذه الهجمة الشرسة على جمهورية الشيشان الى اعتراضات شتى في العالم الاسلامى والعالم الغربى على السواء ففى مصر على سبيل المثال عقدت الندوات في الجامعات وعلى المستوى الشعبى [2] تندد بالغزو وتنادى بحق تقرير المصير للشعب الشيشانى الذى هو حق معترف به المواثيق الدولية التى تعلنها الأمم المتحدة .

وبدأت الجرائد الحكومية والمعارضة تفرد مساحات واسعة لإلقاء الضوء على الحرب الشيشانية وظهر تعاطف الحكومة

---

[1] مجلة " العالم " عدد فبراير سنة ١٩٩٥م .

[2] كان من بينها ندوة عقدت في جامعة الأزهر في ١٨ من رمضان سنة ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٥/٢/١٨م بعنوان " المشكلة الشيشانية " .

والشعب مع أشقائهم المسلمين في الشيشان وبدأت بعض الجرائد تتحدث عن شخصية يلتسين الذى يلقبه الغرب بالرئيس الديمقراطى وتكشف هذه الجرائد الزيف عن هذه الشخصية وأنها شخصية دموية ، وكان من بين هذه المقالات مقال كتبه كاتب هذا الكتاب عن يلتسين بعنوان " السفاح الديمقراطى " (٣) وفيما يلى نص هذه المقالة :

السفاح الديمقراطى :

استبشر العالم بالزعيم الروسى الجديد ورئيس روسيا الديمقراطى (بوريس يلتسين) لأنه أهال التراب على الشيوعية وكشف فضائحها وفظائعها وقام بإدانة العصر الشيوعى بأكمله ، وقام بتدمير كل الأنجازات التى كان يفخر بها المواطن الروسى وأدان الرموز التى كان يحترمها الشعب السوفيتى ، ومنها:

- تحطيم صورة الزعيم الشيوعى لينين مؤسس الدولة السوفيتية وكشف النقاب عن مدى تورط لينين في عمليات القمع الرهيبة للمواطنين في أعقاب ثورة أكتوبر عام ١٩١٧م

- كما اتهم الرئيس الشيوعى الأسبق ستالين بسوء القيادة .

- وأدان بصفة عامه كل فترة حكم الماركسية اللينينية والستالينية وحمل الحزب الشيوعى جميع سقطات تلك الحقبة .

وخرج يلتسين على المجتمع العالمى بأنه رجل الديمقراطية ونصير الحرية وحقوق الانسان التى كانت منتهكه في الأتحاد السوفيتى وصفق الغرب له وعمل له دعاية في الاعلام العالمى ، ولكن فجأة أنزعج العالم من الزعيم الجديد عندما حاصر البرلمان الروسى بالمدفعية لأنه يعارضه في سياسته الموالية للغرب وتهور الزعيم الديمقراطى وقصف البرلمان المعارض له بالمدفعية وسقط في هذه العملية قتلى من نواب الشعب وهى أول عملية من نوعها في أوربا ، ووضع باقى النواب في السجون ، ومن العجب أن أوربا الديقراطية صفقت له أيضا في هذا العمل الهمجى ، وكان رئيس البرلمان هو حسب اللاتوف (حسب الله توف) وهو شيشانى تم

---

(٣) تم ارسال هذه المقالة من المؤلف الى جريدة الجمهورية ولم يتم نشرها لسبب لا أعلمه .

وضعه في السجن ، وعندما أعلنت جمهورية الشيشان استقلالها سنة ١٩٩١م تربص يلتسين بشعبها المسلم وأخرج حسب اللاتوف من السجن وأعطاه معارضتا مصطنعة من الروس لمهاجمة بلاده لكن جوهر دوداييف قضى عليها وكشف تآمر حسب اللاتوف على بلده كما ذكرنا من قبل .

وما أن فرغ يلتسين من مشاكله مع المعارضة الروسية في موسكو حتى بدأ يتفرغ للشيشان فاصطنع أولا بعض الروس التى أطلق عليهم اسم (المعارضة الشيشانية) وأمدهم بالسلاح وبدأو حملة على الشيشان ، لكن حملتهم باءت بالفشل وهزمهم الشعب الشيشانى وقتل الكثير منهم ومن بقى منهم فضحهم جوهر دوداييف رئيس جمهورية الشيشان في الاعلام والتليفزيون واعترفوا بأنهم حنود من روسيا جندهم يلتسين والجيش الروسى لهذا الغرض واعترفوا بجريمتهم.

وأمر يلتسين بغزو الشيشان العلنى واستيقظ العالم على سفاح لا يقل دموية عن (إيفان الرهيب) في العصر القيصرى ولينين وستالين في العصر الشيوعى ولم يختلف الظلم الروسى في عهد يلتسين الديمقراطى عن غيره في العهود القيصرية والشيوعية .

وفي أوربا طالبت منظمه تابعة للمجلس الأوربى رفض طلب روسيا الانضمام اليها بسبب انتهاكات حقوق الانسان في الشيشان واعتبر المستشار الألمانى هيلموت كول ما يحدث في الشيشان ضربا من الجنون وقال الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران في ١٩٩٥/١/٧م إنه لا يجوز للروسى القيام بكل شيىء بل أى شيىء في الشيشان مشيرا الى أن تدخل روسيا يخل بوضعها كثيرا ، أما بريطانيا فقد جددت دعوتها الى إنهاء العنف في الشيشان والسعى لحل تفاوضى يعطى شكلا من الاستقلال لهذه الجمهورية داخل روسيا .

أما الولايات المتحدة فقد أبدت الغزو بشكل مباشر باعتبار أن ما حدث أمرا داخليا ، ثم بدأ موقفها يتغير عند ما فشلت روسيا في

إنهاء القتال وبسبب إرتفاع حجم الضحايا ، وأعلن وارن كريستوفر وزير الخارجية الأمريكى في ١٩٩٥/١/٧م " أن المساعدات الأمريكية لروسيا قد تخفض ، ثم شكك في سيطرة يلتسين على الوضع في موسكو " وكان معنى ذلك أن في موسكو مراكز قوة تهيمن على الأوضاع وتدفع يلتسين الى المغامرات العسكرية .

وبذلك أحدث صمود الشيشان أمام الغزو الروسى تأثيرات سياسية سلبية في علاقاتها الخارجية ، وانكشف زيف يلتسين الديمقراطى كما أحدث تأثيرات تقتصادية خطيرة ، فقد قدر (أوتولاكسى) أحد المسئولين الاقتصاديين المقربين للرئيس يلتسين أن تكلفة الأسابيع الثلاثة الأولى من الحرب في الشيشان كلفت روسيا ٣مليارات دولار ، وتكلفة اعادة تعمير الشيشان فقط ستبلغ مليار دولار [1] .

وفي يوم الثلاثاء الموافق ١٩٩٥/١/١٧م إجتمع وزير الخارجية الأمريكى كريستوفر مع وزير الخارجية الروسى كوزوريف في جنيف بشأن التباحث في مسألة العلاقات بينهما وعلى رأس الموضوعات موضوع الحرب في الشيشان .

وكان النفاق السياسى الأمريكى قد خفت وحل مكانه بعض إعلانات الانتقاد لروسيا حينما ضربت عاصمة الشيشان جروزنى بالطائرات والمدافع وضرب المدنيين الأبرياء وسقوط كثير من الضحايا المدنيين مما أثار موجة انتقاد عالمية اضطرت الولايات المتحدة الى نقد الاجراءات الروسية على الرغم من تأكيدها بأن الشيشان مشكلة داخلية وهى تؤكد على أنها تابعة لروسيا الاتحادية .

وكان أول شىء يريد أن يطمئن اليه وزير خارجية أمريكا : هل مازال نظام بوريس يلتسين ماشيا وماضيا في طريق الاصلاح الى النظام الحر الديمقراطى الرأسمالى أم أن هناك ردة لسيطرة الشيوعية على الأوضاع في روسيا وهم الذين دفعوا يلتسين الى الحرب في الشيشان بعد سكوت على اعلان استقلالهم لمدة تجاوزت أربع سنوات ١٩٩١ - ١٩٩٥م .

[1] مجلة (العالم) عدد فبراير ١٩٩٥م مرجع سبق ذكره .

وكان رد وزير الخارجية الروسى أن روسيا مازالت ماضية في مجال الاصلاح ، وأبلغ الوزير الأمريكى نظيرة الروسى قلق بلاده بسبب كثرة الضحايا من المدنيين وطالبه بالاسراع في حل المشكلة عن طريق التفاوض .

الجهاد الاسلامى :

لعل أخطر نتيجة من نتائج حرب الشيشان هو تحرك عملية الجهاد الاسلامى مرة أخرى على مستوى العالم فقد رصد المراقبون عملية تطوع كبيرة في العالم الاسلامى للاشتراك في الدفاع عن الشعب الشيشانى من شتى الدول الاسلامية وخاصة من دول وسط آسيا ومسلمى القوقاز وحوض نهر الفلجا ، الأمر الذى سيجعل عملية الجهاد ستستمر إذا انسحب جوهر دوداييف بقواته الى الجبال ، فقد ذكرت عدة صحف [1] أن قواته تدعمها عدة آلاف من المجاهدين من مختلف الدول الاسلامية وهذا الأمر يخشى الشرق والغرب منه . الأمر الذى جعل كثير من المحللين والمراقبين يقولون إن عملية العودة الى أفغانستان أصبحت واضحة في سلوك يلتسين ولم تأخذ روسيا درسا مما حدث لأن أفغانستان هى التى شاركت في تفكيك الاتحاد السوفيتى وأن حرب الشيشان ستشارك في تفكيك روسيا وخاصة بعد اشتعال الموقف في بلاد القوقاز الشمالية التابعة لروسيا فقد ذكر شهود عيان أن صور الشيخ شامل بطل المقاومة في القوقاز في القرن الماضى أصبحت معلقة في كل مكان في شتى بلاد القوقاز .

والذى جعل الرئيس الشيشانى جوهر دوداييف ينجح في الجهاد والصمود ويلفت نظر العالم اليه بشدة ويستحق احترام العالم أنه بدأ منذ تفجر الصراع في تنفيذ مخطط من ثلاث نقاط رئيسية بهدف إطالة عملية الصمود :

الأولى : تكمن في تنسيق كامل مع قيادات الشعب الدينية والاجتماعية .

[1] كان من بين هذه الصحف والمجلات صحيفة (المسلمون) و (مجلة العالم) ومجلة (الوسط) التى تصدر من لندن .

الثانية : استثمار الوضع الميدانى المرتبك للجنود الغزاة .
الثالثة : التحرك في اتجاه الرأى العام في أوربا والمجتمع الدولى بشكل عام .

ومنذ اللحظة الأولى عمد الى الاجتماع مع كبار العلماء ورؤساء القبائل ومن ثم أبقى رابطة الوصل مع مجلس الأعيان مستمرة لمتابعة تطورات القتال عن قرب للاشتراك الشعبى الشامل في المقاومة ، والمعروف أن هذا المجلس متميز تاريخيا باستقلاله عن رغبات القادة السياسيين خلال حقبة الحكم الشيوعى ولم تستطع كل المحاولات السابقة كسر استقلاله التام أو التأثير عليه ، وقد نجح الرئيس دوداييف في جعل هذا المجلس يقف دون تحفظ الى جانبه بعد أن تحققت القناعة التامة أن دوداييف ينحى سبيلا غير استعلائى ملتحما مع طبقات الشعب التى عانت من استمرار هيمنة الروس على البلاد .

ولقد عمل دوداييف منذ بدء القتال على اشراك ولديه الشابين في خطوط القتال الأمامية وقد أدت هذه التضحية العالية الى أن مجلس الأعيان اعتبر ولديه ابنين لكل الشعب ، وهذه هى القدوة الحسنة التى أشعلت نار المقاومة والجهاد في سبيل الله وخاصة بعد اصابة إبنه الأكبر خلال عمليات الدفاع عن العاصمة ، ومن هنا شاركت جموع الشعب المختلفة عن قناعة وعندما أعلن رئيس مجلس الأعيان (السيد أحمد عزيزوف) عن اصابة ابن جوهر دوداييف كانت له ردود فعل شعبية قوية أدت الى شدة التلاحم مع البطل الذى لم يبخل بأبنائه عن القتال وعرف الشعب اخلاصه ، ووصف أحد مراسلى وكالات الأنباء رد فعل الشارع الشيشانى على جرح ابن الرئيس على أنه (القشة التى قصمت ظهر البعير) إذ طغى احساس عام بأن ابن الرئيس هو ابن وأخ لكل مواطنى الشيشان الأمر الذى عزز القناعة بضرورة الانتقام والصمود ، ومن ثم الاستعداد للتحدى الذى قد يطول [1] .

---

[1] حسن بلال ، من مقال له في مجلة العالم عدد فبراير ١٩٩٥م بعنوان (حرب الشيشان والروس وعقلية العودة الى أفغانستان ، العدوان الذى سيطيح بيلتسين) .

ونجحت القوات الشيشانية في بث الرعب في نفوس الغزاة الأمر الذى أدى الى انسحاب كثير من الضباط والجنود من القتال وتقدموا للتعاون مع الشيشان واستولى الشيشان على كميات كبيرة من السلاح الروسى المتطور ودخل هذا السلاح في المعركة وأدى الى تقوية الشيشان وتعزيز معنويات المقاومة الشعبية .

هذا الى جانب الترتيب منذ البداية لحرب عصابات طويلة الأجل لا تواجه العدو بقوات مجتمعة وانما تفاجئه عند كل منعطف طريق وعند كل شارع وحارة ومن بيت الى بيت مستخدمين اسلوب الكر والفر الناجح في مثل ظروفهم ، ومن ثم تتساقط الدبابات والعربات المضرعة وتحترق بسبب تقدمها العشوائى ومفاجئة المجاهدين لها دون توقع .

وظهرت إبان القتال عبقرية دودابيف وخبرته بالروس أثناء خدمته في الجيش الروسى جنرالا في القوات الجوية للأتحاد السوفيتى ، فهو يدرك أساليب المناورة الناجحة لإدامة حرب عصابات منهكة ومرهقة ومدمرة للغزاة .

رسائل الأبنية :

زائر جروزنى يمكنه أن يلاحظ حوار الجدران مع الغزاة ومع أنفسهم ، واستخدمت الجدران أيضا لكتابة آيات قرآنية ورواية أحداث وعجائب وكتابة الأدعية ، ويمكن للزائر أن يقرأ كلمات نادرة اتفق عليها الشيشان لصعوبة الاتصال من جهة والتصنت العالى المستوى للأجهزة الروسية التى يمكنها أن تلتقط الرسائل المتبادلة بين قواته المقاومة الشيشانية من جهة أخرى ، فمثلا تم الاتفاق المسبق بكلمات تؤدى الى المعانى التالية : جريح . قناص . عتاد . نحتاج الى مساعدة . تقدموا ...الخ ويمكن أن تلتقط هذه الكلمات بعد أن ترسم بأحرف كبيرة على الجدران بواسطة المناظير المكبرة ويتم التفاهم بين المجموعات المتقاتلة ، الفكر طريفة وجديدة وأول من أكتشفها مراسل عربى لجريدة المسلمون الدولية وهو جمال حسين ، والشيشان أول من أستخدمها .

وشهد هذا المراسل القصف العشوائى لجروزنى الأمر الذى أحدث كثيرا من الاصابات والضحايا بين المدنيين العزل ، والدليل على هذا القصف العشوائى قصفهم لمقبرة مهجورة !! واستخدمت القوات الروسية البرية الأسلوب التقليدىفي عملية تطهير المبانى بكثافة نارية وقنابل يدوية ومدفعية دون الأخذ في الأعتبار حماية أرواح المدنيين [1] وهذا الضرب العشوائى للمدنيين يدل على الفشل واليأس في محاولة السيطرة على هذا البلد الحر .

أما عن موقف الرئيس (جوهر دوداييف) فإنه ينتقل باستمرار بين المناطق القوقازية ويقوم بدور المحرض والداعى لنهضة هذه الشعوب ، ورؤساء القبائل القوقازية أيدوه ووعدوه بدعم الشعب الشيشانى ، وحركة دودابيف مستمرة وسريعة وهو على اتصال دائم بقواده وكل الأوامر تصدر منه .

ولا شك أن هذه الحرب المجنونة التى شنها قادة الكرملين لن تغير من الواقع شيئا وهو أن جمهورية الشيشان ستأخذ استقلالها في كافة الأحوال بل إن محاولة إبادة الشعب الشيشانى ستقرب هذا اليوم ، وخاصة هبة الشعب القوقازى حين وجه الروس طائراتهم ودباباتهم ضد الشيشان قاموا جميعا لمواجهة الخطر الروسى لأن من تقاليد أبناء الجبال أنهم حين تحل المصيبة بوطنهم يتركون كل شيء عوائلهم وممتلكاتهم ويحملون السلاح للدفاع عن كرامتهم وكرامة جيرانهم .[1]

العاصمة الشيشانية بعد سيطرة الروس عليها:

يذكر شهود العيان الذين زارو عاصمة الشيشان بعد أن استولى الروس عليها أنها أصبحت مدينة الأشباح وتحولت الى أطلال بشكل ليس له مثيل في العالم وكأن الروس أرادو أن يزيلوها من الوجود تماما وهذه الأفعال ليست أفعال دولة حريصة على جزء

---

[1] المسلمون عدد الجمعة ١٩٩٥/١/٢٧م .
[1] المرجع السابق .

منها كما تدعى أنما فعل أعداء ليس لديهم ذرة من حرص على بقاء هذا الشعب وحضارته .

وسأترك فيما يلى أحد شهود العيان الأمناء كى يعطينا صورة حية عن هذه المأساة وهو الكاتب الصحفى المصرى الأستاذ (فهمى هويدى) فيقول :

حين زرت العاصمة الشيشانية جروزنى ، وجدت فيها بعضا من مشاهد مأساة كربلاء . فقد دكت الأرض فيها دكا ، بالضبط كما ورد في الوصف القرآنى لتجليات يوم الهول الأعظم . وتعرض أهلها لمذبحة مروعة ، تماما كما حدث في كربلاء مع الحسين بن على واهله وصحبه . نعم ليس ثمة وجه شبه بين الامام الحسين والجنرال دوداييف ، لكن الرئيس يلتسين في هذه المذبحة تقمص بامتياز شخصية الخليفة الاموى يزيد بن معاوية !

يذهل المرء للصورة التى يراها في قلب المدينة ، حتى لا يكاد يصدق ان ما يشهده هو اثار معركة عادية . فثمة أحياء تحولت الى قطعة من الجبن السويسرى التى يفصل فيها الثقب عن الآخر ثقب ثالث . وثمة شوارع ليس فيها جدار قائم بطوله . وثمة مربعات سكنية مسحت البنايات فيها مسحا ، بحيث لم تبق فيها طوبة فوق طوبة . ولم يعد يسكنها سوى الكلاب الضالة والفئران .

بعد أن تستوعب الموقف وتتأكد من أن ما تراه حقيقة وليس حلما أو كابوسا ، تدرك أن ما جرى كان انتقاما وليس حربا ، وقصما للظهر وليس كسر للشوكة ، بله استئصال لوجود وليس مجرد اطفاء لحريق ، الأمر الذى لا يدع مجالا للشك في أن الحملة العسكرية الروسية ، اذا كانت قد نجحت في احتلال جروزنى ، فانها نفت بين ما نفت كل أمل في التعايش بين الروس والشيشان .

منذ ثلاثة قرون والشيشان في حرب ضد الهيمنة الروسية ، التى رفضوها في الماضى ومازالوا يرفضونها حتى الآن ، حتى أنهم ظلوا ينتفضون ضد تلك الهيمنة بانتظام كل خمسين عاما . وما يتصوره الناس سكونا أو تعايشا بين الطرفين لا يراه الشيشان سوى هدنة بين حربين .

إن النخبة الروسية تعلم جيدا ان الشيشان يرفضون الخضوع لاى أجنبى ، ومن ثم فإن مجرد القبول بالتعايش القائم على القهر والغلبة يعد عارا يطعن الكبرياء الشيشانية في الصميم .

إن يلتسين حين حاول بالحملة العسكرية أن يصفى حسابا مع الشيشان ، فإنه كان يكمل مهمة بدأها ستالين عام ١٩٤٤م ، حين أمر بتهجير الشعب الشيشانى كله الى سيبريا لشكه في ولائهم له وفي احتمال تعاونهم مع الالمان ضده . وهى الجريمة التى اسفرت عن إبادة نصف الشيشان في الطريق وفي المنفى ، وقد قدر للنصف الباقى ان يعودوا الى بلادهم ، حين تقرر رد اعتبار الشيشان بعد حوالى عشرين عاما (سنة ٦٢) ، فانتقلوا منذ ذلك الحين من حال النفى الى حال الاسر . اذ هم في ظل الهيمنة الروسية لا يعتبرون انفسهم مواطنين في دولة لهم ، لان قناعتهم الحقيقية هى انهم اسرى لدى دولة اخرى طامعة فيهم .

" حتى هذه القناعة تغيرت بعد الحملة العسكرية الروسية " ان القيادة الروسية حين فعلت بالشعب الشيشانى ما فعلته هذه المرة ، لم تحاول ايهامنا بأنها تتعامل مع مواطنين في الاتحاد الروسى ، وانما تصرفت مع شعبنا بمنطلق الدولة المعادية والقاهرة التى تريد ان تسحق الجميع وتخضعهم بقوة السلاح .

ويحكى فهمى هويدى فيقول : بسيارة وصلنا الى جروزنى ، التى اغلق مطارها منذ ستة اشهر وصار فحصنا للاغراض العسكرية فقط ركبنا الطائرة من موسكو الى مدينة (نزاران) عاصمة جمهورية انجوشيا المسلمة المجاورة لشيشينيا (كانتا جمهورية واحدة حتى سنة ٩١) . من نزاران اخذنا السيارة التى امضت نصف نهار تزرع طرقا بائسة غير ممهدة لكى تتجنب القصف ، حتى اوصلتنا الى مرادنا .

لا تغرنك كلمات مثل (جمهورية) و (عاصمة) فالأمر أهون بكثير مما تتصور ، والجمهورية قد لا تتجاوز احدى المحافظات او الولايات في العالم العربى ، والعاصمة هى في حدود (مركز) متواضع في بلادنا ، فتعداد (جمهورية) الشيشان لا يتجاوز مليونا

و ٢٠٠ الف نسمة ، اما انجوشيا فتعدادها ٣١٥ الفا ، اى أن سكان الجمهوريتين يعادلون قاطنى شارع شبرا في القاهرة (سكان حى شبرا ثلاثة ملايين) .

اكثر ما استلفت نظرى منذ ان وصلت الى مدينة نزاران ان المجتمع الذى وفدنا اليه شديد الاختلاف عن ذلك الذى تركناه وراء ظهورنا في موسكو ، حتى يدهش المرء اذ يجد أن هذه البلاد في شمال القوقاز التى الحقت بروسيا القيصرية منذ القرن السابع عشر ، لم يغير الالحاق أو الأندماج شيئا فيها . حتى ظلا عالمين منفصلين تماما ليس بينهما شيء مشترك . بل إن هذه البلاد تظل اكثر تشابها واقرب الى اى محافظة عربية تبعد عنها بالآف الاميال ، منها الى روسيا التى تعتبرها جزءا منها .

في أنجوشيا وشيشينيا بوجه اخص تبدو الهوية الاسلامية اظهر ما تكون اذ تلاحظ بسرعة مثلا أن الطرق الصوفية ، القادرية والنقشبندية ، لها حضورها القوى في المجتمع . نلاحظ أيضا أن جميع النساء بلا أستثناء يرتدين ثياب طويلة ومحتشمة ، ويغطين شعورهن بخمار يصل أحيانا الى حد العصابة والشريط الرمزى . المهم ان تضع فوق رأسها شيئا .

ولأننى كنت قادما من موسكو في زمن الحر الشديد الذى دفع الروسيات الى التخفف في الثياب الى أبعد مدى يمكن تخيله ، فقد بدت الشيشانيات والانجوشيات وكأنهن كائنات غريبة تنتمى الى كوكب آخر .

قضيت ليلة لا تنسى في نزاران ، فالمدينة ليس بها فندق لانه من العيب ان ينزل الضيف في فندق ، بينما بيوت المسلمين مفتوحة لكل عابر وليس فيها مطعم ، لانه من العار في التقاليد ان يصحب الواحد منهم ضيفة الى مطعم لكن الله سلم . اذ بعث لنا بمن أوانا وعشانا ، حتى إذا ظهر أول ضوء للشمس انطلقنا بالسيارة الى جروزنى .

طالعنا المشهد الشيشانى عند مخارج نزاران . وجدنا عدة مئات من اللاجئين الشيشان يتكدسون في عربات قطار مهجور وعلى بعد

امتار منهم ١٦٠ آخرين تم ايواؤهم في احدى المدارس المتوسطة . الاغلبية الساحقة من النساء والاطفال ومعهم قلة من الشيوخ والمرضى . حسبوا في البداية اننا من رجال هيئات الاغاثة ، فاشتكوا من أنهم لم يتلقوا طعاما منذ شهرين ، وانهم يعيشون على معونات الاهالى ، وينفقون من بيع ما يملكون من حلى أو منقولات خفيفة حملوها معهم وهم يهرولون هربا من القصف .

حين علموا اننى صحفى قالت واحدة منهن اسمها آسيا اسادويوفا أن رئيس الجمهورية الروسية اعلن على شاشات التليفزيون أن الجيش الروسى لم يقصف السكان المدنيين " لكنه كان يكذب ويأمر بقتل الجميع بلا تمييز " .

تكلمت الأخريات : (توميشا وليدا وتمارا ومريم) ، قلن ان الدم سال في كل بيت ، حيث لم تعد هناك اسرة شيشانية لم يسقط منها قتلى ، وان الأمر اختلف بعد التدخل الروسى المسلح ، حيث وجد الشيشان جميعا أنفسهم في خندق الدفاع ، ولم يعد أمام الرجال خيار ، فالتحقوا بمعسكر الرئيس دوداييف وخرجوا معه الى الجبال لمواصلة قتال الروس .

تطوعت (آسيا) التى نصبها اللاجئون في المدرسة متحدثة باسمهم ، وهى في الأصل استاذة جامعية متخصصة في الفيزياء - وعرفتنى ببعض النماذج والحالات ، وقالت في البداية أن الجميع دمرت بيوتهم واصبحوا بلا مأوى ومنهم من جاء من قرى ابيدت عن آخرها . اشارت الى توميشا وان قريتها (ارجيون) مسحها الروس من على الخريطة ، وأن قريتين مجاورتين لها هما (فيدنيو) و (سيرجى) واجهتا نفس المصير . فقد كان يكفى أن تنطلق رصاصة ضد الروس من القرية أو المجمع السكنى ، حتى تنهمر الصواريخ الروسية وتسوى القرية او المجمع بالأرض .

انتقلت الى الآخريات . قالت ليدا إنها فقدت تسعة افراد من اسرتها ، وتمارا دخل الجنود الروس الى منزلها آخر الليل وهم سكارى وقتلوا زوجها وثلاثة من ابنائها كانوا نياما . ومريم انتزع منها رضيعة وألقاها الجنود تحت جنزير دبابة ، ومنذ ذلك الحين لم

تتوقف عن البكاء ، وتنتابها نوبة صراخ أثناء النوم ، تصيح أثناءها مطالبة الجميع باخراج طفلها من تحت الدبابة !

رافقتنا سيارة تابعة لمكتب رئيس الوزراء سلام بيك حاجييف الذى اختاره معارضوا دودابيف وباركت السلطة الروسية تعيينه ، وهو الذى كان وزيرا سابقا للنفط في أواخر المرحلة السوفيتية . مكننا ذلك من التجول في انحاء (المدينة) دون أن يعترضنا أحد .

الوصف الذى قدمت قبل قليل يجمل الصورة ، وهو ينطبق على قلب (المدينة) بوجه أخص ، حيث كانت المواجهات الضارية بين المقاتلين الشيشان والقوات الروسية التى أنقضت على المدينة وسعت الى افتراسها منذ منتصف يناير الماضى ، حتى الآن ، بعد مضى ستة أشهر ، لا تزال المدينة بلا ماء ولا كهرباء ولا غاز .

قال مرافقى معلقا على ذلك : اذا كانت المدينة مدمرة ومهجورة الى ذلك الحد ، فلمن اذن يوصلون الماء والكهرباء والغاز ؟

كان حى (استارى بروسلا) أول ما مررنا به ، بعد ما قيل لنا أنه حى المواجهة بين المقاتلين والغزاة . اشار مرافقى الى تل من الانقاض وقال : هذا مصنع المطرقة الحمراء الذى كان ينتج الدبابات ، وقيد خطوات منه كانت بناية أحدثت فيها الصواريخ فجوات كبيرة ، وكانت هذه دار الصحافة والاعلام والنشر الى جوارها بناية أخرى سويت بالأرض ، وثانية بقى منها جدار واحد ، وثالثة صارت نموذجا لا ترى فيه إلا قطعة الجبن السويسرى الحافلة بالثقوب .. وهكذا .

في ناحية بقايا حريق كسى الجدران بالسواد ، وفي ناحية ثانية صف من السيارات المدمرة . وعن بعد انبوب غاز مشتعل ، وبقايا أثاث منثور وسط الشارع . ولا أحد هنا أو هناك ، وانما صمت القبور مخيم على كل المكان ، لم يمزقه سوى نباح كلب جائع على سيارتنا التى كانت تتحرك وسط الانقاض .

المشهد ذاته وجدناه في شارع النصر ، وشارع أكتوبر ، وشارع نويابواتشيدزا ، في شارع الثورة كانت الصورة أفظع ، فهناك ينهض مبنى الرئاسة ذو الطوابق العشرة ، الذى بنى كله

بالخراسانة المسلحة ، وكان مكتب الرئيس دوداييف في الطابق التاسع منه ، ولك أن تتصور ما جرى للمبنى الذى لا يمكن وصف كم القذائف والصواريخ التى صوبت نحوه ، من طابقة تحت الأرض الذى قيل أن دوداييف احتمى به بعض الوقت ، الى الطابق العاشر الذى يعلو مكتبه . نعم مازالت الأعمدة الخراسانية كما هى ، لكن المبنى كله انتهى ، وتحول الى مجرد هيكل خراسانى شاهق ملىء بالحطام ، ومحلل ببصمات المرارة والانتقام .

ما أصاب قصر الرئاسة تكرر مع المبانى الحكومية الاخرى ، رئاسة الحكومة والوزارات المختلفة والبريد المركزى ومرفق المياه وفندق القوقاز وفندق شايكا والمسجد الرئيسى والكنيسة ، حتى لم يعد هناك مرفق في المدينة لم يدمر ولم يخرج بعاهة مستديمة .

المدهش أن المجمعات السكنية لم تسلم من الانتقام ، فأنت اذا سرت بحذاء نهر (سونجا) الذى يخترق جروزنى ، فستبلغك الرسالة كاملة ، وستتأكد من أن الحملة استهدفت بين ما استهدفت الشعب الشيشانى ذاته ، وان الذين احتلوا المدينة ارادوا توصيل رسالتهم لكل شعوب القوقاز التى قد تفكر في أن تحذو حذو الشيشان وتتطلع الى الاستقلال .

لا أعرف كيف أنتشر خبر وجود صحفى عربى في المدينة ، وان كنت أتصور ان الأمر سهل نسبيا ، لأن ظهور أى غريب يلفت الانظار ، خصوصا وسط العدد المحدد من سكان الضواحى المتبقى هناك . فقد فوجئت بعد الظهر بمن جاء يهمس في أذنى بأن جماعة من بلدة ساماشكى المجاورة يريدون الانفراد بى لمدة ساعة واحدة . حين التقينا وجدتهم ثلاثة من كبار السن ومعهم سيدة هى مديرة مستشفى البلدة .

احد الثلاثة كان يجيد العربية لانه كان مترجما سابقا في الجيش السوفيتى . قالوا أن الحاصل في جروزنى حدث ضعفه في ساماشكى ، لسبب بسيط أن المقاتلين الذين خرجوا من العاصمة انتقلوا الى مدينتهم وظلوا يواصلون الهجوم على الروس ، فاعتبر قائد الجيش

انهم لم يستوعبوا الرسالة جيدا ، وقرر أن يلقنهم درسا في ساماشكى .

ومن ثم فإنه تعامل مع المدينة واهلها بقسوة اشد . المقاتلون الشيشان لم يتأثروا كثيرا ، فقد اعتصموا بالجبال التى يتعذر على الروس الوصول اليها . ولكن القوات الروسية صبت كل غضبها ونقمتها على النساء والشيوخ والأطفال . حصدتهم حصدا بالرصاص في بيوتهم ، ومنهم من احرقت دورهم بعدما احكم إغلاق ابوابها حتى يحترقوا معها . وفجرت بالقنابل اليدوية الملاجىء والمخابىء التى احتموا بها ، فحولت تلك المخابىء الى أكوام هائلة من اللحم وبرك من الدم ! والذين حاولوا الهرب من المخابىء كانوا يمزقون بالرصاص في لحظة خروجهم منها .

قال كبيرهم أن العالم كله تحدث عن البوسنة حتى تابع الجميع ما يجرى فيها يوما بعد يوم . لكننا في شيشينيا بعيدون عن الأعين ، ولذلك فإننا نستأصل كل يوم بلا رحمة ، دون أن يسمع أحد صراخنا وجؤارنا ، سوى الله سبحانه وتعالى . وكفكف الرجل دموعه ثم سكت !

انصرفت المجموعة ، وبقيت وحدى اتساءل : هل كان الأمر يستحق ذلك الثمن الباهظ الذى دفعه الشيشان ؟ [1]

الحكومة الشيشانية الموالية لروسيا :

بعد أن قام الروس بتخريب جروزنى على النحو السالف بادروا بوضع حكومة عميلة لهم بدلا من حكومة جوهر دوداييف التى أعلنت عليهم الحرب ، وهذه الحكومة برئاسة المهندس (سالم حجاييف) وأطلق الروس عليها "حكومة الانبعاث القومى " .

ونشرت جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٥/٨/١٢م خبرا مفاده ان "الحكومة الشيشانية الموالية لموسكو تنضم لدوداييف وتطالب بالاستقلال " وهذا في الواقع تطور مثير للغاية إن دل على شىء فإنما يدل على صعوبة وجود خائن من بين الشيشان ، فقد أعلن (

[1] فهمى هويدى ، أهرام الثلاثاء ١٨ يوليو ١٩٩٥ .

سالم حجاييف) انحياز حكومته الى الرئيس الشيشانى جوهر دوداييف في طلب الاستقلال التام والسيادة الوطنية للشيشان وقال :

" إن حكومته لم تشارك في المحادثات العسكرية أو التوقيع عليها لأنها لم تخض حربا ضد أحد الا أنها تشارك في المفاوضات السياسية التى تجرى حاليا في جروزنى وأن مطالب حكومته تتطابق مع مطالب دوداييف "

وقد أثارت هذه الخطوة غضب موسكو ووجه الجنرال الكسندر ناؤموف انتقادات شديدة لحكومة سالم ووصفها بأنها عاجزة ولا تعمل شيئا وأن المدنيين في الشيشان لا يعرفون الى أى حكومة يتوجهون للحصول على المعونات .

وفي الوقت نفسه أكد ناؤموف أن الوضع قد تدهور في الشيشان مجددا بعد نزول المقاتلين التابعين لقيادة جوهر دوداييف من الجبال وتوغلهم في المدن وبدأو بسط سيطرتهم وإقامة استحكامات لهم في المدن الشيشانية وأوضح الجنرال الروسى المرابط في الشيشان أن قوات المقاومة الشيشانية بدأت تتمحور في مدن (شالى) و(شاتوى) و (اتشخوى مارتان) و (أورسو - مرتان) . واتهم الجانب الشيشانى بعدم تنفيذ بنود الأتفاق العسكرى .

من ناحية أخرى استأنفت مفاوضات السلام المتعسرة بين الجانبين في العاصمة جروزنى ووصل رئيس الوفد الروسى ميخائيلوف الى جروزنى وقد ظهرت عليه علامات الأضطراب الشديد الذى أرجعه البعض لخوفه من عدم التزام الشيشان بتنفيذ الأتفاق العسكرى فضلا عن أستمرار اطلاق النار الذى أدى الى اصابة ٢٢ جنديا روسيا خلال الليلة قبل الماضية من مجيئه إثر تعرض الجنود الروس لإطلاق النار ١٣ مرة في تلك الفترة .

ويتردد أن هناك خلافا متزايدا بين الرئيس الشيشانى جوهر والجنرال أصلان مسخادوف رئيس الأركان الشيشانى الذى يطالب بأحترام الأتفاق العسكرى الموقع في ٣٠ يوليو الماضى في حين يصر جوهر على استمرار الحرب ضد الروس حتى تحقيق الأستقلال وترسيخ سلطة الشيشان على أراضى وطنهم.

وذكرت شبكة (يورونيوز) الأوربية صباح ١٩٩٥/٨/١١م أن هناك دلائل متزايدة على استخدام الروس للأسلحة الكيماوية في حرب الشيشان وأشارت الشبكة الى وجود أكثر من ٢٠٠ شخص يعالجون في المستشفيات من آثار الأسلحة الكيماوية التى ظهرت آثارها أيضا على ثلث عدد سكان قرية (أوتى) الشيشانية البالغ عددهم ١٥ ألف نسمة .[١]

---

[١] جريدة الأهرام عدد ١٩٩٥/٨/١٢م .

الفصل الثالث

المسلمون في حوض الفولجا والقرم

حوض الفولجا ، وهو النهر الذى يسميه العرب نهر الإتل ، وهو تعبير عن إحدى الدول التى قسم إليها جنكيز خان ملكه بين أولاده ، وكان من بلادها تلك المنطقة التى تقع في جنوب شرق روسيا الحالية بين جبال الأورال ومجرى نهر الفولجا .

وكانت تحد تلك المنطقة أو الدولة التى نشير اليها بنهر الطونة والبحر الأسود وبحر قزوين جنوبا ، وبلاد ما وراء النهر وما وراء تركستان شرقا ، والمنطقة المتجمدة شمالا ، وروسيا الأوربية غربا [١] .

وسميت هذه الدولة التترية في التاريخ ولا سيما عند كتاب العرب في مصر (بدولة القبائل الذهبية) أو (دولة القبيلة الذهبية) أو (دولة القفجق) أو (دولة بركة خان) أو (مملكة أوزبك) وقد ينسبونها الى عاصمتها فيقولون (مملكة السراى) أو (دولة تتار الشمال) نسبة الى موقعها الشمالى وتفريقا بينها وبين دولة تتار الشرق .

والقفجاق أو القبجاق قبائل قديمة تجمعها بالتتر وحدة الجنس وقد خالطوا التتر حين جاءوهم وامتزجوا بهم وصاروا جنسا واحدا وأشتركوا في الملك حتى قيل لدولة التتر الشمالية دولة القفجاق .[١]

العلاقات بين النيل والفولجا :

[١]أمين الخولى ، " صلات بين النيل والفولجا " نشر دار المعرفة ، القاهرة ١٩٦٤م ص١٤ .

[١]المرجع السابق ، ص١٥ .

وقد كانت هناك قرابة جنسية بين سلاطين المماليك البحرية في مصر وبين تتار الفولجا ، لدرجة أن أحد سلاطين المماليك البحرية قال : " نحن والتتر من جنس واحد لا يتخلى بعضه عن بعض " [٢] ومن هذا الجنس كانت كثرة تمثل جيش مصر ، وتحكم فيها ، وأقام بعضهم اسرا حاكمة تتوارث الحكم مثل الظاهر بيبرس الذى حكم هو وأثنين من أبنائه ، وقوصون الأمير الذى كان يركب في خدميه ثلث عسكر مصر كلاهما قفجاقى [٣].

ومن أسباب كثرتهم أن من أخذ السلطة منهم يستقدم أهله وأقاربه فيؤمرون ، فيذكر ابن حجر في كتابه " الدرر الكامنة " أن المملوك (ظهربغا المغلى) أحد الأمراء بالديار المصرية حضر الى القاهرة سنة ٧٢٦هـ فقدمه السلطان الناصر محمد وكان يقرأ عليه كتب بوسعيد التى ترد بالمغلى (أى اللغة المغولية) ويكتب الأجوبة (أى يكتب ردود هذه الرسائل) وكان يفد عليه من أقاربه على مدى الأيام من عشرة الى مائة فيبرهم ويصلهم فمنهم من يقيم بالقاهرة ومنهم من يرجع "[٤].

ولما سمع والد يلبغا بمكانة ولده عند الناصر محمد بن قلاوون قدم الى مصر ومعه أبناه (استدمر ، وقراكز) فأمره السلطان [١] وقد م أب الأمير " طاز " ومعه أخوه جركس من بلاد الترك فتلقاه وأكرمه ، وأدخله في دين الاسلام وختنه . [٢]

والأستاذ أمين الخولى يحصى منهم كثيرا في بحثه بعنوان : " صلات بين النيل والفولجا " فيذكر أنه وصل منهم مئات الجنود الذين كانوا قد أرسلوا من الشمال لمعاونة هولاكو حين اختلف عليه ابن عمه (بركه) فكتب اليهم أن يعودوا أو يتحولوا الى مصر فوفدت منهم على مصر دفعات ، نزل منهم من نزل في جملة البحرية وقد أكرمهم السلطان ، وعمل لهم دعوة عظيمة ، وحمل إليهم الخلع

---

[٢] ابن فضل الله العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص٤٤ .
[٣] المقريزى ، السلوك في معرفة دول الملوك ، ج١ ص٦٣٧ .
[٤] الدرر الكامنة ، ج٢ ص٢٣٤ وأنظر أمين الخولى ، مرجع سبق ذكره ص١٩ .
[١] المرجع السابق ج٢ ص٢١٣ .
[٢] السلوك ٨٨٧/٢ وأمين الخولى المرجع السابق ص١٩ .

والخيول والأموال ، وأمر كبراءهم ، وصار كل منهم من سعة الحال كالأمير ، في خدمته الأجناد والغلمان ، وأفرد لهم عدة جهات ، وكثرت نعمهم وتظاهروا بدين الاسلام ، فلما بلغ التتار ما فعله السلطان مع هؤلاء وفد عليه منهم جماعة وهو يقابلهم بمزيد من الاحسان ، فتكاثروا بديار مصر (٣) .

ولكثرتهم تنقل الأخبار عنهم أنهم تآمروا ليهجموا على السلطان ويغيروا الدولة ، ومعاصروا هؤلاء المماليك كانوا ينتبهون الى أنهم تتار ، فيقول شهاب الدين أبو شامة الشاعر :

غلب التتار على البلاد فجاءهم ... من مصر تركى يجود بنفسه

بالشام أهلكهم وبدد شملهم ... ولكل شىء آفة من جنسه (٤)

البعثات الدبلوماسية :

وبناء على هذه العلاقات بين النيل والفولجا تبودلت البعثات الدبلوماسية بين القاهرة وسراى ، فبلغ عددها نحو خمسين بعثة في نحو قرنين من الزمان أو زيد قليلا ، منها نحو أربعين بعثة في نحو مائة سنة من حكم المماليك البحرية ، كان منها ثمانى بعثات على عهد الظاهر بيبرس وحده (١) وقد استمرت هذه المراسلات منذ عهد الملك الظاهر بيبرس وطول عهد المماليك البحريى وفترة من أيام المماليك البرية قرب منتصف القرن التاسع الهجرى . الخامس عشر الميلادى .

ومن هذه البعثات نحو ست وعشرين في عهد الناصر لأنه تسلطن ثلاث فترات ، فكان أطول السلاطين البحرية عهدا .

وكان هدف هذه البعثات تكوين حلف عسكرى بين النيل والفولجا يكون كماشة أحد فكيها في القاهرة ومجاله الحربى الشام

---

(٣) خطط المقريزى ، ١٩١/٣ وأمين الخولى ص١٩ -٢٠ .

(٤) النجوم الزاهرة ، ٨٢/٧ .

(١) أمين الخولى ، صلات بين النيل والفولجا ، ص٢٧ .

وما وراءها والثانى : من فكيها في ميدان تلاقى تتر الشمال بأبناء عمهم التتريين (هولاكو) وذريته يطاردونهم فيما فتحوه من بلاد الاسلام وغيرها ويكون ما يسترد منها لمصر أو قسمة بين الحليفين [٢].

وقد حاول هذا الحلف أن يقوى علاقاته السياسية والعسكرية بالمصاهرة بين التتار والمماليك ، فيذكر البعض أن أولى هذه المصاهرات كانت بين (بركة) و (بيبرس) والزوج هو الظاهر بيبرس والعروس بنت بركة خان الفولجا ، وإن كان بعض الكتاب المحققين يذكر أن العروس كانت بنت الأمير حسام الدين بركة خان الخوارزمى كما في النجوم الزاهرة وله زوجات ثلاث من التتار وهن ١ - بنت الأمير سيف الدين كراى التتارى ، ٢- بنت الأمير سيف الدين نوكاى التتارى ، ٣ - وبنت الأمير سيف نوغاى التتارى [١] والمصاهرة المشهورة هى ما كان بين الناصر محمد بن قلاون وأوزبك والعروس بنت أخى أوزبك ويقال أخته سنة ٧٢٠هـ .

وقد حققت هذه العلاقات التحالف القوى الذى أفاد الدولتين في مجال مناوأة دولة التتار الشرقية على أيام هولاكو وتيمورلنك وغيرهما .

ووصل تقدير مصر لصداقة (السلطان بركة) أن دعا له الخليفة العباسى على المنبر بعد الدعاء لسلطان المماليك ، وأصدر السلطان أمره للخطباء بأن يدعوا على المنابر بمكة والمدينة والقدس والقاهرة لسيد الفولجا بعد الملك بيبرس[٢] .

وكانوا يرسلون اليه الهدايا العظيمة ، ويكتبون اليه بما تكرر في المناسبات المختلفة عند المراسلات يذكرونه بقواعد الحلف العسكرى ومبرراته الدينية التى توجب جهاد الكفار ولو كانوا أهله ، فإن النبى عليه الصلاة والسلام قاتل قريشا وهم عشيرته الأقربون ويذكرون له أن هولاكو لأجل زوجته النصرانية أقام دين الصليب وما

---

[٢] نفس المرجع ص ٢٨ .
[١] أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٧ ص١٧٩ .
[٢] المقريزى ، السلوك ، ج١ ص٤٩٨ .

الى هذا من الاغراء (بهولاكو) ، وإظهار الميل والمودة الى بركة خان .

وفي رسائل بركة لى سلطان مصر كان يحرص على ذكر من اسلم من بيوت التتار وتفصيلهم بقبائلهم وعشائرهم وصغيرهم وكبيرهم وقيامهم بالفرائض والسنن والزكاة والغزاة والجهاد في سبيل الله ، وإعلان أنهم يحاربون ابناء عمهم (ورثة هولاكو) ، الذين هم من لحمهم ودمهم لإعلاء كلمة الله ، وتعصيا للاسلام لأنهم بغاة والباغى كافر بالله ورسوله .[١]

ولا شك أن لوجود الخلافة في مصر وحكم الحرمين الشريفين وما يتصل بذلك من زعامة مصر للعالم الاسلامى ومركزها السياسى القوى كان له أكبر الأثر في ترادف الزيارات والبعثات عليها من جانب كل الدول حتى أن ملك القفجاق يرسل في سنة ٦٨٢ هـ الى السلطان قلاوون : أنه أسلم ويريد أن ينعت نعتا من نعوت أهل الاسلام ويجهز له علم من أعلام الخليفة وعلم سلطانى يقاتل بهما أعداء الاسلام ، فتجهز مصر رسله الى الحجاز ثم يعودون فيسيرون الى بلادهم بما يريدون [٢].

وكانت هناك صلات ثقافية بين النيل والفولجا ، فقد عمل سلاطينهم على تزيين بلاطهم بعلماء يعدون أعلاما في تاريخ المعارف الإسلامية وفي ذلك يقول ابن عربشاة : [٣]

" وكان عنده - أى بركة خان - في ذلك الزمان ، وكان عند أوزبك خان بعده ، وجانى بك خان ، مولانا قطب الدين العلامة الرازى والشيخ سعد الدين التفتازانى ، والشيخ جلال الدين شارح الحاجبية ، وغيرهم من الفضلاء ، الحنفية والشافعية ، ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين البزازى ، ومولانا أحمد الخجندى ، رحمهم الله تعالى ، فصارت (سراى) بواسطة هؤلاء السادات ، مجمع العلم ومعدن السعادات ، واجتمع فيها من العلماء ، والفضلاء ، والأدباء ،

---

[١] أمين الخولى ، ص٤٣ - ٤٤ .

[٢] المرجع السابق ص٤٥ .

[٣] في كتابه " عجائب المقدور في أخبار تيمور " . وابن عربشاة عاش في (سراى) مدة وتزوج منها ، فله بها معرفة كافية ، أنظر أمين الخولى ، مرجع سبق ذكره ص٦١ .

والظرفاء ، ومن كل صاحب فضيلة وخصلة نبيلة جميلة ، في مدة قليلة ، ما لم يجتمع في سواها ، ولا في جامع مصر ولا في قراها " !!

والأستاذ أمين الخولى يرى في قول ابن عربشاة مبالغة فيعلق عليه بقوله : "وإن يكن هذا القول مبالغة ، فإنه يقوم على حقيقة ، هى : أن سراى قد اعتمدت اعتمادا ، غير قليل ، على المدن الإسلامية الكبرى في آسيا . كخوارزم ، وسمرقند ، وما اليها ، وأنها كانت - على ما يبدو - تقدر مركز مصر في هذه الناحية الثقافية ، وتفيد من علاقاتها الودية بها ، في ذلك حتى أنها ، حين عادت البعثة المصرية منها سنة ٧٢٣هـ قد حملتها مع هداياها كتابا تطلب فيه الى السلطان موافاتها بكتاب (جامع الأصول في أحاديث الرسول) وكتاب (شرح السنة) و كتاب (البحر) للرويانى في الفقه وعدة كتب طلبتها فجهزت لها .

وهذا الخبر وحده كاف للدلالة على الصلة الثقافية بين البلدين وانتفاع تلك الصلات بنواحى الصلات الأخرى التى رأيناها ، من دينية وسياسية واقتصادية فوق ما كان يشعر به الطرفان من قرابة ووحدة دم ... وبعد ما كان من مصلحة مشتركة غير متعارضة . " (١)

ويذكر أيضا أمين الخولى أنه كانت تجرى الرحلة بين القاهرة وسراى ، أو النقلة التامة من إحداهما الى الأخرى بما أنهما وطن علمى مشترك للعلماء فسنجد من هؤلاء الراحلين الى الدولة المصرية وهم ناضجون :

١. محمود بن السرائى - (ت) ٧٧٥هـ ، قدم من بلاده وهو كبير فأقام بالشام مدة ، فشغل الناس وأفاد وتخرج به جماعة ، ثم كان في القاهرة الأصول والمعقول و المنطق .
٢. ضياء بن سعد الله بن محمد القرمى بن قاضى القرم - (ت ٧٧٨هـ) قدم القاهرة ، وولى مشيخة المدرسة البيبرسية ، وتدريس الشافعية بالشيخونية ، ومشيخة مدرسة السلطان

(١) أمين الخولى ، مرجع سبق ذكره ، ص٦٢ .

الأشرف وأمر الأشرف بتسميته (شيخ الشيوخ) وإسقاط هذا الأسم عن آخر غيره كان يسمى به وكان هذا القرمى ماهرا في العلوم الاسلامية ، يستحضر المذهبين الشافعى والحنفى ، ويفتى فيهما ويقول : أنا حنفى الأصول ، شافعى الفروع كما كان ماهرا في البلاغة ، قرأ عليه السعد التفتازانى ، كما كان دائم الاشتغال لا يمل ، ويدرس بغير مطالعة .

٣.ركن الدين القرمى أحمد بن محمد ـ توفى سنة ٧٨٣هـ ـ نضج في البلاد الشمالية ، وحكم ثلاثين سنة ، ثم قدم القاهرة ، بعد ذلك ، فناب في الحكم ، وولى إفتاء دار العدل ، ودرس بالجامع الأزهر .

ولما ولى التدريس قال : لأذكرن لكم ما لم تسمعوه ... وله شرح على صحيح البخارى لم يتمه ، ومع ذلك عندما اختلف الناس ، في تفضيل شرح العينى على البخارى ، وشرح ابن حجر عليه ، وقالوا لابن حجر إن في شرح العينى زيادات ... الخ قال ابن حجر بديهة : هذا شىء نقله من شرح ركن الدين .

٤. شهاب الدين السرائى ، المشهور بمولانازاده العجمى توفى سنة ٧٩١هـ ـ ولد بسراى ، ودرس بها حتى برع في العلوم ، ثم وفد على الشام فأقام بها مدة ، يدرس ويشارك في الفنون ، ثم دخل القاهرة ، وفوض إليه تدريس الحديث بالظاهرية ، في أول ما فتحت ثم درس الحديث ، في الصرغتمشية ، وأقرأ بها كتاب (علوم الحديث) لابن الصلاح ، بقوة ذكائه ، حتى كانوا يعجبون منه .

ومن الطريف أن نختم القول في صلات العلماء المرتحلين ، بعالم جمع الانتساب ، الى العاصمتين اللتين نحدث عن صلتهما ، وهما القاهرة وسراى ، وهو :

٥. محمود بن عبد الله ، أبو الثناء السرائى ثم القاهرى ـ توفى سنة ٨٠١هـ وكان يجيد اللغات الثلاث . العربية والفارسية والتركية . [1]

كما رحل العينى المعروف وهو محمود ابن أحمد ابن موسى (ت٨٥٥هـ) الذى يقول في مقدمة شرحه المعروف (بعمدة القارىء في شرح صحيح البخارى) : " ثم إنى لما رحلت الى البلاد الشمالية

---

[1] المرجع السابق ، ص٦٤ ـ ٦٦ .

الندية قبل الثمانمائة من الهجرة الأحمدية ، مستصحبا في أسفارى هذا الكتاب ، لنشر فضله عند ذوى الألباب ، ظفرت هناك من بعض مشايخنا ، بغرائب النوادر ، وفوائد كاللآلىء الزواهر "

حوض الفولجا الآن :

توجد في حوض الفولجا الآن سبع جمهوريات ذات إستقلال ذاتى وهى أغلبية اسلامية فكثير من أبنائها يدينون بالاسلام وهى :

١ - جمهورية بشكيريا . ٢ - جمهورية تتارستان .
٣ - جمهورية الجوفاش . ٤ - جمهورية موردوف .
٥ - جمهورية أدمورت . ٦ - جمهورية مارى .
٧ - جمهورية شكالوف (أورنبرج) .

وقد انتشر الاسلام في حوض الفولجا سلميا كما سبق أن ذكرنا في القرن الثانى الهجرى عن طريق التجار والدعاة النشطين ، وسلك التجار والدعاة طريق الفراء من الجنوب الى الشمال على طول نهر الفولجا وذلك في القرون من الثانى حتى السادس ، وطريق الحرير من الغرب الى الشرق أى من البحر الأسود الى الصين .

ودخل الاسلام على نطاق واسع في مناطق الفولجا منذ سيطرة المغول على هذه المناطق في عهد الملك المغولى (بركة خان) بن جوجى بن جنكيز خان زعيم القبائل الذهبية [1] .

ونظرا لبعد هذه الجمهوريات عن البلاد الاسلامية فإن القهر الروسى نال منها الى حد كبير وعلى الأخص في فترة الحكم الشيوعى ، فقد فصلها تماما عن الاتصال بالمسلمين بالقوقاز والمسلمين في حوض بحر قزوين .

ومن ثم تحاول هذه الجمهوريات داخل روسيا أن تأخذ بعض الحقوق الدستورية في جو الديمقراطية الجديد بعد إلغاء الاتحاد السوفيتى وعلى الأخص في (جمهورية بشكيريا) و (جمهورية

---

[1] توماس أرنولد ، الدعوة الى الاسلام ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٨ - ٢٥٠ .
وانظر أيضا : المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتى ، مجلة العربى عدد ١٩٨٢/٢/٨م .

تتارستان) لتمتعها بموارد إقتصادية أكثر من غيرهما في مجال البترول والصناعات والطاقة .

ونظرا لأن أراضى هذه الجمهوريات محاطة بروسيا من كافة الأنحاء ولهزومنخه٩٨ذا يصدق عليهم قول رئيس بشكيريا (مرتضى عبيد الله رحيموف) : " نحن مع روسيا في قارب واحد " ولهذا أيضا يحاولون بناء علاقاتهم مع روسيا على أساس التعاقد ، وهم جادون في الحصول على السيادة ويحاولون إعادة توزيع ثروات بلادهم لمصلحتهم .

وعلى الرغم من وجود منظمات اسلامية كثيرة تكونت بعد إلغاء الاتحاد السوفيتى تريد الأنفصال عن روسيا إلا أن حكوماتها لا تريد أن تذهب بعيدا عن نيل الاستقلال الذاتى ، ولا ترغب هذه الحكومات أن تعقد الأمور كما حدث مع الشيشان عندما أعلنت استقلالها فقامت القوات الروسية بتدمير عاصمتها وكثير من المدن بها ومازالت تتربص بها .

ومع ذلك فقد رفضت هذه الجمهوريات الأسلوب العسكرى في معالجة أزمة الشيشان ودعت الى بحث الموضوع في مجلس الاتحاد الروسى من أجل سحب قوات الجيش الروسى ووقف عمليات قصف المدنيين في الشيشان .

وفيما يلى نلقى الضوء على هذه الجمهوريات :

جمهورية بشكيريا :

مساحتها ١٤٣ ألف كيلو متر مربع وتقع في الأورال تجاور تتارستان عدد سكانها ٤ ملايين منهم مليون بشكيرى مسلم والبقية من الروس والتتار والأوكرانيين وغيرهم وكان البشكير في سنة ١٥٥٧ قبلوا طوعا الجنسية الروسية وشكلت جمهوريتهم في ١٩١٩م ونالت بلادهم السيادة في ١٩٩١م ورئيسها (مرتضى عبيد الله رحيموف) رئيس البرلمان وعاصمتها " أوفا " .

وتعد بشكيريا ثالث جمهورية في روسيا من حيث الغنى وأساس اقتصادها البترول وصناعة الماكينات والطاقة وعلاقاتها متزنة مع

موسكو وحاول البشكير أخذ وضع متميز مثل تتارستان وهم جادون في الحصول على السيادة وفي إعادة توزيع ثروات الجمهورية لمصلحتهم ومن أسباس الأستقرار قلة الشعب الذى تحمل الجمهورية اسمه فالبشكير ربع السكان .[1]

وأعلنت بشكيريا دستورها بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وأثار هذا الاعلان الاحتجاجات في الأوساط المتطرفة في موسكو لكن (مرتضى عبيد الله رحيموف) رئيس الجمهورية شدد على أن أساس سياسة بلده هى : " بيان اعلان سيادة بشكيريا " ونتائج الأستفتاء الشعبى الذى جرى في ٢٥ أبريل عام ١٩٩٣م ، وانتقد رحيموف دستور روسيا الاتحادية ووصفه بأنه (مولود مبتسر) ويتعين تعديله ويجب الانطلاق من الواقع وليس من التمنيات ، ويجب على روسيا أن تقبل بالحل الوسط إذا أرادت المحافظة على الاتحاد ، وقد وجد الحل الوسط لدى توقيع المعاهدة الأتحادية بين موسكو و (أوفا) وقال رحيموف إن بشكيريا محاطة بالأراضى الروسية من كافة الأنحاء ولهذا نحن مع روسيا في قارب واحد ، ويجب علينا أن نتعلم من حكمة السلف الصالح ، وكان أجدادنا يبنون علاقاتهم دائما على أساس التعاقد وهذا ما حدث في أيام (إيفان الرهيب)وكذلك في عام ١٩١٩ حين تأسست جمهورية بشكيريا ، لذا فإن سعينا الى التعاقد ليس نزوة هذه الأيام ، بل له جذوره التاريخية " [1]

إن جوهر اعلان سيادة بشكيريا يقوم على أساس إقامة علاقات جديدة مع روسيا بشكل يرضى مصالح شعبنا ، أما الذين يريدون استثارة النزاعات وسفك الدماء فأمرهم الى الله عز وجل فهو الحكم .

ومرتضى رحيموف أول رئيس لجمهورية بشكيريا وانتخب لهذا المنصب في عام ١٩٩٣م ، وكان يشغل سابقا منصب مدير مصنع تكرير النفط في (أوفا) العاصمة وقد توترت العلاقات بين موسكو

---

[1] الوسط مرجع سابق .

[1] انظر تحقيق موسع عن " بشكيريا المحطة القادمة لروسيا " في جريدة المسلمون ، كتبه الأستاذ عبد الله حسن عدد ٤من رمضان سنة ١٤١٥هـ ٣من فبراير ١٩٩٥ .

وأوفا ولم تخف حدة التوتر إلا بعد التوقيع في موسكو عام ١٩٩٤م على معاهدة فصل الصلاحيات بين هيئات السلطة في روسيا الأتحادية وجمهورية بشكيريا ، وتشبه هذه الوثيقة المعاهدة التى وقعتها روسيا من قبل مع جمهورية تتارستان ، وتنص على منح بشكيريا استقلالا واسعا في الشئون الأقتصادية والادارية وإقامة علاقات مع الدول الأخرى دون الرجوع الى موسكو ، ووصف رحيموف التوقيع على الاتفاقية بأنه (حدث تاريخى) بعد مفاوضات استغرقت أربعة أعوام .

موقف بشكيريا من أزمة الشيشان :

رفضت بشكيريا الأسلوب العسكرى في معالجة أزمة الشيشان ، ودعت الى بحث الموضوع في مجلس رؤساء الاتحاد الروسى من أجل سحب قوات الجيش الروسى ووقف عمليات قصف الأحياء السكنية في (جروزنى) .

ويذكر (رفيس قادروف) مدير بنك (الشرق) البشكيرى وأحد كبار رجال الأعمال في بشكيريا : " إن بلادنا ضعيرة وخيراتها كثيرة ، ويجب وضع هذه الخيرات في خدمة الناس جميعا دون التفريط فيها ، ولهذا لا تنوى بشكيريا الدخول في مجابهات مع أحد بل تريد العمل من أجل شعبها أولا وآخرا " [1].

الدعوة الاسلامية في بشكيريا :

تعتبر بشكيريا إحدى قلاع الدعوة الاسلامية فس روسيا ، وذلك على الرغم من المحاولات الكثيرة لإرغام أهلها على التخلى عن دينهم واعتناق المسيحية الأرثوذكسية ، ففى عهد الأمبراطورة (كاترين الثانية) اضطرت الى اصدار أمر بالكف عن محاولة تنصير البشكير بالقوة خشية تنامى روح معاداة البشكير للروس وما يجلبه ذلك من مشاكل على الدولة . بل إن البشكير والتتار حاربوا في

---

[1] المرجع السابق .

صفوف ما سمى (الكتائب البشكيرية) الى جانب القوات الروسية ضد غزو نابليون للبلاد في عام ١٨١٢م .

ويفتخر أبناء بشكيريا بأنهم دخلوا دين الحق (الاسلام) بدون إكراه ، بل عن قناعة وإيمان في عهد الأميرين (أوزبك) و (جانيبك) من زعماء دولة (القبيلة الذهبية) ، وبقيت مدينة (أوفا) عاصمة بشكيريا على مر العصور باعتبارها مركزا دينيا وشيدت فيها المساجد العامرة حتى يومنا هذا ، واضطر حتى الشيوعيون الى الأعتراف بوضعها الخاص هذا ، ووافقوا على أن يكون مقر الإدارة الدينية لمسلمى روسيا في هذه المدينة بالذات (أوفا).

ويرجع الفضل في نشر الاسلام في صفوف البشكير الى البلغار (التتار) ذلك الشعب الذى كان يقطن على ضفاف الفولجا ، وكان في طليعة الأقوام التى أعلنت إسلامها في أواسط روسيا ، وصار الدعاة البلغار يترددون على مناطق غرب بشكيريا ، وبدأ الاسلام ينتشر تدريجيا ليحل محل الوثنية ، وتحقق له النصر التام في أواسط القرن الثامن الهجرى عندما انضم البشكير الى دولة (القبيلة الذهبية) التى أقامها المغول على ضفاف الفولجا ، ويعود الفضل الى الأميرين (أوزبك) و (جانيبك) في ترسيخ الدعوة الاسلامية ونشر الحضارة الاسلامية في بشكيريا ببناء المساجد في جنوب الأورال لتعليم اللغة العربية وقراءة القرآن .[١]

الاحتلال الروسى :

خضعت بشكيريا للاحتلال الروسى في سنة ٩٦٥هـ (١٥٥٧م) في عهد (إيفان الرهيب) ، وواجه البشكير حرب الإبادة التى واجهها إخوانهم تتار الفولجا ، وفرض عليهم التنصير أو القتل أو التشريد ، وشكلوا مع تتار الفولجا الشتات التترى المعروف باسم (الدياسبورا) والذى أمتد على طول الأراضى التى احتلتها روسيا القيصرية [٢] ، وبدأت حملة التنصير لإرغام البشكير على نبذ

---

[١] المرجع السابق . وانظر أيضا محمد على البار ، مرجع سبق ذكره ، ج١ ص١١١ .
[٢] محمد على البار ، مرجع سبق ذكره ، ج١ ص١١١ - ١١٢ .

عقيدتهم واتباع دين الدولة الرسمى المسيحية الأرثوذكسية ، لكن هذه الحملة باءت بالفشل لأن العقيدة الاسلامية كانت قد ترسخت في قلوب الناس ، وأصبحت في الوقت نفسه رمزا لتطلعهم الى التخلص من الحكم الروسى .

وقد استطاعت روسيا أن تفرض التنصير على حوالى ١٥ ألف من (الناغايبك) إحدى قبائل البشكير وذلك في القرن الثامن عشر الميلادى ، وقام البشكير بعدة ثورات ضد حكم القياصرة وقد أخمدت جميع الثورات بقسوة بالغة ، وفي عهد كاترين الثانية التى أعطت المسلمين شيئا من الحرية الدينية نشط البشكير نشاطا عظيما في بناء المساجد والمدارس الاسلامية ، ورغم أن عهد التسامح الدينى لم يدم بعد وفاة كاترين لأن خلفاءها عادوا الى سياسة الكبت والضغط على المسلمين ، ولم يسمح ببناء مساجد جديدة إلا أن ما بقى من المساجد التى شيدت بكثرة في عهد كاترين بلغ عام ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) ١٥٥٥ مسجدا كما كان يوجد في هذا الوقت ٦٢٢٠ مدرسة اسلامية .[١]

وعلى الرغم من أن السلطات الروسية أوجبت دفع ضريبة خاصة على من يرتادون المساجد علاوة على الاتاوات التى تدفعها المساجد والهيئات الدينية فإن البشكير ظلوا متمسكين بدينهم ، والحقيقة أن البشكير شهدوا شتى صنوف الاضطهاد في دفاعهم عن دينهم لم يعرفها أى شعب مسلم آخر في روسيا ، لآن روسيا أتبعت في القوقاز مثلا سياسة المهادنة في الشئون الدينية ، وبقيت المحاكم الشرعية فيها حتى عام ١٩٢٨م [٢] .

وفي عام ١٩٠٥م أصدر القيصر الروسى البيان المشهور حول حرية العقيدة الدينية ، وبعده ازداد عدد البشكير المسلمين وعاد الى حظيرة الاسلام الأشخاص الذين قبلوا مرغمين من قبل في الدخول في المسيحية الأرثوذكسية .

---

[١] المرجع السابق ، ذات المكان .

[٢] عبد الله حسن ، مرجع سبق ذكره .

ثورة زكى طوقان :

عندما قامت الثورة الشيوعية في روسيا قام المسلمون أثناء سنى الثورة الأولى (١٩١٧ - ١٩٢٠م) بعدة محاولات للأستقلال أو حتى للحصول على الحكم الذاتى ، واعتمد بعضهم على الشيوعيين والبعض الآخر على الثورة المضادة التى قادها الروس البيض .

ففى ديسمبر من عام ١٩١٧م أعلن زعماء قبائل البشكير الحكم الذاتى في اقليمهم وشكلوا حكومة قومية في (أورنبورج) ووقفوا على الحياد في البداية لكنهم ما لبثوا أن انقسموا فريقين : فريق : مع الشيوعيين ، وفريق: مع الثورة المضادة التى قادها البيض لكن الشيوعيين سرعان ما سيطروا على مدينة أورنبورج وعلى كل مناطق البشكير ، وفي فبراير ١٩١٨م اعتقلوا قادة الجناح اليمينى ومنهم (زكى طوقان . (

وفي أبريل من عام ١٩١٨م نهضت الثورة المضادة واحتلت كل منطقة المجرى الأوسط لنهر الفولجا وكل منطقة جبال الأورال فانضم اليهم قادة البشكير ، وبعد أن كانوا هاربين عادوا فألفوا في يونيو ١٩١٨م ثانى حكومة قومية بشكيرية إمتدت سلطتها الحقيقية على كامل التراب الوطنى بواسطة قوة مسلحة وطنية أنشأتها من متطوعين متبرعين يقودهم القادة البشكير للمجلس الحربى القديم [(١)] .

وأعلن البشكير بقيادة (زكى طوقان) في سبتمبر ١٩١٨م بالتعاون مع قوزاق أورنبورج وقادة الكوموش حكومة روسيا المؤقتة ومركزها مدينة (أوفا) وكانت الوحدات البشكيرية تحارب مع الجيوش البيضاء في خندق واحد ، غير أن التحالف مع الثورة المضادة لم يدم طويلا لآن قادة هذه الثورة كانت معادية للأمانى القومية للأقليات وتحارب من أجل روسيا موحدة وغير منقسمة ،

[(١)] المسلمون المنسيون ، مجلة الأسبوع العربى ، عدد ١٩٨٢/٣/٨ م .

فقام قادة البيض بحل حكومة (أوفا) وقرروا في يناير ١٩١٩م تصفية الفرق البشكيرية التى كانت تحارب معهم وكان لهذا التصرف نتائجه السريعة في صالح الثورة الشيوعية ، فقام زكى طوقان ورفاقه بحرب عصابات ضدهم .

والتقى زكى طوقان سرا مع رسل لينين ووقع معهم معاهدة تمهيدية أنشئت بموجبها الحكومة المؤقتة لبشكيريا السوفيتية في فبراير ١٩١٩ والتحقت قوات البشكير بكامل عدتها بالجيش الأحمر . وعين زكى طوقان رئيسا على (لجنة البشكير الثورية) التى كانت تقوم مقام الحكومة البشكيرية .

غير أن هذا التعاون مع الشيوعيين كان قصير الأجل فما لبثت المصادمات أن قامت بين الطرفين ، فالبشكير كانوا يودون إنتزاع أكبر قدر من الحريات السياسية والثقافية ، أما الشيوعيون فكانوا يعتبرون هذا التحالف مع القوميين مرحلى وهدفه سفيتة البشكير [١] في تلك الحقبة من الصراع الحربى بين الشيوعية وخصومها .

وهكذا فما كاد يدخل شهر يونيو ١٩٢٠م حتى فهم زكى طوقان ورفاقه في لجنة البشكير الثورية أن التعاون مع الشيوعيين صفقة خاسرة فهربوا في أتجاه آسيا الوسطى حيث التحقوا بالثوار هناك .

وبعد انفراط عقد الاتحاد السوفيتى فإن البشكير يتوقون الى الحرية وتوحيد صفوف المسلمين في روسيا وخاصة بعد أحداث الشيشان وثورتهم ، وأعلنوا دستورا جديدا لهم يكرس سيطرتهم على ثروات بلادهم ويعطيهم استقلالهم في قراراتهم الداخلية مع استمرار التبعية لروسيا الاتحادية .

التركيبة العرقية في بشكيريا :[١]

الدولة	السكان بالآلاف	الروس	البشكير	أقليات أخرى	نسبة المسلمين

[١]سوفييت كلمة روسية تعنى مجلسا وبالتحديد مجلس مندوبى العمال والفلاحين والجنود في الاتحاد السوفيتى (المرجع السابق) .
[١]مصطفى دسوقى كسبة ، المشكلة الشيشانية دراسة جغرافية وتاريخية وسياسية .

بشكيريا	٣,٩٤٣	٣٩,٣٪	٢١,٩٪	٢٨,٤% منهم تتار	٥٥٪

جمهورية الجوفاش :

وتقع غرب جمهورية تتارستان ، وتتألف أراضيها من مجموعة تلال قليلة الأرتفاع ، يجرى نهر الفولجا عند حدودها الشمالية . وتبلغ مساحتها ١٨,٣٠٠كيلو متر مربع أى أقل بقليل من ضعف مساحة لبنان ويسكنها ما يقرب من مليون ونصف المليون من الجوفاش الذين يتكلمون لغة ليست من أصل تركى . وتشتهر البلاد بزراعتها .

احتل الروس بلاد الجوفاش عام ٩٦٠هـ (١٥٥٣م) واتجهت البعثات التبشيرية النصرانية إليها ، وقد زعمت أنها استطاعت التأثير على السكان وتعميدهم جميعا . ولكن حين أعلن القول بكفالة حرية الإعتقاد في عام ١٣٢٣هـ (١٩١٥م) أعلن هؤلاء جميعا أنهم مسلمون فتجدد اضطهادهم . وقد أنشئت لهم جمهورية خاصة في عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) عاصمتها مدينة (شبوقسارى) التى تقع في شمال البلاد قريبة من مجرى نهر الفولجا . وتبلغ نسبة المسلمين بين مجموع السكان حوالى ٥٨% . [1]

جمهورية موردوف :

تقع جمهورية موردوف في الجنوب الغربى من جمهورية الجوفاش ، وهى أكثر المناطق الإسلامية امتدادا نحو الغرب ، وتشغل السفوح الشمالية لتلال (بينزا) .

وتبلغ مساحة موردوف ٢٥,٠٠٠كيلو متر مربع أى مثلين ونصف لمساحة لبنان ، ويزيد عدد سكانها على المليون والربع ويتكلم السكان لغة خاصة بهم لا تعود الى أصل تركى ، وتصل نسبة المسلمين بين السكان الى ٥٥% .

---

[1] محمد السيد غلاب وآخرون ، البلدان الاسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ، مرجع سبق ذكره ، ص٧٣٧ .

احتل الروس المنطقة عام ٩٦٠هـ (١٥٥٣م) ومنذ ذلك الوقت فصاعدا توالى اضطهاد المسلمين ، وقد تأسست جمهورية موردوف في ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) ، وعاصمتها مدينة (سارانسك) . [٢]

جمهورية شكالوف (أورنبرج) :

أورنبرج منطقة عرفت باسم عاصمتها التى تقع على نهر أورال عند التقائه ببعض روافده المنحدرة من منطقى بشكيريا . وتعد أورنبرج مدينة ذات ماضى إسلامى زاهر ، اشتهرت بالصناعة وبخاصة الكتب التى تبحث في تاريخ التتار والكتب الدينية . وقد أراد الروس بإقامة هذه الجمهورية في المنطقة الفصل بين مسلمى تركستان ومسلمى حوض الفولجا وقد غيروا أسم العاصمة فأضحت (شكالوف) وبالتالى أطلق هذا الأسم على البلاد كلها .

وتبلغ مساحة المنطقة ما يقرب من ٨٥,٠٠٠ كيلو متر مربع ، وهى تشتهر بثرواتها الزراعية ، وبخاصة في السهول الممتدة على طول نهر أورال وفي الأجزاء الغربية من الجمهورية بصورة عامة ، بينما ترتفع الأرض في الأجزاء الشرقية والشمالية منها حيث تقوم مرتفعات كازاكستان وجبال الأورال وهى أجزاء غنية بثرواتها المعدنية .

وتقدر نسبة المسلمين الى مجموع السكان في البلاد بنحو ٥٣% ، ومن مدنها المشهورة (أورسك) بالإضافة الى العاصمة شكالوف (أورنبرج) وكلتا المدينتين تقعان على نهر أورال نفسه ، كما يمر بهما خط حديدى واحد .[١]

جمهورية أدمورت :

تقع شمال جمهورية تتارستان وتشمل بعض الهضاب الأورالية الغربية ، وتنبع منها بعض روافد نهر الفولجا ، وتبلغ مساحة هذه الجمهورية ٤٢,١٠٠كيلو متر مربع أى ما يعادل أربعة

---

[٢] المرجع السابق ، ص٧٣٨ .

[١] محمد السيد غلاب وآخرون ، البلدان الاسلامية والأقليات المسلمة ، ص٧٣٩ - ٧٤٠ .

أمثال مساحة لبنان أو مثلا ونصف لمساحة فلسطين ، ويقدر عدد سكانها بمليون نسمة ، وتشتهر بالزراعة .

والإدمورت من الشعوب التى لا تتكلم لهجة تركية ، وتعيش بينهم بعض قبائل (الفن) مثل (انفونياك) و (الشريمس) ، وقد احتلت هاتان القبيلتان بالتتار والباشكير ، فاعتنقا الإسلام رغم أن أفرادها كانوا نصارى الأسماء وعمدوا جميعا ، كما أدرج بعض أفراد القبيلتين ضمن الوثنيين ولكنهم كانوا يختنون أطفالهم ، فسخر منهم الروس ، وأسموهم الكلاب المختونين ، وظنوهم وثنيين فزووهم بعيدا في قرى خاصة .

وحين أعلن القول بكفالة الحرية الدينية بدا أن هذه القرى التى حسبوها وثنية في حقيقتها مسلمة وظهرت فيها المساجد .

واحتلت روسيا القيصرية تلك البلاد في عام ٩٦٨هـ (١٥٦٠م) وحاولت فصل سكانها عن جيرانهم المسلمين وتابعها على ذلك الحكم الشيوعى ولكن تحقق اتصال سكان تلك البلاد بالمسلمين رغم كل الحواجز والعراقيل وتوالى الدخول في الاسلام في عام ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) .

ويبدو أن الإسلام قد عم السكان دون أن يستطيعوا إعلانه . وتعد مدينة (ايجفسك) عاصمة الادمورت ملتقى هاما للمواصلات . وتصل نسبة المسلمين الى ٦٠% من مجموع السكان . (١)

جمهورية مارى :

تقع شمال جمهوريتى تتارستان والجوفاش ، وهى منطقة سهلية يمثل نهر الفولجا الحدود بينها وبين جمهورية الجوفاش وترفده في أراضى جمهورية مارى أنهار أخرى . وكانت هذه البلاد جزءا من منطقة (كيروف) ثم أصبحت جمهورية قائمة بذاتها . وهى تشتهر بالزارعة وتبلغ مساحتها ٢٣,٨٠٠كيلو متر مربع ، أى أكثر من ضعف مساحة لبنان . ويسكنها ما يقرب من مليون نسمة ويتكلم السكان لغى خاصة لا تمت الى التركية بصلة ، وعاصمتها

---

(١) المرجع السابق ، ص . ٧٣٩ ـ ٧٣٨

مدينة (يوشكارأولا)وتبلغ نسبة المسلمين فيها الى مجموع السكان نحو ٥٢% .

وقد احتل الروس منطقة مارى عام ٩٦٠هـ (١٥٥٣م) وبقيت مهملة ، وفي عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) أقيمت الجمهورية . [٢]

المسلمون في سيبريا :

يطلق الجغرافيون على البلاد التى تقع شرق جبال الأورال سيبريا نسبة الى عاصمة الملك (كوتشم خان) المغولى المسلم أحد أمراء القبيلة الذهبية وكانت تسمى (سيبير) وهذا الأمير أستطاع أن يغزو سيبريا ويتولى أمرها في عام ٩٧٨هـ (١٥٧٠م) ويقال إن أبناء تلك الجهات قد استدعوه ليكون خانا عليهم ، وقد بذل هذا الخان قصارى جهده لأجل دخول رعاياه في دينه الاسلامى وأرسل الى بخارى يطلب الدعاة ليساعدوه في مهمته التى لقيت شيئا من النجاح .

ولما فتح الروس سيبريا سنة ٩٨٨هـ (١٥٨٠م) لقى المسلمون كثيرا من الاضطهاد على أيديهم وتوالى قدوم الدعاة من بلاد ما وراء النهر وازداد عدد المسلمين بها خاصة من الذين كانت تدفع بهم روسيا للنفى في مجاهل سيبريا والذين نقلوا قسراً من بلادهم الاسلامية في وسط آسيا والقوقاز والقرم وبذلك ظلت أعداد المسلمين في سيبريا تزداد سواء في العهد القيصرى أو العهد الشيوعى ، ويقدر عدد سكان سيبريا بعشرة ملايين نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٢٥% فعدد المسلمين في حدود المليونين والنصف .[١]

تتارستان :

مساحتها ٦٨ ألف كيلو متر مربع تقع في حوض نهر الفولجا وكاما في الجزء الأوربى من روسيا تحدها جمهوريات أدمورت وبشكيريا ومارى يبلغ عدد سكانها حوالى ٤ ملايين منهم مليون

---

[٢] المرجع السابق ، ص٧٣٩ .

[١] المرجع السابق ، ص٧٤٢ - ٧٤٣ .

و٨٠٠ ألف تتارى مسلم ولغتهم من اللغات التركية وفي أراضى روسيا الاتحادية حوالى ٥ ملايين تتارى وحوالى مليون فى جمهوريات آسيا الوسطى المستقلة والعاصمة (قازان) وقبل ١٩٩١ أجرى رئيسها : (منتيمير شاميف) إستفتاء على السيادة وكانت علاقة الكرملين وقازان حتى أواسط ١٩٩٣م فاترة إذ كان رئيسها يرفض توقيع المعاهدة الاتحادية على أسس عامة ولكنه وقعها في صيف عام ١٩٩٣ على أساس أن يكون للدولة وضع متميز نظرا لمواردها البترولية وغناها ولأن التتار أكبر شعب مسلم في روسيا ومفتى مسلمى روسيا تتارى وفي الجمهورية منظمات قومية عدة تريد الانفصال عن روسيا لكن حكومتها لا تريد ولا ترغب أن تذهب بعيدا عن نيل السيادة .

وضمت الجمهورية الى روسيا سنة ١٥٥٢م وفي ١٩١٩/١٨م قامت في أراضى تتارستان وبشكيريا دولة مستقلة عن موسكو ولكن في ١٩٢٠ ضمها الشيوعيون الى روسيا بالقوة .

ولها أقوى إقتصاد في روسيا لكثرة بترولها وبها صناعات متطورة ، ويتحدث رئيسها مع الكرملين كلام الند للند . [1]

وفي القرن الخامس عشر الميلادى (التاسع الهجرى) تأسست أول صحيفة إسلامية بشكيرية تابعة لدار القضاء في (قازان) عاصمة تتارستان حاليا، وصار الدعاة يتوجهون عندئذ من قازان الى المناطق الشرقية في بشكيريا لنشر الدعوة الاسلامية بين أهلها [2].

والتتار المسلمون في تتارستان وروسيا ودول وسط آسيا من نسل أفراد القبيلة الذهبية من نسل جوجى ابن جنكيز خان الذين دخلوا الاسلام في القرن السابع الهجرى بعد إسلام ملكهم (بركة خان) بن جوجى الذى تولى أمر هذه القبيلة سنة ٦٥٤هـ (١٢٥٦م) والذين حكموا روسيا واستوطنوا مجرى نهر الفولجا ، وأقاموا فيه

---

[1] الوسط عدد ١٩٩٥/٢/٦م . وانظر : البلدان الاسلامية والأقليات المسلمة . مرجع سبق ذكره ص٧٣٦ .

[2] عبد الله حسن ، تحقيق موسع له في جريدة (المسلمون) عن بشكيريا عدد ٣ من فبراير ١٩٩٥م .

المدن العظيمة مثل (قازان) و (السرا) و (الحاج طرخان) (استراخان) .

ولقد كانت جمهورية تتارستان هى أكثر الجمهوريات الاسلامية في روسيا إضطهادا من قبل الروس الذين احتلوها ستة ١٥٥٢م أيام القيصر الروسى (إيفان الرهيب) والذى قتل وأباد معظم مسلمى عاصمة تتارستان حيث جمع المفكرين والعلماء والأئمة المسلمين المدافعين عن القصر الملكى للحكام المسلمين ضد الغزو الروسى وقام بإحراقهم واعدامهم كما دمر جميع المساجد والجوامع ولم يسمح بإنشاء أية دور للعبادة في ذلك الوقت .

كما أبادوا من الوجود اقليما إسلاميا كاملا كان يعرف بإقليم (تترقوم) ومازال هذا الأسم يحمل جرحا عميقا في نفوس المسلمين هناك وكانت هذه الجمهورية إسلامية مائة في المائة قبل الاحتلال الروسى . [١]

وتشكوا هذه البلاد من قلة الدعاة والأئمة المؤهلين للقيام بأعباء العمل الاسلامى ، وقلة المساجد والمراكز الاسلامية ، ويعانة التتار من التشرد والتشرذم في أنحاء روسيا الاتحادية وفي دول وسط آسيا مما يضعف موقفهم في جمهوريتهم وعدد المشردين لا يقل عن خمسة ملايين تترى مسلم .

والشعب التترى متضامن مع الشيشان ولكن القيادة حذرة من إغضاب روسيا ولا تستطيع التدخل عسكريا كيلا يتعرضون لنفس المصير .

لتركيبة العرقية في تتارستان :[١]

الدولة	السكان بالآلاف	التتار	الروس	أقليات أخرى	نسبة المسلمين
تتارستان	٣,٦٤٢٠٠ .	٤٨,٥٪	٤٣,٣٪	٨,٢٪	٥٥٪

---

[١] العالم الاسلامى ، عدد ١٣ مايو سنة ١٩٩٦م .
[١] مصطفى دسوقى ، مرجع سبق ذكره .

وجمهورية تتارستان يطلق عليها جمهورية الشهداء على أمتداد القرون الستة الماضية منذ أن سقطت عاصمتها (قازان) في منتصف القرن السادس عشر تحت سنابك خيول القيصر الروسى (إيفان الرهيب) وحول عمليات الأبادة الجماعية والملاحقة الدموية للمسلمين التتار يشير الدكتور رفائيل حاكيموف المستشار السياسى لرئيس جمهورية تتارستان الى أن عدد سكان القومية السلافية الروسية عندما أنهزمت المملكة التترية أمام (إيفان الرهيب) وفي الوقت الراهن فإن تعداد القومية التترية يعادل نحو ١٠% فقط من القومية السلافية الروسية مما يكشف عمليات الإبادة الجماعية المتلاحقة وأخرها الإبادة التى تمت على يد نظام ستالين في عام ١٩٣٦م والتى تركزت في إبادة عقل الهوية التترية حيث قام ستالين بقتل نحو ٤٠ ألف تترى يمثلون كل حلقات الفكر والعلم زالثقافة والدين في تتارستان وكان ٢٠ألفا منهم أى النصف من رجال الدين وعلمائه وتلاميذ المدارس وتضمنت قرارات ستالين أن يتم إعدام الطلبة حتى مستوى الصف الخامس الدراسى وكافة المدرسين والمتعلمين والمهنيين والدارسين للثقافة التتارية الاسلامية ولغتها وتاريخها وهومخطط الهدف منه تصفية الثقافة والفكر والدين والعقائد القومية التترية الاسلامية .

إزالة المعالم الحضارية الاسلامية :

وأرتبطت بمذابح الإبادة الجماعية لقيادات الفكر والمتعلمين مخطط آخر متكامل لإغلاق كافة المدارس والمؤسسات والمعاهد والكليات الدينية ومخطط لهدم كافة المساجد على أمتداد مدن وقرى تتارستان ، وتشير التقديرات أنه في تتارستان وحدها تم هدم ألف مسكن على الأقل كانت باقية من مخططات هدم المساجد التى نفذتها حكومة روسيا القيصرية وغالبيتها كان نتاج الأنفراجة الدينية المؤقتة التى عاشها التتار في القرن التاسع عشر في فشل الحكم القيصرى ، ويتم حاليا اعداد سجل كامل لكافة التتريين الذين قتلهم ستالين للتعريف بهم وشخصياتهم وتخصصاتهم .

وكان محرما على المسلمين التتار في ظل الحكم القيصرى بناء أى مسجد بالحجارة [1] وكان المسموح به في أضيق الحدود بناء مسجد خشبى فقط لتسهل إزالته وأن المسجد الوحيد الذى سمح ببناءه بالحجارة في العاصمة قازان كان منذ قرنين من الزمان وهو المسجد الوحيد الذى بقى خلال حكم ستالين لإستغلاله كواجهة دعائية في الظروف والمناسبات ويذكر المستشار السياسى لرئيس جمهورية تتارستان الى أن المسلمين الذين يعيشون حاليا في إطار جمهورية روسيا الاتحادية يبلغ عددهم نحو عشرين مليون مسلم من التتر والباشكير وجانب منهم يعيش في سيبريا حيث أمتد الاسلام منذ القدم الى هذه المناطق وقامت ممالك وإمارات إسلامية قومية حكمت نفسها لعدة قرون وسادت ما عداها من القوميات وتعرضت جميعها للإبادة الجماعية في ظل روسيا القيصرية وفي ظل الحكم الستالينى والشيوعى عامة وبدأت تنفرج غمتها جزئيا خلال الخمسة عشر عاما السابقة على سقوط الأمبراطورية السوفيتية .

وقد ركزت الشيوعية على تفريغ القوميات الاسلامية من هويتها من خلال عمليات تهجير جماعية واسعة النطاق لقوميات أخرى على الأخص القوميات السلافية الروسية الى المناطق الجغرافية التى يعيش فيها المسلمون حتى تخلق واقعا ديمغرافيا جديدا وواقعاً ثقافياً وحضارياً مختلفاً يضغط في إتجاه إضعاف الهوية الثقافية والحضارية والأجتماعية الاسلامية لهذه القوميات ويفرض واقعا جديدا مع منع تعليم اللغة العربية واللغات القومية مثل التترية وغيرها وفرض تعليم اللغة الروسية وحتى عام ١٩٤٤م كانت اللغة العربية هى السائدة في تتارستان كلغة تعليم بالإضافة الى اللغة التترية وحاليا يندر أن يوجد من يتحدث بالعربية أو التترية .

الإحياء الاسلامى :

---

(1) الأهرام ، أنظر رسالة تتارستان كتبها أسامه غيث ، وفيها معلومات أستقاها المراسل من الدكتور رفائيل حاكموف المستشار السياسى لرئيس جمهورية تتارستان - الأهرام عدد الجمعة ١٩٩٦/١١/١م .

منذ سقوط الامبراطورية السوفيتية بدأ التتار جهودا مكثفة لإستعادة هويتهم القومية والحضرية وكانت الركيزة الأولى مرتبطة بإعادة بناء المساجد بالجهود الذاتية وبالتبرعات ويوجد حاليا في تتارستان ٦٠٠مسجد مقابل ١٧ مسجدا فقط في ظل الحكم الشيوعى و في العاصمة (قازان) وحدها يوجد ٢٥ مسجدا كما بدأت جهود مكثفة لتعليم اللغة العربية وإحياء اللغة التتارية وأخيراً تم أفتتاح مدرسة ثانوية عربية في قازان ويتم الإعداد لبناء مركز إسلامى عالمى يكون منارة للثقافة والحضارة التترية الاسلامية ، والتتار يدركون أن الاسلام هو المدخل الوحيد لاستعادة [1] هويتهم القومية وذاتيتهم الحضارية والثقافية في مواجهة طوفان الملاحقة والمطاردة والإبادة الجماعية ويسعى الرئيس (شريف شايميف) رئيس جمهورية تتارستان الى مساندة الإحياء الاسلامى .

وفي تتارستان لديهم صناعة عسكرية فائقة التطور وصناعة مدنية فائقة الحداثة وإمكانيات ضخمة للإستفادة المتبادلة بين أقطار العالم الاسلامى [1] . وعلى دول العالم الاسلامى مديد التعاون معهم لكى ينهضوا من عثرتهم .

استراخان (الحاج طرخان) :

استراخان إسم ولاية في روسيا ، واسم عاصمتها أيضا وهو النطق الروسى لاسمها العربى (الحاج طرخان) وبالتركى (حاجى طرخان) ومعنى طرخان عند المغول الشخص المعفى من الضرائب أى الشريف [2] .

وقد أسس المغول هذه المدينة على الضفة اليسرى لنهر (الفولجا) على بعد ستين ميلا من مصبة في بحر قزوين (الخزر) وقد مرّ (ابن بطوطة) بهذه المدينة سنة ١٣٣٣م (٧٣٤هـ) ويقول : " إن وليّا حاجّا من مكة أقام في هذا المكان فأعفى البلد من

---

[1] المرجع السابق .
[1] المرجع السابق .
[2] " طرخان " بالتركية لقب يعطى للشخص الذى يعفى من الضرائب لقداسته أو مكافأة له على عمل من الأعمال التى أداها للحكومة ، واستراخان هو النطق الروسى للحاج طرخان .

جميع الضرائب ، وسميت لذلك (الحاج طرخان) " وترجع أهميتها لأنها مركز تجارى لمنطقة بحر قزوين .

وقد دمرها (تيمورلنك) المغولى سنة ٧٩٨هـ (١٣٩٥ - ١٣٩٦م) ثم انتعشت مرة أخرى في القرن التاسع الهجرى (١٥م) وكان لوقوعها على مقربة من مصب نهر الفولجا الفضل في ازدهارها وازدياد تجارتها وصناعتها شيئا فشيئا حتى أصبحت على مر الزمن مدينة كبيرة [٣] وقام فيها بيت حاكم من المغول ظل حتى أواسط القرن ١٦م العاشر الهجرى ، وكان معاش أهلها رعى الماشية وصيد الحيوان والسمك بجانب التجارة وقد أوقع أهلها في الضعف النزاعات التى نشبت بين حكامها البكوات ، وفيما بين سنتى ٩٤١ -٩٤٥هـ استعان حاكمها الخان عبد الرحمن على خصومه وعلى العثمانيين بالروس .

وفي سنة ١٥٥٤م (٩٦٢هـ) هاجم الروس حانية الحاج طرخان وبسطوا سلطانهم عليها وولوا عليها (خان درويش على) بشرط أن يكون خاضعا لهم ثم ضموها اليهم عام ١٥٥٦م ، وأقام الروس قلعة روسية بجانب المدينة التترية ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت استراخان تحت حكم الروس ، وقد هاجر الروس الى هذه البلاد بأعداد كبيرة . وفي عام ١٩٢٠م أصبحت هذه البلاد جزءا من اتحاد الجمهوريات الروسية السوفيتية ، وأصبحت تضم أغلبية ساحقة من السكان الروس .

وقد بلغ عدد سكان مدينة أستراخان سنة ١٨٩٧م ١١٣ ألف نسمة منهم ١٢ ألف من المسلمين ، و٦آلاف من الأرض ، وبها ضاحية تترية وضاحية أرمنية ، وعدد مساجدها ستة شيعية ، ومسجد واحد سنى مما يدل على أن بها أغلبية شيعية وبها ٧٣مدرسة وثلاثة مكاتب .

وفي سنة ١٩٣٩ أصبح تعداد المدينة (٢٥٣,٦٥٥نسمة) وبها ما يربوا على عشرة مدارس تترية وعدة صحف تترية ، وعلى الرغم من أنها شهدت إبان الحكم الشيوعى (١٩١٧ - ١٩٩٢م)

[٣] انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة (استراخان) .

إضطهادا دينيا وتصفية للوجود الاسلامى إلا أن الاسلام بدأ ينتعش في نهاية الحكم الشيوعى ، وبدأ رجال الدين المسلمين يعقدون المؤتمرات للتوعية الاسلامية في مواجهة الداعين الى الالحاد .

ودعت صحيفة برافدا الناطقة بأسم الحزب الشيوعى السوفيتى الى إتخاذ إجراءات وقائية ضد محاولات رجال الدين التى تستهدف إحياء الاتجاهات الدينية في الاتحاد السوفيتى وأكدت الصحيفة أن المسئولين عن الدعوة الى الالحاد في الاتحاد السوفيتى ليسوا على مستوى أداء مهامهم ودللت الصحيفة على ذلك بأن هؤلاء الدعة لم يعقدوا خلال العام الماضى (١٩٨٢م) في التجمعات السكانية بمنطقة (استراخان) غير ٧٨ مؤتمرا في حين عقد رجال الدين المسلمون والأرثوذكس ٢٢٠ إجتماعا دينيا فيها .

وطالبت الصحيفة بأنشاء مدارس الحادية في جمهوريات الاتحاد السوفيتى يقوم بالتدريس فيها أساتذة من مواطنى هذه الجمهوريات يعرفون أنماط الحياة فيها ، مع الأخذ في الأعتبار بخصائص بعض الأديان مثل الاسلام الذى يرتبط تماما بعادات وتقاليد مناطق معينة [1] .

جمهورية القرم الاسلامية :

القرم شبة جزيرة تمتد من البر الأوربى في البحر الأسود وتقترب من جهة الشرق من البر مكونة شبه جزيرة (كرش) التى لا يفصلها عن البر في الشرق سوى مضيق (كرش) الذى يصل بين البحر الأسود وبحر أزوف .

وتبلغ مساحة شبه جزيرة القرم (٢٦,١٥٠كم٢) أى قرب مساحة فلسطين ، وتؤلف الجبال القسم الجنوبى من البلاد بينما تمتد السهول في الشمال وهى تضيق كلما أتجهنا شمالا ، فلا تتصل بالبر الأوربى إلا ببرزخ ضيق جداً .

وقد وصل الاسلام الى شبه جزيرة القرم عن طريق التتار الذين أسلموا واستقروا في المنطقة حوالى ٧٤٠هـ (١٣٣٩م) وقد

---

[1] أهرام ١٧/١٢/١٩٨٣م .

استولوا على ما كانت تسيطر عليه إمارة (جنوة) الايطالية من سبه الجزيرة في جنوبها الشرقى وهى المنطقة الجبلية كما كان في أيديهم المناطق الواقعة شمالى بحر آزوف . ولما استولى التتار على هذه الأراضى عام ٧٨٠هـ (١٣٧٨م) حكمهوها من قبل العثمانيين الذين كانوا في عهد توسع في حين كان التتار آخذين في الضعف ، وكانت شوكة الروس قد بدأت تقوى فآثر التتار أن يكونوا عمالا للعثمانيين على أن يخضعوا للروس الذين كان النزاع قد نشب بينهم وين التتار .

وقد انتصر تتار القرم على الروس أول الأمر وحكموا (منطقة الدوتتز) من روسيا الجنوبية ، كما استطاعوا أن يصلوا في عام ٩٧٩هـ (١٥٧١م) الى مدينة موسكو وأن ينهوها انتقاما من أعمال الروس الذين دخلوا بلاد التتار الشرقية وشردوا أهل (قازان) واستراخان (الحاج طرخان) ولكن الروس عادوا فانتصروا على التتار ، وانتزعوا منهم أراضيهم الشمالية في عام ١٠٩١هـ (١٦٨٠م) وهذا ما جعل العثمانيين ينزلون الى شبه جزيرة القرم ويتخذون مراكز لهم في جنوبها ، وسيطروا على مضيق (كرش) [1] من حلفائهم التتار ولما ضعفت الدولة العثمانية اضطرت الى مغادرة القرم سنة ١٧٨٣م .

كانت القرم دولة كاملة الأركان ترتبط بمن تشاء من الدول وتوقع معها معاهدات طبقا لمصالحها القومية السياسية والتجارية ، ولما ظهرت مطامع روسيا في أوكرانيا والقازان واستراخان أثارت حكام القرم ومنهم (محمد كيراى) عام ١٦٥٣م وذلك واضح من خطابه الرسمى الذى بعث به عام ١٦٥٣م الى القيصر (ألكس ميخايلوفيتش) حاكم روسيا وهذا نصه :

" الى ألكس ميخايلوفيتش قيصر روسيا . بعد التحية والأحترام أما بعد فنسأل عن صحتكم ، وخطابنا اليكم كما يلى :

---

[1] د . محمد السيد غلاب وآخرون ، البلدان الاسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر . مرجع سبق ذكره ، ص ٧٤٠ - ٧٤١ .

نقطة في منشوراتكم ألفتت نظرنا من مدة ، وهى أنكم منحتم نفسكم عنوانا كيرا ولقبا عظيما ، فأخذتم تكتبون بأنكم قيصر الشرق ، والغرب ، والشمال ، وتتلقبون به على حين أن بين الشرق والغرب حاكم مكة والمدينة المنورة ألا وهو السلطان العظيم .

على أنه مع كونه سلطانا عظيما لم يكتب عن نفسه أو لم يلقب ذاته كما تلقبون أنتم نفسكم ، وكما أنه يوجد من سواه ملوك كثيرون لا يكتبون هم الآخرون كما تكتبون ، ونحن أيضا نتحارب معكم ثم نصالحكم ومع ذلك لم نكتب شيئا مما تكتبونه ، ولم نعمل شيئا قط حتى مما يماثله . وغير ذلك يعيش في دولتنا وفي إدارة السلطان ، الذى هو حاكم مكة والمدينة ، النصارى الكثيرون الذين يؤدى كل فرد منهم عبادته ووظيفته الدينية بكل حرية كما يأمره مذهبه بحيث لا أحد يمترضهم فيما هم عاملون ، ولكنك أنت تسلخ بشرة المسلمين ، إنك تضايقهم كثيرا ، وتجبرهم على قبول دينك ، واعتناقهم إياه ، وفوق ذلك أحرقت القرآن المقدس ، والمساجد والمدارس ، ومزقت المعاهدة المعقودة بختمها الذهبى ، والتى أبرمت بيننا ، مع أنك كنت تعهدت فيها أن تتولى أمر تأديب قوزاق الدون . فالقسم الذى أديته تسترع قدسيته نظرك ، ولم تهتم به ، فقلت أخيرا أنك عاجز عن ضبط أولئك الأشقياء من قطاع طرق الدون .

وعدا هذا لم يحدث في التاريخ أن قتلت دولة رسلاسياسيين ولكنك أمرت بقتل أحد رسلنا . ثم قتل الثانى في الطريق ! ومَن من آبائك إقترف ما اقترفت يداك ؟ ! آباؤك كانوا مقتنعين بموسكو فقط ولكنك أحدقت ببولونيا وولاياتها. ثم أرسلت جنودك ليغزوا أراضى القوزاق عدة مرات .

وسبق أن كاتبناك في هذا الشأن ، إلا أنك لم تنتصح فأرسلت جيشا جرارا للأستيلاء على الاراضي القوزاقية كلها معتمدا على قوتك وتاركا بعض جنودك في قلعة كييف . كثير من القوزاق جاؤا الى رحابنا يطلبون نجدتنا ، فسألنا رأي علمائنا وشاورناهم فأفتوا لنا بأن موسكو خرقت حرمة المعاهدة .

وحيث إن كتابنا المقدس يأمرنا بانقاذ المظلومين من يد الظالمين فقد توكلنا على الله ، وامتطينا جوادنا ، فدخلنا بفضله علينا ومساعدته لنا في أراضيك .

نحن نستند الى الرب الخالق الخالد . لا أحد من السلاطين فيما نعرف ، مسلما كان أو نصرانيا ، إقترف ما أقترفته من الأخطاء الفاحشة . لن يعد ماعملته من الأخطاء الدينية عملا منطقيا . فكل خطأ من هذه الأخطاء قد جلب عليك عارا ، وعلى دولتك فضيحة ، وعلى جيشك خسارة . نحن لا نريد التعذيب ، كما لا نرغب في أذية أحد . وإنما نكل أمر كا من يريد تعذيب غيره الى الله سبحانه وتعالى . إذ أن حامينا الأكبر هو الله جل جلاله .

وختاما نبعث هذه الرسالة مع رسولنا وهو المترجم عنا .

تحريرا في ٢٨ذى الحجة (سنة ١٠٦٣هـ) (١٦٥٣م) [(١)]

ولما زادت أطماع الروس في أراضى المسلمين في حوض نهر الفولجا اضطر المسلمون في القرم الى الوقوف لهم بقوة وصرفوا جهدا عظيما وغيرة كبيرة في انقاذ القازان واستراخان من يد موسكو بدافع الآمال القومية وظهر هذا جليا في خطاب رسمى بعث به دولة كيراى الى إيفان الملقب بالمجنون (الرهيب) وفيما يلى نصه :

" أحرق كل شيء لك وأمحوه في سبيل استرداد القازان وآستراخان ، وأعد غنى هذا العالم بأكمله ذرة واحدة بجانب تحقيق رسالتى . ذهبت إليك ، وأحرقت عاصمتك موسكو ، وكنت طالبا منك رأسك وتاجك ولكنك لم تقاومنى ، ولم تقبل الحرب منى ، أمازلت بعد هذا تعد نفسك ملكا على بلادك؟ ولوكان عندك أقل حياء ، أو قليلا من العزة ، أو خوف العار فقابلنى ولنتحارب ! وإن أردت أن تعيش معنا على الوفاق والوئام فما عليك إلا أن ترد خانيتى (القازان) و (آسترخان) الى أصحابهما .

[(١)] يوسف ولى شاه أور الكيراى ، كارثة القرم الاسلامية في الأتحاد السوفيتى ، القاهرة ، ١٩٥٠م ص٣٥- ٣٧ .

ولو أردت أن تقدم بدلهما جزية ، فاعرف يقينا أن دفائن العالم وكنوزه بأسرها لا تساوى عندى أدنى قيمة ! فنحن نلح عليك بطلب (القازان) و (آسترخان) . رأيت حكمك وطريقتك فيه ، وكشفت عن طرق بلادك ، وأعلمها تمام العلم ." [1]

محاولات الروس الفعلية للاستيلاء على القرم :

فكر الروس في خطورة دولة القرم ومركزها على موسكو ، ولذلك لم يترددوا كثيرا في وضع خطط سرية يتخذونها وسيلة للقضاء على هذه القلعة الاسلامية . فكر الروس أولا في فصل تلك القارة الشمالية من الامبراطورية العثمانية من ركنها الحساس حتى لا يجدوا أمامهم من يوقفهم بعد ذلك حين يبسطون سلطانهم على البلاد الشرقية الاسلامية حتى المحيط الهادى كما كانوا يحلمون . وبعد أن تم نسج الخطط الموسكوفية للقضاء على القرم بدأ الروس في حملاتهم المسلحة ضدها ، فجردوا عليها عام ١٦٧٧ جيشا جرارا بمحاولة الاستيلاء العسكرى ، ولكن شجاعة (سليم كيراى) الجالس على عرش القرم خيب آمالهم حين طار بفرسانه الى القرم تاركا الجبهة التركية حيث كان يشترك في الحرب بجانب جيش السلطان العثمانى ، فأوقع بهم الهزيمة النكراء وطاردهم أشد المطاردة التى ما نسيت آلامها موسكو أجيالا وعصورا .

وبعد ثلثى عصر تقريبا سنحت لروسيا فرصة أخرى فأعادت موسكو الكرة عام ١٧٣٦م في قيادة الأمير (مونيخ) ، فرد هذا على أعقابه بطريقة هى أشد من المرة الأولى . ثم أغار الجيش الروسى على القرم في فرصة ثالثة بين ١٧٣٧ - ١٧٣٨م بقيادة (الفيلد مارشال لاسسى) فمنى هذا أيضا بفشل ذريع ، واستغل الروس فرصة رابعة فأعادوا الكرة عام ١٧٧١م بقيادة (دولغوروكى) ، فضربت أثناءها ألف قرية ومدن كثيرة مثل باغجة سراى ، وقاراصو بازار ، وغيرهما ، وقد وصف العالم الروسى (ماركوف) هذه الحملة الشنيعة وتكلم بإسهاب ومجردا عن التحيز والتعصب السلافى

---

[1] المرجع السابق ص ٣٨ .

عن فظائع موسكو في القرم الاسلامية . وسنورد هذه الشهادة فيما يلى على الرغم من طولها لأنها صورة مقررة من أعمال الروس في كل بلد من البلدان الاسلامية التى استولوا عليها . وفيما يلى نص هذه الشهادة :

" بعد أن تم الاحتلال الروسى كان لموظفى الادارة الروسية دور هام أشد خطورة وأبعد أثرا من الاحتلال العسكرى . فهؤلاء الموظفون قد استفادوا من جهل المسلمين باللغة الروسية ، وهى لغة القانون والأوامر الرسمية ، فكان ثمة إسراف بالغ الغاية وغلو في تطبيق النظام على المغلوبين . وكذلك استفاد أولئك الموظفون من أن البلاد في نظام انتقالى غير ثابت ومن بعدهم عن كل رقابة وهيئة تحاسبهم على أعمالهم ومظالمهم ، كل ذلك جعلهم يأتون ما يأتون وهم لا يرجون حسابا ولا يخشون لومة لائم . فكان الاحتلال في يد أولئك الموظفين أصعب حالا وأعقد جانبا من الاحتلال العسكرى في يد (سوماراكوف) ، و (دولغوروكى) ، و (سوفاروف) .

لم يكن المسلمون من أجيال يعرفون ما هو العقد ، بل العرف والتقاليد أو بعبارة أوضح السند الذى يكتبه الشيخ كان يثبت ملكيتهم وحدودها .

هل تصدق معى أيها القارىء الكريم حالة ذلك المسلم المظلوم ! إنه كان مجبورا أن يثبت للحكومة الروسية حقه على ملكيته منذ القرن الثامن عشر وعلى ملكية حديقته وعلى الماء الذى يشربه ويسقى منه وعلى الغابة التى يملكها منذ بداية القرن التاسع عشر .

لقد أجبر ذلك المجاهد بالأمس أن يدافع عن حقوقه المكتسبة أمام المحاكم الروسية وباللغة الروسية وضد الروس الذين جردوه عن ماله وملكه وجاهه .

نفى عن القرم في عهد احتلال (بوتمكين) عدد كبير من المسلمين ويقدرهم (سوماراكوف) بثلثمائة ألف شخص ، كما هجر في سنة ١٨١٢ عدد كثير من القرميين ممن اضطر تحت الضغط الروسى أن يغادر بلده العزيز ، وليس في مقدورى أن أكتب عددهم بالضبط لأن الاحصاء الذى تم على يد الروس ونشر بمعرفتهم بعيد

عن أن يكون صوابا . وقد حرمت أموال ألئك المهاجرين وأراضيهم أن توزع على أهليهم وذوى قرباهم أو على المؤسسات الدينية خشية دخول الملاك الجدد في معركة الدفاع في المحاكم ضد الحكومة الروسية .

وكانت بطرسبورغ تتلقى معلوماتها عن حالة الأراضى من الموظفين الروسيين ، فإذا قالوا إن هذه الأراضى ليس لها مالك معروف كفى ذلك في أن تنتقل ملكيتها الى من يرضونه من أبناء جنسهم .

وحكومة بطرسبورغ لم تكن تعترف حقا بالقرم كما نستنتج ذلك من الحكم القاطع الآتى : وهو أنه إذا قيل إن هذه الأراضى لا مالك لها فكلها مما فيه من حدائق المسلمين وكرومهم تنتقل في لحظة واحدة الى يد الروس الذين أتوا الى القرم باسم المدينة وجلب الحضارة .

وكثيرا ما يخطىء المهندسون الذين يقيسون مساحة الاراضى أو كثيرا ما يتجاهلون بالحقيقة فيقيسون ثلاثة عشر ألف دساتين بدلا من خمسة آلاف . وقد حدث كثيرا أن يجد ذلك المسلم المسكين أرضه بيعت دون علمه لأحد السادة الروسيين ، ويذهل عندما يجد نفسه أمام الأمر الواقع وقد وقع عنه على الارض غيره بشهادة شهود بحجة أنه لا يعرف اللغة الروسية .

وإزاء هذه المظالم العامة إرتفع كثير من الأصوات بالشكوى وبلغ مسامع القيصر مما اضطر الحكومة الروسية الى إرسال لجان تحقيق في هذه الشكاوى ورد الحقوق الى أهلها . وقد استعمل القيصر آلكساندر وسائل شديدة في سبيل قمع هذه الاعمال الظالمة للموظفين الروسيين في القرم .

يعد تاريخ هذه اللجان التى حفظت مجلداتها كاملة الى يومنا هذا في دار المحفوظات الحكومية وفي ديوان الوالى من أكبر الحوادث الشاذة لا في تاريخ القرم فقط بل في تاريخ روسيا كلها .

وبعد هذا هل هنا عجب على استمرار القضايا التى لم يفصل فيها بعد في مجلس الشيوخ بين المسلمين والروس في مدة تزيد على نصف قرن " [1]

وبعد هذه المظالم بدأ المسلمون يهاجرون بأعداد كثيرة من القرم وأخذت الدولة الروسية عقب الحاق القرم بروسيا القيصرية في أواخر القرن الثامن عشر تدعوا الشعب القرمى الى الهجرة الىتركيا وتبث بين الشعب وكلائها من الأرمن والروم الذين تنكروا في أزياء علماء وتظاهروا بأنهم رسل السلطان وكانوا ممن يجيدون اللغة التركية إجادة تامة فوق إتقانهم قراءة سور القرآن على أتم وجه وأبلغ صورة وكانوا يخاطبونهم في دعواتهم المكتوبة بخطوط ذهبية كما يلى :

" أيها المسلمون يجب عليكم ألا تظلوا في حكم الكفرة إذ أن الدين يمنع الخضوع لهم وقد جهز السلطان للمهاجرين أراضى وبيوت في الأناضول ويدعوا كل واحد منكم أن يلبى دعوته "

فأتراك القرم بقلوبهم الطاهرة وعقائدهم السليمة أعتقدوا في صحة الدعوة الموجه إليهم وهاجر قسم كبير منهم في سبيل الله دون الاهتمام بالشتاء القارس أو دون أى أعتبار من مانع يعترض طريقهم وألقوا بأنفسهم في سفن شراعية حتى تنقلهم الى الأرض البيضاء أى تركيا الأسلامية كما كانوا يلقبونها فذهب كثير منهم ضحايا البرد والغرق بسبب الأعاصير وسط البحر الأسود .

وتوالت على القرم الإسلامية حملات روسية لإخضاع هذا الشعب ولم يستطع الأتراك إنقاذ هذا الشعب لأنهم كانوا مشغولين بأنفسهم على إسر ضعف دولتهم لم يستطع المسلمون ولم يستطع المسلمون في العالم الاسلامى أن يمدوا يد المعونة إليهم لأن العالم الاسلامى في هذه الفترة وقع أسيراً هو الآخر للإستعمار الأوربى في كل مكان وظلت الدولة الروسية تعمل على تخريب القرم المتمردة تخريبا عسكريا وإقتصاديا وروحيا وشنت الحرب على الدين الاسلامى وهتك الروس حرمة الدين والمساجد بادئين بتحويل كثير

---

[1] يوسف ولى شاه ، كارثة القرم الاسلامية في الاتحاد السوفيتى ص٣٨ - ٤٣ .

من المساجد الى كنائس وأستمرت هذه الحالة حتى قيام الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧م وعندما وقعت هذه الثورة في بعض المشاكل مع أعدائها في الداخل أرادت أن تهادن المسلمين في داخل روسيا القيصرية فأعلن (لينين) في أوائل الثورة الشيوعية منشوره الشهير الذى وقع عليه هو و(ستالين) وفيه يقول :

" أيها المسلمون أديانكم وعاداتكم ومعاهدكم العلمية والقومية مصونة على كل إعتداء نظموا حياتكم القومية تنظيما يستند الى أسس الحرية والأستقلال وهذا من حقكم الشرعى ، إعتقدوا أن البلاشفة يدافعون عنكم وعن حقوق الشعوب التى تعيش في روسيا كلها ، إعملوا على الانقلاب وحبذوا الثورة وساعدوا حكومة البلاشفة ، أيها الرفاق (!) إننا برفع علمنا هذا إنما نعلن للشعوب المستعبدة في روسيا شعار الحرية والاستقلال ، أيها المسلمون نحن ننتظر منكم معاونتكم المادية والأدبية [١] " .

وصدق المسلمون القرم ما جاء في هذا المنشور لأنهم وجدوا البلاشفة يعترفون فيه بالحقوق السياسية لشعوب روسيا قاطبة ولقد لفت هذا المنشور أنظار الناس بحيث إحتوائه على مسائل هامة لأنه تناول موضوع المشكلات وحل المعضلات السياسية على أسس قومية وطنية وهى الغاية التى كان المسلمون يناضلون من أجلها ومن بين ما جاء في هذا المنشور :

١. منح حق المساواة لجميع من يعيش في روسيا .
٢. تقرير الأقوام لمصائرهم بأنفسهم أو الأعتراف بحريتهم المطلقة ، وحتى الاعتراف بحقوق من يرغب في إقامة دولة مستقلة بالأنفصال عن روسيا البلشفية إنفصالا كاملا كما جاء ذلك في المادة ١٧ من دستور الأتحاد السوفيتى .

ومن ثم أقام زعماء القرم الجمهورية القرمية أثناء الثورة الروسية وشيدوا صرحها ووضعوا دستور الجمهورية وأختاروا لها علمها الذى وضعوه يرفرف على قصر الحكم في قصر (خان سراى) الذى أتخذته الدولة مقراً لبرلمانها وأنتخب المسلمون القرم المفتى

---

[١] يوسف ولى شاه ، كارثة القرم الاسلامية ، مرجع سبق ذكره . ص ٦٠ .

الأكبر رئيسا للجمهورية وهو (تشلى جهان) واعترفت بعض الدول بجمهوريتهم وأسرعوا بتبادل السفراء معهم .

ولكن سرعان ما بدأ الصراع بين المسلمين والقرم وبين الشيوعين الذين أشتدت سواعدهم بعد القضاء على معارضيهم في داخل روسيا ونقض (لينين) وعوده وبدأ هجومه على الجمهورية القرمية في فترات ثلاث مختلفة بين ١٩١٨ و ١٩١٩ و ١٩٢٠م ، ولم يستولى عليها تماما إلا في هجومه الثالث الذى جاء نكبة على القرم وتعاقبت الثورات فجرت هذه من ورائها الكوارث ، ثم قضت عليها موسكو كليا عام ١٩٤٦م بنفى الشعب القرمى الاسلامى بأسره الى مجاهل سيبريا بعد المجزرة التى قام بها الروس في البلاد ، وستبقى أعمالهم الشنيعة وصمة عار فس جبين موسكو تنطق بشراسة الروس وهمجيتهم .

إستولى الشيوعيون الروس على القرم مضرجة بالدماء ، وانسحب الشبان الى الجبال ، واعتصموا بها ، واستمر الشعب في حنقه على الروس دون أن يستسلم ، فجاء عام ١٩٢١ حيث فرضوا على القرم الجوع فرضا وذهبت ضحيته ١٥٠,٠٠٠ شخص بدون ذنب ارتكبوه بحيث مات منهم في البيوت والطرقات العامة والحقول مائة ألف باحثين عن أرزاق قد تسد لهم ومق الجوع الفظيع ، وأما الباقون من هذا الجيش الجائع فقد يئسوا بعد أن أستحالت عليهم المساعدات الخارجية فهجروا القرم الى الخارج ، وأنقذت حياة الشعب القرمى الباقى بفضل النشاط العظيم الذى قام به زعيم القرم (جعفر بك سيد أحمد) وبفضل اتصالاته مع (مصطفى كمال) وغيره من الأتراك فى أنقره والبابا في روما والأمريكيين الذين اشتركوا جميعا في إنقاذ هذا الشعب البائس المظلوم .

قابل الزعيم البابا في فاتيكان بأمل لعل قداسته يحول دون الكظالم الروسية في القرم ، أو يقدم على مساعدتها فيسير العالم المسيحي في ركابه لاسعاف ذلك البلد المعذب المضطرب ، إلا أن ظروف روما السياسية وإن كانت ساعدته في مديد المعونة المادية المطلوبة فإنها لم تسكح لها بمساعدتها سياسيا . وأريد هنا أن أسجل

ثناء القرميين على فاتيكان إعترافا منهم بجميله الأنسانى وبثقته النفسية التى يجب أن تكون عبرة لقادة المسلمين أجمعين . قال (رئيس وزراء البابا) للزعيم القرمى : " سعادة الزعيم ، إنك مسلم لجأت الى رحابنا والفرق بيننا عظيم من حيث الدين . لذلك دعنا ننظر الى هذه المسألة التى تعرضونها علينا من ركن إنسانى نظرة كلها حنان ورحمة وشفقة . إن فاتيكان يفهم أنكم معذبون حقا ، وإنى شخصيا أحس ما يحس به كل فرد من شعبك التعس الذى يتضور ألماً من شدة الجوع وشقاء السياسة الحالية ، وسأعمل جهد طاقتى حتى يرفع الله عن القرم ما حل بها ... " . وبعد ذلك استقبله البابا ووعده بإسعاف القرم ، وفعلا نفذ وعده ، وعند توزيع الأرزاق عمد الى أن يتم ذلك على أيدى (أئمة المساجد) في القرم . وكان السبب واضحا في ذلك ، إذ راجع رجال الفاتيكان موسكو قبل هذا التاريخ مرتين يطلبون منها السماح لمساعدة شعب القرم في محنته ، فكانت موسكو تجيبهم بالرفض في حين أن صرحت للدوائر نفسها بمساعدة تشاريتشين " حوض الفولجا " وعلى الرغم من معرفة البابا للعناد الروسى البلشفى قام على رجاء الزعيم القرمى يتلمس طريق الوصول الى إسعاف القرم ، فقوة إيمانه بربه هدته الى باب عرف كيف يدخل منه ليساعد من ليسوا على دينه مساعدة إنسانية كريمة تلهج الالسنة بالشكر والثناء عليها[1] .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية كان المسلمون القرم مازالوا يقاومون الروس الشيوعيين وشهدت بلادهم كثيرا من المآسى على يد الشيوعيين وأصبحوا شعبا فقيرا وتمت تصفيته تماما ولم يعد في بلاد القرم سوى أعداد قليلة من المجاهدين اللذين لجوءا الى الجبال على الرغم من أن عددهم كان في أوائل هذا القرن يصل الى خمسة ملايين نسمة وبعدها أصبحت الأحصائيات غامضة لأن الروس جلبوا إليهم كثيرا من السكان الروس والاوكرانيين حتى اليهود والحكومة الروسية كانت تعمد الى إنقاص عدد المسلمين في الأحصائيات الرسمية.

---

[1] المرجع السابق ص ٦٣ .

وعندما دخل الألمان إبان الحرب العالمية الثانية بلاد القرم رحب بهم الشعب القرمى وذلك بسبب ما لقاه من إبادة واضطهاد على يد الروس سواء في العصر القيصرى أو الشيوعى ووقفوا مع الألمان في حربها ضد روسيا على الرغم مما لاقوه في البداية على يد الألمان ، وعندما أنهزمت ألمانيا في الحرب وكانت روسيا مع الظافرين الحلفاء كان ذلك نذير شؤم على المسلمين في القرم وغيرهم من المسلمين في روسيا . ذلك لأن روسيا عمدت الى سياسة الأنتقام من المسلمين القرم فقامت بجمعهم ونفيهم جميعا الى مجاهل سيبريا .

وعندما إنفرط عقد الأتحاد السوفيتى سنة ١٩٩١م كانت بلاد القرم جمهورية ذات حكم ذاتى تابعة لجمهورية أوكرانيا وفي جو من الحرية طالب التتار المسلمون المهاجرون الى سيبريا بعودتهم الى بلادهم فعاد جزء كبير منهم الى بلاد القرم لكن بدأت روسيا تلعب بهم وتدفعهم الى طلب الأستقلال عن أوكرانيا ، ومازالت الأمور غير واضحة حتى الآن ١٩٩٥م .

المسلمون في القرم بعد استقلال أوكرانيا :

صرح الشيخ (أحمد تميم [1]) مفتى المسلمين في أوكرانيا بالرجوع الى بلادهم ويبلغ عدد تتار القرم مائتى ألف نسمة ويتمتعون بكافة الحريات السياسية والدينية ، وسمحت الحكومة الأوكرانية ببناء المساجد الجديدة وتجديد المساجد القديمة ، وتبنى لهم بيوتا جديدة ومدارس ثانوية .

كذلك اتخذت قيادة أوكرانيا قرار يسمح ببناء المسجد الجديد في " كييف" عاصمة أوكرانيا ، وهومشروع تموله حكومات المملكة العربية السعودية والكويت وعدد من الدول العربية والإسلامية ومنحت حكومة أوكرانيا مكانا فسيحا في وسط مدينة كييف لبناء

---

[1] الشيخ أحمد تميم مفتى أوكرانيا هومسلم من أصل لبنانى وكان قد أدلى بتصريح للاهرام بمناسبة عيد استقلال أوكرانيا في ١٩٩٥/٩/١٩م .

المسجد الجديد وهو في شارع "لوكيانوفسكا" بجوار جبل شيفا فيتسا التاريخي على مقربة من المقبرة التتارية القديمة .

وفي حديث سريع مع الشيخ (أحمد تميم) مفتى المسلمين في أوكرانيا قال : إننا نقيم الشعائر الإسلامية بصفة منتظمة ، ويقبل على إقامتها المسلمون المقيمون في " كييف " وغيرها من مدن أوكرانيا والذين تزايد عددهم في الفترة الأخيرة نتيجة حرب الشيشان ولجوء كثير من مسلمى الشيشان الى أوكرانيا نتيجة لاستقرار النظام الأوكرانى والديمقراطية وحرية العقيدة والعبادة [١] .

المسلمون في روسيا أثناء الحرب العالمية الثانية :

دخل الاتحاد السوفيتي الحرب العالمية الثانية مع الحلفاء (بريطانيا ،فرنسا ، أمريكا وغيرهم ...) ضد ألمانيا النازية وحلفائها (إيطاليا ، اليابان وغيرهم ..) ونجح الألمان في اجتياح شرق أوربا والمناطق الغربية من أملاك الاتحاد السوفيتي وخاصة تلك المناطق الإسلامية المطلة على البحر الأسود مثل (القرم) و (القوقازيين) وغيرهم الذين سلموا للألمان بسهولة ووقفوا يحاربون معهم ضد روسيا الشيوعية انتقاما لشهدائهم الذين سقطوا في الجهاد وكان لهم تأثير مرعب ضد العصابات الروسية والذين أنزلتهم البحرية الروسية في شواطىء البحر الأسود فكانوا يقضون عليهم لأنهم يعرفون وسائل الروس الحربية .

فكانت هذه المواقف الحربية مثار ألم شديد للروس مما حمل (ستالين) على إصدار منشورات يناشد فيها المسلمين في القرم وغيرها في أن يكفوا على القتال مع الألمان لأنهم سيقعون عاجلا أو آجلا في يد الروس مرة أخرى وكان أيضا يطلب منهم الوقوف على الحياد فقال في منشور له الى المسلمين في القرم :

" أيها القرميون إن الدولة السوفيتية تطلب منكم بقاءكم على الحياد . فرجاؤنا ألا تحاربوا رجالنا ، لولا أنتم أيها القرميون لكنا على استعداد في استرداد القرم في مدى أيام قلائل "

---

[١] الأهرام عدد ١٩/٩/١٩٩٥م .

فرد عليه الشعب القرمى بقوله :

" نحن شعب قرمى إسلامي ودرسنا الروس على دماء شهدائنا وأبريائنا طيلة الأستعمار القيصرى والشيوعى فأنتى يا موسكو أيتها الجائرة التى طالما أزهقت أرواح أبناء القرم الذين طالبوا بحقوقهم فنالوا بذلك منك العذاب ، وكيف لنا أن نسلم إليك رقابنا من جديد ؟ !! " (١)

وهكذا تخلصت حياة المسلمين في القرم والقوقاز عام ١٩٤١م من الظلم الشيوعى وتنفس الناس الصعداء بعد القضاء على النظام الشيوعى اللعين وبدءوا بفتح المدارس والمساجد المحولة سابقا الى أندية وسينما وأصطبلات خيول ومخازن ومراقص ، غير أن التحول في مجرى الحرب بعد معركة (استالين جراد) وبدء الزحف الروسي المضاد صوب القوقاز أضاعت على القرم استقلالها من جديد فحارب أبناؤها دفاعا عن حريتهم وذودا عن كرامتهم وشرفهم ووطنهم المقدس وواصلوا الجهاد مهما كانت العواقب وأخيرا أضطر الجيش القرمى المتطوع الى الانسحاب وهو يدافع عن كل شبر من أرض القرم وسقطت أرض القرم مرة أخرى في يد الروس وتراجع الجنود المسلمون خلال رومانيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا والنمسا الى بافاريا وهم يحاربون الروس بدرجة الجنون ويدافعون عن أراضى الألمان بل ويستبسلون أكثر من الجيش الألمانى نفسه .

وأخيرا انهارت ألمانيا ودفنت معها أمالها التى داعبت خيال رجالها ردحا من الزمن وفضل الجنود المسلمون من القرم والتركستان والقوقاز والأوراليين الأستسلام للإنجليز والفرنسيين والأمريكان الذين سلموا القسم الكبير منهم بدورهم الى الروس على الرغم من مخالفة هذا الأمر لقوانين العدل الدولى وعلى الرغم من احتجاج زعماء المسلمين لدى السلطات الأوربية وبدأ المسلمون من القوقازيين والتركستان والقرم في مخاطبة رجال الدولة المصرية ودول الشرق الأوسط بإيجاد مأوى للاجئين المسلمين وطلبوا منهم إغاثة هؤلاء البؤساء الذين كانوا يسلمون لجلاديهم الروس وقد

---

(١) المرجع السابق ص١٦١ - ١٦٢ .

أحتجت دول الشرق الأوسط ومنها مصر لدى هيئة الأمم وأنجلترا وفرنسا وأمريكا وسويسرا والفاتيكان وتم وقف التسليم فعلا في أواسط سنة ١٩٤٧م ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان ذلك لأنهم لن يبقى في يد الحلفاء سوى ستة آلاف لاجىء سوفيتى مسلم ومات الكثير من عددهم البالغ قرابة ٤٠٠ ألف شخص .

الأزهر الشريف والدفاع عن حقوق المسلمين في روسيا إبان الحرب الثانية :

لقد أقيمت في مصر لجنة إغاثة المسلمين المشردين في أوربا وكان ذلك بلفتة كريمة وشجاعة من الملك فاروق الذى كلف وكيل وزارة الخارجية كامل بك عبد الرحيم بإقامتها من كرام الرجال في أوائل عام ١٩٤٦م .

ولكن كان ذلك بسبب جهود الأزهر الشريف الذى نادى بنصرة المسلمين في روسيا وأروبا وذلك على لسان السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية الشيخ محمد عبد اللطيف دراز والذى كان عضوا في مجلس النواب المصرى الذى أعلن نداء الأزهر من فوق منبر مجلس النواب المصرى الى ضمير الشعب المصرى لضرورة إغاثة المسلمين في روسيا وأوربا وذلك أثناء الرد على خطاب الملك عام ١٩٤٥م وفيما يلى نصه :

" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " حديث

" الى ضمير الشعب المصرى الكريم . إليك نرفع نداءنا أيها الشعب العزيز ، وعلى ضميرك الحى الحساس نعقد الآمال في أن يستجيب عظماؤك ونبلاؤك ودولتك لهذا النداء المحزن المترجم عن أنات الأمهات وصرخات الأطفال وعن حيرة من طوح بهم القدر من الأبطال الذين جاهدوا في سبيل الله ثم اضطروا الى الهجرة . إن إخوانكم القرميين ومن معهم الذين ذاقوا مرارة الحكم القيصرى الشيوعى والذين تكبدوا مآسى لا يحدها الوصف ولا يحيط بها اللسان لمن أعظم المجاهدين ظلوا يقاومون الروس الطغاة ويستنكرون مظالم الشيوعيين التى تزيد حدتها على مر الأيام وراء

ذلك الحائط الذى صبغت جدرانه بدماء الأبرياء . " وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا " .

إن إخوانكم في القرم وفي البلاد الاسلامية الأخرى في روسيا لا يجاهدون لانقاذ أنفسهم فحسب بل يجاهدون في نفس الوقت من أجلكم لايقاف التسرب الشيوعى والتعصب الروسى الأمران اللذان يفتكان بالحياة والدين فتك الذئاب الجياع بفرائسها . وليس أدل برهان على جهاد مسلمى روسيا الصادق من التاريخ الذى كتبوه بدمائهم ومن الهجرة التى قام بها القرميون خاصة الى جهة تركوا تعينها لربهم فرارا من الطاغين كما فعل رسولنا صلى الله عليه وسلم . وما أشد تأثر المسلم وانفعاله عندما يسمع أن (الشيخ شامل) أحد زعماء مسلمى روسيا الذى عاهد الله أن يوقف زحف الروس الى بلاده فوقف ينازعهم نزاع الأبطال أكثر من ٢٥ سنة ولما غلبه القدر وتعذر الصمود ناجى ربه إذ قال : " يا رب إننى قد جاهدت في سبيل محمد رسولك الكريم . فالطف بى في آخر عمرى حتى ألبى دعوتك بجانبه " وقد استجاب الله دعوته ومات في المدينة ودفن فيها بجانب زعيمه محمد صلى الله عليه وسلم . فهذا مثال من الأمثلة الكثيرة العديدة التى ضربها الشعب الإسلامي في جهاده ضد الروس . " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " .

وهاكم مجاهدون من أبنائه . انظروا تروا جيشا قرميا كاملا هجر بلده العزيز دفاعا عن حقه . وهاكم جيش المدنيين ذكورا وإناثا ، أطفالا وشيوخا أبى إلا أن يلتحق بالعسكريين ويجاهد في صفوفهم بدون أقل تردد أو تشاؤم ، وكل هؤلاء آثروا الموت أو الهجرة بدلا من الاذعان للحكم الروسى الفاسد ، وهاكم أبطال العقيدة الاسلامية في عصرنا الحاضر ضربوا لنا فيها المثل الأعلى وعلى التاريخ أن يسجله . إن هذه الطائفة الممتازة التى رسخ في نفسها الإسلام لجديرة بأن تنال حقها الشرعى في الدنيا والآخرة .

وقد وجب على الأمة المصرية الكريمة البارة أن تسرع من جانبها على رأس البلاد الإسلامية الأخرى في مساعدة هؤلاء المهاجرين القرميين وغيرهم الذين بقوا في أوربا تحت رحمة الكنيسة في إيطاليا وألمانيا مساعدة مالية وأن تؤلف لجانا خاصة من أبنائها المسلمين الكرام تسعى لإيجاد مأوى لهم في أراضى لا تقع تحت النفوذ الروسى " إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم " .

وهؤلاء القرم أدوا في الواقع واجبهم على أكمل وجه ثم هاجر من استطاع منهم ليتابع جهاده في الخارج . والآن قد بقى علينا أن نمثل دور الانصار الكرام في مدهم بالمساعدة المالية والسياسية بحيث نطلب حكومة وشعبا من السلطات الانجليزية والأمريكية لكيلا تسلمهم الى الروس أعداء بشرية ونحس المدينة . ونحن يا معشر المصريين لو أدينا هذا الواجب الإنساني فقد شاركناهم في محنتهم ولعل الخير القليل يكون السبب الأول في مواصلة الجهاد والكفاح والظفر الاسلامى . " ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم " . " وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون " .
سنة ١٩٤٥م [1]

محمد عبد اللطيف دراز
السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد
الدينية وعضو مجلس النواب المصرى

وتم جمع التبرعات عن طريق لجنة إغاثة المسلمين المشردين في أوربا فوصلت ١٩٧٠٥ جنيهات مصرية نصفها في الهدايا المرسلة الى اللاجئين في أوربا ، ورصد الباقى للصرف منه على ١٥٣ لاجئا وصلوا الى مصر كدفعة أولى ، وقد تولى رئاسة اللجنة (لجنة الإغاثة) النبيل (عمرو إبراهيم) وقد صرف رئيس اللجنة على اللاجئين من جيبه الخاص قرابة خمسة عشر ألف جنيه مصرى

---

[1] المرجع السابق ص ١٦٥ - ١٦٦ .

، وهذا بشهادة مؤلف كتاب " كارثة القرم الإسلامية " يوسف ولى شاه أور الكبراى وأحد سكرتيرى رئيس اللجنة الذى كان يقيم في مصر وهو أحد علماء الأزهر ويعمل أستاذا بكلية البنات الفرنسية بالقاهرة ونشر كتابه عن كارثة القرم في أغسطس ١٩٥٠م[١]

---

[١] المرجع السابق ص ١٦٧ .

الفصل الرابع

—

الأوضاع الراهنة في روسيا ومستقبل المسلمين بها

—

من دولة عظمى الى كارثة عظمى :

بعد الانهيار المروع الذى حدث في الأتحاد السوفيتى ظلت أصداء هذا الانهيار تتردد بسرعة في روسيا الاتحادية التى ظنت أنها نجت بمفردها عندما ورثت حقوق الاتحاد السوفيتى في مقعده الدائم في الأمم المتحدة وغير ذلك من الحقوق لدولة عظمى ولكنها في الواقع تحولت من دولة عظمى الى كارثة عظمى كما قال بعض المراقبين [١] .

ذلك أن المشاكل العنصرية بدأت في الظهور وهى المشاكل التى حاولت روسيا القيصرية إخمادها على مدى قرون ومن بعدها الأممية المتمثلة في الأتحاد السوفيتى الشيوعى الذى بالغ في حرب المعتقدات ونشر الالحاد بجانب حربه للعناصر المختلفة التى كان يضمها كيانه الضخم . وبدأت هذه العناصر ترفع رأسها بعدما طال صبرها مثل الشيشان والتتار في القوقاز والقرم وحوض الفولجا ولابد للظلم من نهاية . وفيما يلى نعطى أمثلة لبداية النهاية هذه كما يرويها لنا الكاتب الصحفى فهمى هويدى فيقول :

" كل ما يمكن أن يقوله المرء في وصف موسكو ، يظل دون الحقيقة بكثير! ، ذلك أن دوى سقوط الاتحاد السوفيتى مازالت اصداؤه تتردد بقوة وقسوة في أرجاء العاصمة ، التى ظلت لعدة

---

[١] فهمى هويدى ، في مقال له بالأهرام عدد ٢٠ يوليو ١٩٩٥م .

عقود رمزاً لامبراطورية عظمى ، ثم أصبحت بين عشية وضحاها رمزا لكارثة عظمى !

تلاحقت الانطباعات المدهشة حيثما ذهبت . فكل ما تراه صاعقا ، وكل ما تسمعه مذهلا ، حتى يخيل اليك أنك انتقلت الى كوكب خرافى ، الحقيقة فيه أغرب من الخيال وعوالمه ما خطرت على قلب بشر .

لا تكفى كلمة " الانهيار " في وصف المشهد . ذلك أن الانهيار الذى حدث في ألمانيا أو اليابان بعد الحرب العالمية الثانية حول البلاد الى أنقاض حقا ، لكن شعور التحدى هنا وهناك أخرج من تحت الانقاض ارادة عظيمة اقامت عملاقا اقتصاديا في كل من البلدين . رغم أن الانهيار في اليابان وقع اثر استخدام القنبلة الذرية ضدها ، وانهيار ألمانيا تحقق بعد الهزيمة الكبرى التى تحققت على أيدى جيوش الحلفاء .

ما حدث في الاتحاد السوفيتى فاق بكثير ذلك الانهيار ، دون أن يكون هناك قنبلة ذرية ، ودون جيوش للحلفاء . انه هزيمة ساحقة وكاملة بضربة ذاتية قاضية وقاتلة ، اوقعت الدولة العظمى على الأرض منذ أربع سنوات ، ولا تزال متأثرة بغيبوبة السقوط حتى الآن . ليس ذلك فحسب ولكنها أيضا ما برحت تتآكل وتتحلل !

لست معنيا هنا بتقصى جذور المأساة واسبابها ، ولا بذور الشيوعية ومدى مسئوليتها عن وقوع الكارثة العظمى ، لان اكثر ما يهمنى في اللحظة الراهنة هو اثبات الحالة وتصوير المشهد بقدر ما اتيح لى من أن اسمع وارى .

لم يكن المشهد مفاجئاً تماما في حقيقة الأمر ، لان ثمة تقارير صحفية كثيرة افاضت في وصف النازلة التى حلت بموسكو . لكن المفاجىء بالنسبة لى على الأقل ، كان مدى تلك النازلة ، في الحجم والعمق . فقد سمعنا جميعا بأمر "الزلزال السوفيتى " لكننا لم ندرك بالضبط درجته التى لم أكن اتصور انها تجاوزت أى حدود قدرها صاحب مقياس (ريختر) !

صدمات منذ أول وهلة :

في الطائرة من القاهرة الى موسكو ، لاحظت أن بعض الركاب الروس حملوا معهم اقفاصا من الجريد ، مليئة بالطماطم والباذنجان ، بحسن نية سألت أحدهم : لماذا تحملون هذه الخضر من القاهرة ، فقال بإبتسامة حزينة ومرة : لأن سعر كيلو الطماطم الآن ، اصبح يعادل سعر سيارة " لادا " قبل أربع سنوات !

كانت تلك أول صدمة : الصدمة الثانية : كانت في الطريق من المطار الى فندق " كوزموس " في موسكو ، حيث فتح أحد مرافقينا صحيفة روسية ، وأشار الى اعلان جانبى في أسطر قليلة ، قائلا انه قد يهمنى . سألت لماذا ؟ فقرأ ومضى يترجم دون أن يرد : سيدة تنجب طفلا في شهر نوفمبر المقبل ، من يريد شراءه يتصل هاتفيا على رقم كذا ، وعليه أن يدفع عربونا يعادل ربع المبلغ الذى يتفق عليه !

الصدمة الثالثة : كانت في الفندق .. ذلك أن الفندق الروسى يرتبط في ذهنى بالبيروقراطية المرسومة بالجهامة والصرامة ، لكن ما أن دخلت الفندق حتى وجدت نفرا من بنات الهوى يتسكعن في باحته ، وحين لمحننا توجهن الينا بنظرات محملة برسائل عابثة شديدة البلاغة . بعدما انهينا الاحراءات وهممنا بالصعود ، جاءنى أحد المرافقين وقال هامسا : خذ بالك في الدخول والخروج ، فاحكم اغلاق الباب جيدا ، ولا تفتحه لأى طارق ، ولا تقلق كثيرا ، فألمافيا تحرس الفندق حقا ، لكن اولاد الحرام كثيرون هذه الايام ! .

وهكذا خلال اول ساعتين من الوصول كنت قد تلقيت كما من الصدمات كان كافيا لتبيهى الى الطبيعة المثيرة للمشهد الموسكوفى الذى اقبلنا عليه . اكمل الصورة وزاد من قساوتها . اننا حين وصلنا الى موسكو وجدنا درجة الحرارة قد وصلت الى ٣٢ ، وهو معدل معتدل ولم تبلغه ممنذ مائة سنة . الامر الذى أدى الى إذابة الاسفلت في مدرج المطار مثلا ، وتسبب في اغلاقه لمدة ثمانى ساعات . اما

ما فعله الناس ، النساء خاصة ، فقد اقنعنى بأنثمة حكمة الهية عميقة في انزال البرد والثلج على تلك البلاد طوال الوقت ، الأمر الذى يجبر الخلق فيها على ستر العورات عند الحد الأدنى ! .

لقد تغير شكل مدينة موسكو بصورة قد تخدع العين لأول وهلة . فظهرت على واجهاتها اعلانات السلع الأجنبية من سجائر (مارلبورو) الى شيكولاته (كادبورى) مرورا بمنتجات (سونى) و (سانيو) و (بييركاردان) وانتشرت فروع المؤسسات الأقتصادية الغربية التى تبيع كل ما تشتهيه الأنفس باسعار تتجاوز بكثير مثيلاتها ف اوربا . اما الأزياء الغربية والسيارات الفارهة من أحدث الطراز (رأيت كاديلاك امريكية سوداء بثمانية أبواب !) فقد أصبحت شيئا عاديا في الشوارع الرئيسية ، للعلم أيضا في موسكو الآن ١٥ ألف سيارة مرسيدس ٥٠٠ ، من الطراز الذى يطلق عليه وصف (الشبح) .

بشكل مواز فقد تعددت المطاعم الأوربية ، واصبحت علب الليل ونوادى القمار من سمات المدينة ، حيث يتزاحم عليها أبناء الطبقة الجديدة في روسيا ، واكثرهم شبان بين الثلاثين والاربعين ، تتدلى من رقابهم ومعاصمهم السلاسل الذهبية ، ويحملون هواتف نقالة متصلة بالأقمار الصناعية ، بينما تحيط بكل واحد منهم ثلة من الحرس المدججين بالسلاح .

لا تخطىء اذا قلت ان موسكو الكائن السياسى قد خلعت ثيابها وبدلت جلدها وتحولت الى كائن اقتصادى مبتذل ، وربما كان أصدق تعبير عن ذلك ان اللافتة الكبيرة التى كانت تتوسط شارع لينين - اهم الشوارع - وظلت طيلة العقود السابقة تحمل شارة الحزب الشيوعى (المنجل والمطرقة) وحولها عبارة "الاتحاد السوفيتى ركيزة السلام العالمى " . هذه اللافتة نزعت واختفت ، وحل محلها اعلان كبير عن أحد المصارف الخاصة (انكوم بانك) . ولئن بدا الأمر وكأنه تغيير لافتة حزب بلافتة مصرف ، الا أنه في حقيقته بمثابة تغيير لعقيدة الامة ، من عباءة ماركس ولينين الى عباءة الدولار . ومن ثم فإنه رمز للانتقال من عصر الى عصر .

لوثة أصابت الروبل !

اذا حولت بصرك عن المظاهر التى استجدت على المدينة ، واقتربت اكثر من الواقع ، في الميادين العامة والأسواق ومداخل محطات المترو فسترى مشهدا مختلفا تماما . لابد أن يلفت نظرك انتشار ظاهرة المتسولين من كبار السن ، الرجال والنساء ، وستلحظ أن أعداد كبيرة من الصبية يقفون عند إشارات المرور ، بحجة مسح زجاج السيارات ، لكي يفوزوا منك بأي شيء ، سترى رجالا يبيعون أعواد الزهور للمارة ، ونساء يعرضن علب السجائر ، وأخريات يفترشن الأرض لكي يبيعن خليطا من الأسماك والخضر والخبز . سيثير انتباهك بالضرورة ذلك الكم الهائل من الأكشاك التي غزت شوارع المدينة فجأة ، ولم تكن معروفة فيها من قبل ، وليس في هذه الأكشاك أية بضائع روسية ، ولكنها - كلها - أجنبية رديئة من نفايات الصناعة في أوربا وآسيا .

أشفقت على رجل حسن ظل يلاحقنا في أحد الميادين بنظرات توسل تصعب مقاومتها ، فسألت صاحبي الروسي : لماذا يكثر عدد المتسولين المسنين؟ فكان رده أن نسبة عالية من هؤلاء من موظفي الدولة الذين أحيلوا إلى التقاعد في الماضي ، ولكن معاشاتهم لم تعد تكفيهم الآن ، فلم يجدوا مفرا من التسول ! وقبل أن انطلق بكلمة سألني صاحبي : تتصور ماذا يساوى المعاش الآن ؟ وقبل أن أفكر في الأمر ، رد قائلا : أما معاش شهر يغطى الآن بالكاد قيمة لتر واحد من اللبن وكيلوا واحد من الخبز ، فقط لا غير !

ولم أكن بحاجة لان يشرح لي بعد ذلك ماذا يفعل أصحاب المعاشات لتغطية مصاريف بقية الشهر ، لأنني كنت أصادفهم حيثما ذهبت يلحفون في السؤال أو يبيعون أشياء تافهة مما يملكون .

لقد كان صدى الانهيار قويا في سوق العملة ، الأمر الذي أدى الى تصدع الوضع الاجتماعى بصورة مروعة ، حتى اننى لا أبالغ اذا قلت انه لم يعد بمقدور انسان في كل روسيا الاتحادية مهما علت درجته أو بلغت عبقريته ، من الرئيس يلتسين شخصيا الى أكبر

علماء الفضاء والذرة ، ان يكمل الشهر معتمدا على راتبه أو دخله المشروع .

ذلك أن الروبل الذى كان سعره الرسمى يزيد قليلا على الدولار ، وحين (انحطت) قيمة العملة الروسيى في بداية الثمانينات اصبح الدولار يعادل ثلاثة روبلات ، هذا الروبل فقد كرامته وصارت سمعته دون الحضيض بكثير خلال السنوات الثلاث الأخيرة ، يكفى في ذلك أن تعلم بأن الدولار أصبح يعادل الآن ١٩٩٥م خمسة آلاف روبل .

هذا التدهور المذهل اتى على مدخرات الروس جميعها ، وحول كل الطبقة المتوسطة الى فقراء ، وحول الفقراء الى تعساء ، وجعل حياة الخلق جحيما لا يطاق وإذا استعرنا التشبيه الذائع في العامية المصرية ، فقد نقول " ان كل من تغطى بالروبل صار عريانا " ، وكل من لا دولار معه ما عاد له مكان او مكانة.

ازاء فلم يعد للناس حديث سوى تلك اللوثة التى اصابت الأسعار ، وتلك اللعنة التى حلت بالروبل .

في واحدة من تلك (البكائيات) روى لى نفر من الروس والعرب بعضا من مظاهر مأساة الروبل ، الذى تراجعت قيمته خمسة آلاف مرة ، كانت المعلومات والمقارنات التى أجروها على النحو التالى :

متوسط دخل الفرد في عام ٩١ كان مائة روبل ، لكنه أصبح الآن ٥٠ ألفا اى ما يعادل عشرة دولارات فقط في الشهر ، وهذا المبلغ يغطى قيمة ٢كيلو طماطم فقط !

الروبل الواحد كان ممكن أن يشترى به المرء خمسة أرغفة من الخبز ، اما الآن فإن سعر الرغيف اصبح يتراوح بين ٢٥٠٠ و ٣٠٠٠ روبل !

كان يمكن أن تشترى ١٠٠ علبة كبريت بالروبل ، الآن وصل سعر العلبة الى ٤٠ روبل .

بالروبل كان لك ان تشترى ٢٠ تذكرة للمترو ، والآن وصل سعر التذكرة الى ٤٠٠ روبل .

١٠ آلاف روبل كانت تساوى قيمة سيارتين من طراز " لادا " وهذا المبلغ ذاته يدفع الآن لقاء كيلوين من الطماطم والخيار !

بل ان غسيل السيارة من الخارج أصبح يكلف ٥٠ ألف روبل ، اما اصلاح ثقب في اطار السيارة فانه يكلف ٣٠ ألف روبل .

المسكن الذى كانت اجرته عشرة روبلات في الشهر (اى ما يعادل عشرة دولارات) ، اصبح هذا المبلغ يعادل اجرة متر واحد ، وبالدولار ، بمعنى أن المتر المربع الواحد في السكن أصبح يؤجر بعشرة دولارات (٥٠ ألف روبل) والشقة التى مساحتها مائة متر مربع وصلت اجرتها الى ألف دولار ، وهو مبلغ يعجز عن دفعه الوزير الذى لا يزيد راتبه الرسمى على ١٢٠ دولار في الشهر .

اكبر ورقة مالية في روسيا و (الاتحاد السوفيتى) طيلة خمسين عاما ، كانت من فئة ١٠٠ روبل ، وفي شهر مايو الماضى صدرت ورقة مالية جديدة من فئة ١٠٠ ألف روبل !

ازاء ذلك فقد استحالت الحياة بالنسبة للاغلبية الساحقة ، فتزايدت أعداد الذين يموتون من الجوع ، واتسع نطاق عمليات بيع المواليد ، لان الآباء والامهات اصبحوا عاجزين عن الانفاق عليهم ، وتعاملت الحكومة (بواقعية) شديدة مع الموقف المستجد ، فأصدرت قانونا يبيح الاجهاض في البلاد ، بعد أن كان محظورا في ظل الشيوعية ، وكانت القوانين تشجع على الانجاب ، وتخصص مكافآت مالية وميزات اجتماعية لكل اسرة يزيد عدد اعضائها على اربعة .

وكما أصبح المولود هما يزيد من شقاء الأسرة ، فإن المتوفى الذى فارق الحياة اصبح بدوره مشكلة للاسرة ، لان تكلفة الدفن مع الجنازة والصندوق اصبحت تعادل ٢٥٠ دولارا ، وهو مبلغ يقصم ظهر اى اسرة عادية ، بسبب ذلك فإن المستشفيات بدأت تشكو من ظاهرة تراكم الاموات لديها ، الذين يرفض أهلهم تسلم جثثهم لعجزهم عن الوفاء بتكلفة الدفن .

لم يعد أحد يقرأ :

استمرت (البكائية) الى منتصف الليل ، وعرجت في شقها الأخير الى المقارنة بين اسعار الخيار والطماطم التى اصبحت (فلكية) بالنسبة لمتوسطات الدخول ، بأجور كبار العلماء التى انحطت الى أسفل سافلين ، الامر الذى دفع اعداد كبيرة منهم الى الهجرة الى الخارج . ودفع آخرين الى طرق ابواب السفارات الاجنبية للعمل كمترجمين ، وسكرتيرين ، وفي اى شيء يدر عليهم حفنة دولارات تقيم اودهم .

قال واحد من الجالسين ، لم يعد هذا زمن العلم والمعرفة ولكنه عصر الخطف والنهب والركض وراء الدولار ، ومن ثم الثراء الفاحش واللعب بالفلوس في نوادى القمار .

اردف صاحبنا قائلا : هل تذكر (دار التقدم) للنشر ، التى كانت متخصصة في تقديم الاداب العالمية ، لقد انتكست ولم تعد شيئا مذكورا ، مبناها الكبير بطوابقه الثلاثة اصبح اضحوكة وامثولته ، الطابق الأرضى اصبح معرضا للسيارات ، والطابقان الثانى والثالث تحولا الى متجر كبير للبقالة (سوبر ماركت) وكانت النتيجة أن انزوت المكتبة في ركن بائس ، لا سيما وان زبائنها اختفوا ولم يعد لهم أثر .

قال آخر : هل تعلم ان اعلى الكتب مبيعا في روسيا الآن هى كتب الجريمة والجنس ، وان المجلات المحترمة والمتخصصة مثل (توفى مير) (العالم الجديد) هبط توزيعها من ٢مليون نسخة الى ٢٠ ألف نسخة ، اما مجلتا (الآداب الاجنبية) و (صداقة الشعوب) فقد توقفتا عن الصدور .

اضاف ثالث : لان الورق كان مدعوما من الدولة ، كانت الكتب والمجلات تباع بأسعار زهيدة للغاية ولكن بعدما اطلق " غول " الاسعار أصبحت اثمانها فوق طاقة الناس .

فمجلة " ادب الاطفال " التى كانت بسعر رمزى اقرب الى المجان ، اصبح سعر النسخة الواحدة منها ١٧ ألف روبل ، اى ما يعادل ثلاثة دولارات ونصفا وصحيفة برافد التى كانت تباع بثلاثة " كيبيك " (الروبل مائة كيبيك) اصبحت تباع بألف روبل ، والمجلات

الأسبوعية التى كانت تباع الواحدة بـ ٢٠ " كيبيك " اصح ثمنها ٣ آلاف روبية .. وهكذا .

ما الذى أصاب العملة بذلك الانهيار المروع ، الذى احدث انهيارات اخرى ، مازالت تتتابع في مختلف المجلات الى الآن ؟ لا نحتاج الى جهد لندرك أن الذى انهار حقا هو الاقتصاد الروسى ، الذى تبين ان " بناءه الاشتراكى " كان اكذوبة كبرى ، وان ذلك البناء الذى استمر تشييده طيلة سبعين عاما ، قد اصبح هشيما في غمضة عين !

وللعلم فإن هذا الهشيم وقع في بلد هو من اغنى اقطار الدنيا في موارده الطبيعية ، وهومن هذه الناحية اغنى مرتين من الولايات المتحدة ، و٢٣ مرة من اليابان .

لقد توقفت ٧٥% من المصانع في روسيا الاتحادية بعدما انفتحت أبواب البلاد لسيل البضائع الأجنبية ، حتى لم يعد هناك ما يمكن أن يسمى حقا بضاعة روسية ، ناهيك عن أن ذلك ادى الى تسريح مئات الالوف من العمال ، اضيفوا بطبيعة الحال الى جيوش العاطلين والمتسولين ، حتى الصناعات التى كانت متقدمة نسبيا ، مثل السلاح وما يتعلق بالفضاء ، اصبحت تنتج عند الحدود الدنيا ، لان الدول التى كانت مشترية تقليديا للسلاح الروسى ، تحول اغلبها الى السلاح الغربى ، من ثم فإن بعض مصانع السلاح تحولت الآن الى ما يسمى بالأنتاج المدنى ، والذى يتراوح بين ادوات التجميل والمياه لغازية ومنتجات البلاستيك !

بعدما هزم الاقتصاد الروسى بالضربة القاضية امام السلع الاجنبية ، لم يقف الأمر عند حد اغلاق ثلاثة ارباع المصانع في البلاد ، ولكنه ترتب على ذلك ايضا ان اصبحت روسيا تعتمد في تسيير دفة حياتها اليومية ، وفي توفير احتياجات الناس على الاستيراد ، واذا علمت أن ٦٥% من طعام الشعب الروسى اصبح يأتى من الخارج ، فمعنى ذلك مباشرة ان أرادة الأمة الروسية اصبحت مرهونة لدى الغرب بنسبة ٦٥% على الأقل .(١)

---

(١) فهمى هويدى ، المرجع السابق ، نفس المقال .

بعد ان هزم المشروع ، وهزم المجتمع ، ماذا يفعل الناس ؟

كل مافى روسيا معروض للبيع :

بعد الانهيار الاقتصادى المروع لم يستطع الناس في روسيا مجاراة حياة الانفتاح بمرتباتهم الهزيلة فقد أصبح سعر الكيلو من بعض الخضروات مثل الطماطم بسعر ما يساوى ثمن السيارة " لادا " في الماضى قبل أربع سنوات . ومن ثم فإن الأفراد على جميع المستويات أصبحوا في مأزق ومن هنا أنتشرت اللصوصية والرشاوى وكثرت عصابات ألمافيا في كل مكان لفرض الاتاوات وجعلت لكل منها منطقة حيوية تنتشر فيها وتمارس فيها البلطجة .

ومن ناحية أخرى فقد أصبح كل شيء في روسيا معروض للبيع رسميا من أجل انقاذه للحصول على لقمة العيش بكل الوسائل مشروعة أم غير مشروعة وسنختار أحد شهود العيان من الثقاة لكى يعطى لنا صورة عن هذا المجتمع الذى فقد عافيته فعلا ، وهذا الشاهد هو الأستاذ الكاتب الصحفى فهمى هويدى [٢] فلنتركه يعطى لنا صورة عن الوضع الراهن في هذه الدولة التى هوت بسبب فساد نظامها فيقول :

" قبل يوم من وصولى الى موسكو سمعت الاذاعة البريطانية وهى تبث في إحدى النشرات الاقتصادية خبراء عن عرض سفينة فضاء روسية للبيع ، بمبلغ ستة ملايين دولار تقريبا . وتضمن الخبر تفصيلا دقيقا لمواصفات السفينة ، طولها وعرضها وقدراتها والخامات التى صنعت منها .. الخ .

اثار الخبر أنتباهى ، فسألت اول من لقيت من العارفين في موسكو عن مدى جدية ذلك العرض المثير ، فاستمع الى بعدم اكتراث وقال : لن أفاجأ اذا قرأت أن " الكرملين " ذاته معروض للبيع ، وفي اليوم التالى جائنى صاحبى بحزمة أعداد من صحيفة محلية تطبع باللغة العربية باسم " القدس " صادرة في العام الماضى ،

---

[٢] من مقال له في الأهرام بتاريخ ١١/٧/١٩٩٥م بعنوان : " مجتمع فقد عافيته " .

وقال : اقرأ الاعلانات المنشورة في هذه الاعداد ، وستجد فيها ما يجيب عن تساؤلاتك :

قلبت الأعداد ، فوقعت عيناى على اعلانات منشورة على صفحاتها تقول ما يلى :

للبيع رسميا : صواريخ ومعدات عسكرية وناقلات جنود ومدرعات .

للبيع رسميا : أسلحة خفيفة ومتوسطة وثقيلة .. المراجعة مكتب القدس موسكو .

للبيع رسميا : أسلحة جديدة ... دبابات متطورة وآخر موديل ت ٧٦ .

للبيع رسميا : طائرات ميج ٢١ و ٢٩ - سوخوى ٧ - المراجعة مكتب القدس في موسكو .

وهو يعلق على هذه الاعلانات قائلا : هل تظن أن هذا كله يمكن أن يظهر في صحيفة توزع على الاجانب ، دون أن يكون الأمر مرتبا مع كبار مسئولى وزارة الدفاع والمخابرات . هذا اذا لم يكن مرتبا مع أكبر الرؤوس في البلد ؟!

بمضى الوقت ،حين اتيح لى أن ألتقى بآخرين ، ادركت أن الأمر اعمق واكثر تعقيدا مما تصورت . ادركت أن الزلزال العظيم لم يسقط نظرية ومشروعا سياسيا فقط ، ولم يسقط سلطة بدت قاهرة وجبارة فقط ، ولكن سحب معه مجتمعا بأسره ، كان السوس قد وصل فيه الى العظم .

ومن الاعلانات :

تريد طائرة سوخوى ، ام تفضل الميج ٢٩ ؟ .. عندنا أيضا صواريخ تعجبك ؟ هل لك رغبة في سفينة فضاء معتبرة ؟ ام تراك تبحث عن حفنة يورانيوم مخصب لزوم القنبلة الذرية ؟ .. ليس لك في الحرب نصيب ، لا بأس .. ما رأيك في صفقة حب ؟ هاك دليل ملىء بصور السلافيات الحسان ، ومع كل صورة جميع المواصفات الدقيقة التى تهمك ، و " مكتبنا " مهمته تقديم خدمات التعارف و "

المؤخاة " إن شئت .. جرب ولن تندم ، فالسلافية سوف تنسيك الدنيا لبعض الوقت وقد ، وقد تعيد اليك شبابك طوال الوقت ؟ .

أمثال هذه العروض تسمع بها أو تلاحقك في موسكو ، خصوصا ان كنت عربيا . فقط ما عليك الا أن تختار وتأمر ، وسيكون لك ما أردت ، طالما انت مستعد للدفع الفورى !

لا تستغرب ، فكل شيء في روسيا معروض للبيع هذه الأيام ، لا يهم من المشترى ، لان الأهم هو الفلوس التى تتلهف عليها الخزائن والجيوب ، في مجتمع يبدو وكأنه اصيب بلوثة جعلت شرائح واسعة منه تندفع بكل ما أوتيت من قدرة وقوة ، لكى تغترف الحد الأقصى من متع الدنيا ، وما برحت ، تعب من الحياة عبا ، بنهم لا نظير له ، وكأنها تريد أن تعرض في غمضة عين ما حرمت منه الاجيال التى تعاقبت خلال السنوات السبعين الماضية ، إبان الحقبة الشيوعية .

انعدام الأمن :

ويذكر فهمى هويدى أيضا :

" تعد المافيا أحد تجليات تلك الحالة العبثية ، حتى تبدو وكأنها ورثت السلطة التى كانت صاحبة الحضور الأوفى في مختلف مناحى الحياة ، ذلك أنك لا تكاد تذهب الى مكان أو تتصل بنشاط ذى شأن ، إلا وتجد المافيا هناك ، من باب أو آخر . الفندق الذى نزلنا فيه مثلا ، كان تحت حراسة المافيا ، التى تتلقى حصة شهرية من عائداته . ليس ذلك فحسب ، وإنما على الملهى أن يدفع حصة أخرى ، وكذلك صالة القمار والمتجر الكبير (السوبر ماركت) حتى بنات الهوى اللاتي ينتشرن في الفندق كأسراب الجراد ، ويطفن بطوابقه المختلفة طيلة الليل ، لابد أن تؤدى كل واحدة منهن اتاوة مقررة الى المافيا !

وما يحدث في الفندق يتكرر مع بقية الفنادق ، بل مع كافة الأنشطة الاقتصادية والعامة الأخرى ، والامر جد وما هو بالهزل ، فإما أن تدفع او تقتل. وهم حين يتحدثون عن هذه النقطة ، يذكرون دائما ان مديرى سبعة بنوك قتلوا لأنهم حاولوا التمرد على سلطان المافيا ، وان مدير شركة سيارات " لادا " احرق في سيارته لذات السبب ، وحين لم يفهم قواعد اللعبة صاحب مطعم لبنانى ، فإنه عاد

ذات صباح فوجد النار قد التهمت مطعمه حتى أتت على كل ما فيه .. الى آخر القصص من ذلك القبيل .

في بداية التسعينات كانت المافيا مازالت طرية العود وحديثة التكوين ، ولأن خبرتها كانت محدودة ، فإنها لجأت الى أساليب بسيطة ومباشرة . كان أفرادها يسطون على المحلات التجاريى والبنوك ، ويوقفون الأشخاص في الشوارع لكى يسلبوا أموالهم ، ويسرقون محتويات السيارات . لكنهم الآن طوروا عملهم ونظموه بحيث أصبحوا يشتغلون في مجالات أوفر ربحا واكثر تنظيما فالعاصمة موسكو مثلا منظمة بين مجموعات المافيا تنظيما أفقيا ورأسيا ، بمعنى أن كل مجموعة تمارس نشاطها أحيانا حسب التقسيم الجغرافى للمدينة ، فلا تعدى واحدة على حدود أخرى ، واحيانا يكون التقسيم وفقا للانشطة ، فهناك مافيا للعقارات ، والثانية للاستيراد ، والثالثة للبغايا ، والرابعة للتجارة او الصناعة أو السلاح ، وهكذا ..

الجميع لهم عصاباتهم ، الجورجيون والروس والاذريون والداغستانيون والشيشان والتتار وغيرهم .. وهؤلاء الاخيرون ، ابتداء من الاذريين ، من المسلمين ، وهم معروفون بجسارتهم وقدراتهم الجسدية والقتالية العالية التى توفر لهم مكانة خاصة في عالم الجريمة .

روى لى مسئول باحدى الهيئات الاغاثية الاسلامية التى فتحت مكتبا حديثا في موسكو ، انه استقبل مندوبا عن احدى جماعات المافيا التى تباشر نشاطها الحى . دخل الرجل الى مكتبة بصحبة مترجم يجيد اللغة العربية ، وطلب منه صراحة ان يدفع المكتب إتاوة شهرية لعصابته . فقال له مسئول المكتب انهم لا يملكون مبالغ نقدية سائلة ، ولكنهم يعملون في توزيع سلع عينية على اللاجئين وضحايا المنازعات في المنطقة . ولديهم كميات من الأغذية والبطاطين والخيام ، وهم على استعداد لأن يقدموا للمافيا نصيبا منها ان شاءوا (لا تنسى أن المسئول لا يستطيع أن يرفض الطلب) .

بعد مناقشة استمرت بعض الوقت بين الاثنين ، اطرق مندوب المافيا لحظة ثم قال لمسئول المكتب الإغاثى : اذا لم يكن لديكم مال تدفعونه حقا ، فأننى اطلب منك شيئا آخر ، هو ان تقوموا ببناء مسجد في داغستان وتكفلوا ثلاثين يتيما !!

ادرك مسئول المكتب ان المتحدث عضو في عصابة من الداغستانيين المسلمين ، وانه اراد ان يفوز منه بأى شيء فوافق على طلبة ، وتم للعصابة ما ارادت !

وانت في موسكو تسمع قصصا لا آخر لها عن عروض وطلبات المافيا من المكات والسفارات العربية بوجه أخص . وقد قال لى أكثر من مسئول عربى عن تلك المكاتب انهم تلقوا عروضا متعددة لشراء كميات من اليورانيوم ، بتسهيلات كيرة تصل الى حد تقسيط المبلغ وتوصيل الكمية المطلوبة الى مكان خارج الحدود الروسية !

الوجه الآخر لهذه الحقيقة ، الذى يتجاهله كثيرون ، هو ان هذه العصابات ماكان لها ان تمارس نشاطها على ذلك النحو الواسع ، الا تحت رعاية .واحيانا لحساب - شريحة من كبار ضباط الشرطةالروسية والمخابرات (الكى . جى . بى) . وسواء كان أولئك الكبار السابقون أم الحاليون ، الا أن لهم نفوذا كبيرا يوظف لصالح تحقيق ثروات هائلة . ليس ذلك فحسب ، وانما الثابت أيضا أن للمافيا نفوذها داخل النظام القائم ذاته ، وداخل البرلمان أيضا . ومن الأخبار المتناثرة في موسكو أن ٢٠% من اعضاء البرلمان الروسى لهم علاقات دقيقة بعصابات المافيا .

حين تستشرى ألمافيا على ذلك النحو ، فإن تسليك أمورها مع أجهزة الدولة يتم عبر قناة واحدة هى الرشوة ، ناهيك عن أن الرشوة تظل هى الحل الوحيد لمشكلة موظفى الدولة الذين تدهورت دخولهم واحوالهم المعيشية بعدما هبطت قيمة الروبل بمعدل خمسة آلاف مرة ، والمعادلة هنا بسيطة ومحسومة . اذ عندما تنغلق أبواب الرزق الحلال ، تنفتح تلقائيا سكة الحرام !

ليس في الأمر سر ، لان الكل أصبحوا أطرافا في اللعبة بدرجة أو أخرى . ومن المعلومات المثيرة المتداولة في هذا الصدد ، أن

عصابات ألمافيا تدفع الى موظفى الدولة ما يعادل مليار دولار سنويا ، أى ما يعادل ٥ تريليون روبل ، وهو مبلغ يساوى ضعف ميزانية الزراعة في روسيا .

يقولون لك أيضا أن ثمة دراسات أشارت الى أنه اذا أضيفت قيمة الرشاوى التى يدفعها المواطنون العاديون ، فإن مبلغ التريليونات الخمسة التى يدفعها رجال المافيا سوف يتضاعف ، بحيث يصبح ١٠ تريليون روبل ، وهو ما يعنى أن المبلغ الاجمالى للرشاوى يعادل ميزانية الدولة كلها .

صحيفة " اوبشاياجازيتا " نشرت بيانا مفصلا بما يحصل عليه بعض موظفى الدولة من رشاوى شهريا . وفيه وردت المعلومات التالية : شرطى المرور يتقاضى رشوة قدرها ٣٠ ألف روبل (٦ دولارات) عدة مرات يوميا .. مدير إدارة المساكن العمومية يتقاضى ٢٠٠ ألف روبل (٤٠ دولارا) عدة مرات أسبوعيا .. الموظف المتوسط يتقاضى مليونى روبل (٤٠٠ دولار) عدة مرات شهريا .. والموظف المتوسط في دوائر الدولة يتلقى عشرة ملايين روبل (٢٠٠٠ دولار) مرة كل أربعة أشهر .. أما الموظف المتوسط المرتبة في وزارة فإنه يتلقى رشوة بمبلغ ١٥ مليون روبل (٣٠٠٠ دولار) عدة مرات في السنة.

قالت الصحيفة أنها استقت هذه الأرقام من تقديرات دوائر الأمن ، ومن الدراسات التى اجريت حول الجريمة في روسيا .. ومعروف أن اسماء كبار موظفى الدولة لا ترد في مثل تلك التقارير . لأن الرشوة حين تصعد الى ذلك المستوى تأخذ اشكالا أخرى ، فقد تكون سيارة مرسيدس من أحدث طراز تقدم على سبيل " الهدية " او خاتم من الالماس ، او تحفة أثرية نادرة ، أو فيلا في ولاية فلوريدا الامريكية ، أو زمالة دراسية في جامعة أكسفورد ! .

نواب البرلمان وضعهم أقل بكثير .. فهم يتلقون الرشاوى بغير عقبات لسبب جوهرى هو أنهم يتمتعون بالحصانة البرلمانية .. ثم أنهم ينتمون الى أن الجميع يعلمون أنهم يقتسمون كعكة واحدة !

انك اذا وقفت في المشهد الروسى الراهن جيدا ، وقارنته بما كان عليه ايام الحقبة السوفيتية ، ستجد فيه تشابها يلفت النظر .. فالذين احتكروا السلطة طيلة الأعوام السبعين الماضية ، باسم ديكتاتورية البروليتاريا ، واستأثروا بمختلف المزايا والخيرات ، وهم وابناؤهم واحفادهم من بعدهم ، هؤلاء كانوا يشكلون مجموعات " مافيا " رفعت شعارات نضالية . من قبيل ذلك أن قرارا صدر في عام ١٩٨١ نص على أن التغذية المجانية والمساكن والسفر الى منتجعات الراحة الموزعة على أجمل المناطق السوفيتية ، هذه الامتيازات التى يتمتع بها عضو المكتب السياسى . اصبحت تشمل منذ ذلك الحين ابناء العضو واحفاده بعد وفاته ! . وحين رحل بريجينيف الذى كان سكرتيرا عاما للحزب الشيوعى ، تبين أن القرار يشمل ٢٦٥ شخصا من اقاربه ، كانوا يحصلون على تلك المزايا غير العادية ، التى لم يكن يحلم المواطن العادى بعشر معشارها . واذا عممنا ذلك على بقية قيادات الحزب ، وهو قليل من كثير ، فسوف تدرك مدى النعيم الذى ظلت مافيا الحزب تتمتع به طيلة الحقبة المنصرمة .

كل الذى حدث أن ألمافيا بدورها خضعت للخصخصة ، ظل الحزب يحتكر وظيفتها طيلة سبعة عقود ، وحين سقط النظام وانهارت السلطة ، وتحولت موجة الارسال من السياسى الى الاقتصادى ، دخل الأهالى الى الحلبة ، وحلت " مافياتهم " محل مافيات الحزب !

السلافيات من أهم الصادرات !

تجارة الجنس باب آخر من أبواب الحرام ، التى انفتحت حين استعصى الرزق الحلال ، فإذا كان الرجال يشكلون عصابات ألمافيا ، والموظفون يرتشون ، فإن النساء يتربحن من بيع أجسادهن لكل من حاز دولار من الراغبين.

بعد يومين قضيتهما في فندق " كوزموس " بموسكو . ادركت ما لم يخطر لى على بال .. تذكرت ما كتبه استاذنا أحمد بهاء الدين

في مؤلفه " شهر في روسيا " الذى صدر في عام ١٩٥٥م (كان يباع بعشرة قروش !) ، وفيه أبدى اعجابه بإختفاء ظاهرة بنات الهوى من الاتحاد السوفيتى ، وقلت لو أن الاستاذ بهاء الدين رأى ما أراه الآن لما صدق عينيه . تذكرت أيضا فنادق بانكوك ، عاصمة تايلاند ، التى تلاحق فيها بنات الهوى القادمين في غرفهم منذ لحظة وصولهم ، ويتسكعن في ردهات الفندق طيلة ٢٤ ساعة .

الجديد هذه المرة في موسكو أن مشرفة الطابق في الفندق ، ولكل طابق مشرفة تراقب الحركة فيه وتتسلم المفاتيح ، تلك السيدة التى رأيتها في الماضى بدينة وصارمة وصلتها مباشرة مع جهاز الأمن ، وجدتها هذه المرة على هيئة مختلفة وفي دور مغاير تماما ، غطت وجهها بالأصباغ ، وصارت تبتسم ، ثم تهمس في أذنك وانت تتسلم منها مفتاح الغرفة قائلة بانجليزية ركيكة : هل تريد أن " تتزوج " الليلة فتاة كالقمر ؟ ! .

ذهلت حين سمعت السؤال ، وحين تطلعت الى وجهها ، اتسعت ضحكتها ، حتى ظهرت أسنانها الذهبية ، ثم غمزت وأشارت الى شمال ، وحين التفت وجدت ثلاث فتيات فارعات الطول يلوحن بابتسامات متفاوتة ، عقدت المفاجأة لسانى ، فشكرتها وأسرعت الى غرفتى ، التى أحكمت اغلاق بابها تحسبا " للطوارىء " ! .

حين رويت القصة الى أحد الاصدقاء ، قال : احمد ربك أنك حين فتحت الغرفة لم تجد واحدة اخرى بانتظارك داخلها ، ثم روى لى أن مكاتب "التعارف" - اسمها بالروسية " بيوروزنا كومست " ! - لها اكثر من مقر في موسكو . ويقوم بتسويق الفتيات السلافيات ، عبر طباعة " كتالوجات " خاصة تحتوى على صور الفتيات ومواصفاتهن ، وهذه المطبوعات تتداول في الداخل وترسل الى الخارج ، وبالذات الى الولايات المتحدة الامريكية التى يقبل اثرياؤها بشدة على ذلك المنتج السلافى الفريد !

قال لى أحد المخضرمين في موسكو أن تجارة الجسد هى أحدى التجارات المهمة خصوصا في المدن الروسية التى يؤمها السياح ، وان كثيرات يشتغلن بهذه التجارة لانهن لا يجدون بابا آخر للتكسب

ومواجهة أعباء المعيشة التى أصبحت فوق طاقة الجميع . وهناك زوجات وأزواج يتقاسمن هذه المهمة لرعاية اولادهم .. الزوجات يذهبن للبحث عن الرجل ، والازواج يفتشون عن العجائز الباحثات عن المتعة !

وحين تضاعفت اعباء المصروفات الجامعية ، لم يكن أمام الطالبات خيار ، فإما ان يمتنعن عن الدراسة ، او يواصلنها ويبحثن عن مورد لتغطية المصاريف ، والمورد المتاح لهن هو تجارة الجسد . لذلك فإن المرء لا يستغرب حين يسمع أن ٥٠% من طالبات الجامعة اصبحت من باعة الهوى .

غير أن الأمر ابعد من ذلك بكثير في الواقع .. فقد أصبح البغاء أحد اهم صادرات الاتحاد السوفيتى . وهناك شركات تصدر الفتيات الى تركيا ومصر واسرائيل ودول الخليج خلال العام الماضى " لمهام " مختلفة . وقيل حين نشرت الصحف أن البغايا في تركيا وإيطاليا قدمن احتجاجا الى السلطات المحلية ، لأن الروسيات دخلن السوق بكثافة وتسببن في انخفاض الاسعار ومن ثم الاضرار بمصالحهن . وفي تركيا يطلقون على الدعارة الكلمة العربية فاحشة ، لكنهم بعد الاجتياح الروسى اصبحوا يستخدمون في وصفها كلمة " ناتاشا " . وهى الأسم النسائى الروسى الشهير !

الدولة تتلاشى :

السؤالان اللذان يثيرهما الوضع الواقع الروسى الآن هما : ١- لماذا كان الأنهيار بتلك الصورة المفجعة ؟ ٢- والى أين تتجه روسيا ؟ ويمضى فهمى هويدة فيقول : في حدود ما سمعت من آراء وما تابعت من حوارات ، فليست هناك اجابة واضحة وحاسمة عن السؤالين . غير أننا اذا اعتمدنا اسلوب الترجيح ، فقد نذهب فيما يتعلق بالسؤال الأول الى أن الهشاشة المفرطة التى أصابت كيان الدولة وثيقة الصلة بالتدمير المستمر لبنية الانسان والمجتمع في كل الحقبة الشيوعية ، الذى استصحب سحقا للحريات واقتلاعا لمرجعية الدين للقيم والاخلاق . هذه العوامل كلها أفقدت المجتمع مناعته

وحصانته ومن ثم جعلته سريع القوط في هوة الجريمة وسريعة الأندفاع بأتجاه الرذيلة ، حيث لم تعد في الجسم خلية واحدة تتمتع بالعافية أو قادرة على التماسك والصمود . الامر الذى جعل الأنهيار عظيما وغير متناه .

السؤال " الى أين تتجه روسيا " شغل كثير في العالم الغربى خاصة ، وبين يدى اجابة اقتنعت بها ، خلصت اليها مجموعة الخبراء البارزين في الشأن الروسى والسوفيتى سابقا ، الذين أجروا في الصيف الماضى حلقة نقاش حول "مستقبل روسيا " في الكلية البحرية الأمريكية . وقد رأس هذه المجموعة س . اندرزديميوش أحد كبار الاختصاصيين العالميين في الموضوع . فقد رأى هؤلاء أن الدولة الروسية تتلاشى بسرعة ، حيث لم يعد بوسعها أن تؤمن استقرار عملتها ، أو أن تضع سياسة دفاعية قومية متماسكة أو أن تحمى السكان من الجريمة والفساد . وهى الأركان الثلاثة التى تقوم عليها سلطة أى دولة .

غير أنهم اعتبروا ذلك التلاشى أو الانهيار سيهيء الأجواء لبروز حركة قومية ناشطة ، الأمر الذى سيؤدى الى نهوض القومية الروسية لملء الفراغ الروحى والسياسى . وقد أشاروا في ذلك الى الزعيم القومى المتعصب فلاديمير جيرنيوفيسكى قائلين أنه ليس سوى رأس جبل الجليد في الانتفاضة القومية المرتقبة ، التى يتوقعون لها أن تحدث في بداية القرن الجديد .[(١)]

ومن جهة أخرى شاعت الأزمات البيئية والأمراض والفقر والتسول والتسرد وفساد وانحطاط الأخلاق ، وجرائم الشباب ، وزيادة معدلات أغتيال وقتل ودس عدد أفراد الأجيال الشابة ، وتناقص المواليد ، وتناقص التحاق التلاميذ بالمدارس لعدم كفاية مرتبات أولياء الأمور ، وزيادة المصاريف وتناقص المواليد عن عدد الوفيات والخوف من انقراض الروس كأمة وكشعب .[(٢)]

المسلمون في روسيا يحاولون التكتل في الانتخابات الروسية :

[(١)] فهمى هويدى ، المرجع السابق نفس المقال .

[(٢)] عبد الملك خليل ، أهرام ١٩٩٧/١/٩م من مقال بعنوان " روسيا الداء والدواء " .

في ١٧ من ديسمبر ١٩٩٥م سوف تجرى ثانى أهم انتخابات حرة في روسيا منذ أنهيار الاتحاد السوفيتى والشيوعية ، وستكون الأنتخابات هذه المرة أكثر سخونة ، وحافلة بأكثر من مفاجأة ، وذلك لعدة أسباب منها أن عدد الأحزاب والقوى السياسية التى ستشارك فيها زاد على (٢٦٠) حزبا وتنظيما سياسيا ، يتنافسون في ٤٥٠ مقعدا - أبرزها (اتحاد مسلمى روسيا) .. آخر تنظيم تم تشكيله في يونيو الماضى واحتفل بتأسيسه في الأول من سبتمبر سنة ١٩٩٥م ومنها أنه بعد تعديل الدستور الروسى مؤخرا أصبح من حق ثلثى أعضاء البرلمان إقرار ما يرونه من تشريعات ، رغم أنف الرئيس يلتسين .

ولعل إعلان (اتحاد مسلمى روسيا) كان هو الخطوة الأكثر إزعاجا للحكومة الروسية ، وكذلك البطريركية الأرثوذكسية الروسية ، وذلك رغم سبق الإعلان عن حزب روسى مسلم وهو الحزب الديمقراطى الإسلامى ، وكذلك عدة هيئات وتنظيمات إسلامية أنشئت للدفاع عن مصالح مسلمى روسيا ، وأهمها حركة (نور) الاسلامية .

وقد أعلن بوضوح الأمين العام للحزب أحمد خالدوف (الذى كان عضوا سابقا في حزب جيرنوفسكى) أن الأتحاد المذكور تأسس هذا العام ، وبخاصة ليشارك في الأنتخابات المقبلة ، وله فروع في ٥٠ منطقة في كل أنحاء روسيا ، وله أهداف سياسية محدودة وهى تمثل مصالح المسلمين الروس ، والسعى الى توحيد ٢٠ مليون مسلم روسى (خمس السكان) خلف الاتحاد ، بدلا من الخلافات الحالية المستمرة حول قيادة المسلمين الروس . أكثر من هذا أنه ث الرعب في قلو الروس بقوله : إن اتحاد المسلمين سوف يحقق فوزا مفاجئا في الانتخابات القادمة عبر مرشحيه ، مثلما فعل حزب جيرنوفسكى في الانتخابات ٩٣ عندما فاز برع مقاعد البرلمان ! وأنه يريد أن يظهر مسلمى روسيا كقوة تمثل القدوة في الدولة الروسية .

وكان من الممكن أن تمر تصريحات الأمين العام لاتحاد مسلمى روسيا على أنها دعاية انتخابية ، لولا أن بطريرك روسيا - الذى أصبح له دور نشط في السياسة الروسية مؤخرا - أصدر بيانا أعرب فيه عن قلقه من إعلان الاتحاد نية المشاركة في الانتخابات ، وقال : إن الكنيسة تعارض إدخال العنصر الدينى في الصراع السياسى ، واعتبر دخول الاتحاد الاسلامى الانتخابات فتنة طائفية وبادرة قد تؤدى الى مجابهة في العلاقات بين المسلمين والأرثوذكس !

ومن الواضح أن المطالب السياسية لمسلمى روسيا ، ووجود اتحاد جديد يسعى الى تجميع أصواتهم المتفرقة ووقف خلافاتهم ، هى التى أثارت الكنيسة الروسية ، مثلما أثارت الصحف الروسية المعادية للمسلمين ، فبدأت توجه أتهامات الى المسلمين بالتطرف والأصولية ، وتقارن بين اتحاد مسلمى روسيا وحزب النهضة الاسلامى الذى نشأ في روسيا في يونيو ١٩٩٠م وزاد التضييق عليه أيضا حتى جمد نشاطه ، فقد كان زعماء الحزب يحلمون بتشكيل كتلة برلمانية اسلامية في مجلس الدوما ، مثلما كان الحال في أثناء برلمانات روسيا القيصرية من ١٩٠٥م حتى ١٩١٧ ، وكان زعماؤه يؤمنون بالدفاع عن كل مسلمى الاتحاد السوفيتى السابق ، لذلك أنشأوا فروعا للحزب في طاجيكستان وأوزبكستان وقيرغيزستان .

دخول البرلمان بعد ٨٠ سنة :

ويبدو أن اتحاد مسلمى روسيا ومعه عدد من الهيئات والأحزاب الإسلامية الأخرى يسعى وراء الهدف نفسه ، وهو تشكيل كتلة اسلامية في البرلمان للدفاع عن مصالح مسلمى روسيا ؛ لذلك حدد بعض المطالب التى سيسعى لتنفيذها مثل : تعليم أصول الاسلام في المدارس ، والسعى لزيادة الاستثمارات في مناطق المسلمين ، والمطالبة بتوفير الظروف الملائمة للشباب المسلم داخل الجيش الروسى ، ومراعاة تقاليده الإسلامية في الأكل والفروض الإسلامية ، والأهم السعى للحصول على مقاعد أوفر في الانتخابات القادمة عبر

مرشحيه ، بحيث يدخل البرلمان - لأول مرة منذ قرابة الثمانين عاما - نواب مسلمون ، يدافعون عن مصالح المسلمين ، ويسعون لحل مشاكلهم في أى مناطق أخرى .

وأيا كان الموقف من القوى والتنظيمات الإسلامية الروسية التى أعلنت دخولها الأنتخابات ، فسوف تظل حقيقة ن الاسلام قد دخل بالفعل الساحة السياسية الروسية ، وأن تشكيل أتحاد مسلمى روسيا - كما يقول الباحث الروسى المسلم (ألكسى مالاشنكو) - سوف يمثل خطوة باتجاه تسييس الإسلام في روسيا ، وسيدخل المسلمين بصفة نهائية الساحة السياسية مثلما فعلت الأرثوذكسية من قبل .

خلافات المسلمين :

على الرغم من أن الكثيرين تمنوا أن يكون إنشاء اتحاد مسلمى روسيا مقدمة لتوحيد المسلمين هناك وتلاحمهم ، وبخاصة أنهم منقسمون على أسس عرقية عديدة ، وفي أكثر من مكان (في موسكو ، وفي ٧ جمهوريات إسلامية روسية ذات حكم ذاتى ، وفي ٨ مناطق أخرى ذاتية) ، فقد تخوف البعض من أن يكون تشكيل هذا الأتحاد سببا آخر للفرقة بينهم ، إذ إن هناك شبه منافسة بين رجال الدين الكبار القدامى منذ عهد الاتحاد السوفيتى والجيل الجديد الأكثر ثورية من الشباب الذى يطالب - بوضوح - بدور للمسلمين في الحياة السياسية الروسية . وكان من الملحوظات الملفتة للانتباه أن كبار رجال الدين الذين مازالوا يطالبون بفصل الدين عن السياسة - مثلما كانوا يفصلونه أيام الشيوعية - قد أعلنوا رفضهم الأنضمام الى أتحاد مسلمى روسيا ، إذ عقد مركز التنسيق الأعلى للهيئات الإسلامية في روسيا والأدارة الدينية لمسلمى القسم الأوربى في روسيا اجتماعا أسفر عن قرار الشيخ عبد الله غالى الدين - رئيس المركز - والمفتى الشيخ راوى على الدين ، عدم المشاركة في الاتحاد ، والابتعاد عن المعركة الانتخابية ! ولكى نفهم ذلك يجب أن نشرح حقيقة هذه الخلافات حول قيادة المسلمين في روسيا ، فقد تم إنشاء مركز التنسيق للإدارات الدينية لمسلمى روسيا عام ١٩٩٢م ، بحيث محل

الأدارات الدينية الأربع السابقة في البلاد قبل إنهيار الشيوعية ، ولكن واكب ذلك أيضا إنشاء مراكز إسلامية جديدة وإدارات جديدة ، وبخاصة في القوقاز ، وبدأت مواجهات وخلافات بين كل هذه الإدارات الجديدة والقديمة : أيها يتحدث باسم كل مسلمى روسيا ، وزاد من المشكلة تشكيل إدارات أخرى في الجمهوريات الروسية ذات الحكم الذاتى مثل تتارستان وبشكيريا وغيرهما ، وبالتأكيد لم يعترف كل رؤساء هذه الإدارات ببعضهم البعض ، وبدأت سلسلة من تفكك إدارات وانفصال إدارات أخرى ، انتهت بالتأكيد بوجود عدة إدارات عامة ومستقلة ، لا يعترف بعضها ببعض الإ النذر اليسير ، ولكن ظل مجلس التنسيق الأعلى - السابق الاشارة إليه - هو الأهم نسبيا ؛ لأنه يضم رؤساء الإدارات الإسلامية في تتارستان وبشكيريا وسيبريا وقبرطية وقرشيا وشيركسيا وغيرها من طاغستان . ولكن المشكلة في أن زعماء هذا المركز من التقليديين الذين يعارضون المشاركة في الأنتخابات بهذا الشكل الموسع ، ويركزون على الدفاع عن الاسلام ضد تهمتى التطرف والأصولية اللتين بدأتا تلصقان به في روسيا كما حدث في الغرب ، لذلك يتخوف كثيرون من أن يكون إنشاء اتحاد مسلمى روسيا عنصر خلاف وتفريق ، لا تصالح وتوحيد ، إذ كان البعض يعتبر الأمر سابقا لأوانه ، وأنه سيتم حسمه بعد الانتخابات ، فلو فاز الاتحاد ومعه منظمات وأحزاب إسلامية أخرى بنسبة مقاعد كبيرة ، فسوف يكون هو بالفعل الممثل الحقيقى لمسلمي روسيا ، أما إذا فشل فسوف يذبل وينهار - مثلما انهار حزب النهضة في روسيا - بحيث تبقى الإدارات الدينية السابقة كما هى .

ولكن المؤشرات تنبىء بفوز كبير لمسلمى روسيا في الانتخابات القادمة ، وصعود نجمهم - لأول مرة - منذ ٨٠ عاما في البرلمان ، زالسعى لتحقيق مصالحهم المهدرة ، ووقف الاعتداءات على مسلمى الشيشان وباقى الجمهوريات الإسلامية الروسية ذات الحكم الذاتى (١).

(١) جريدة الشعب عدد من سبتمبر ١٩٩٥م- من مقال كتبه الصحفى (محمد جمال عرفة) حول"مسلمو روسيا قوة سياسية جديدة في الانتخابات القادمة " .

أزمة الشيشان تفرض نفسها على الأوضاع السياسية داخل روسيا:

فرضت الأزمة في الشيشان نفسها على الأحداث داخل روسيا وأمتدت خارج حدود روسيا لتثير أنتباه العالم وهى الحرب التى بدأت منذ أكثر من عام من أجل طلب الاستقلال عن الاتحاد الروسى ، وعلى الرغم من أن روسيا بزعامة يلتسين حاولوا قمع ثورة الشيشان بالقوة المسلحة لإخماد نيران الثورة وكسر شوكة المقاتلين الشيشان وتخريب عاصمتهم جروزنى ، إلا أن المجاهدين الشيشان حولوا قتالهم في أواخر عام ١٩٩٥م ومطلع عام ١٩٩٦م الى خارج الشيشان وأثبتوا عجز القيادة الروسية عن إنهاء النزاع بالقوة المسلحة وقد تجلى هذا العجز في الطريقة التى تعاملت بها القيادة الروسية مع حادث احتجاز الرهائن في قرية (بيرفومايسكاية) بجمهورية داغستان المجاورة للشيشان حيث قامت القوات الروسية بعملية عسكرية شاملة شاركت فيها الدبابات والمدفعية لإبادة قرية كاملة سقط خلالها الآلاف من المدنيين وراح ضحيتها العديد من الرهائن الذين كانوا في قبضة الثوار وأثبتت تخبط الدب الروسى الذى قتل أصدقاءه مع أعدائه وهذا هو منهج الرئيس الروسى (بوريس يلتسين) منذ أن تولى السلطة في روسيا مع مطلع التسعينات بعد أنهيار الأتحاد السوفيتى .

وقد ظهر منهج الرئيس الروسى في معالجة الأزمات السياسية الداخلية عندما أنهى صراعه مع خصومه السياسيين داخل البرلمان الروسى في أكتوبر عام ١٩٩٣م بعملية عسكرية لأقتحام المبنى وأقتياد عدد من كبار المعارضين من نواب الشعب الروسى الى السجون لإسكات صوت المعارضة لسياسته الداخلية والخارجية التى لآقت فشلا زريعا وشهدت تخبط ملحوظا مع تزايد السخط الشعبى بسبب تدنى أحوال المعيشة في روسيا [1] .

المظاهرات في جروزنى مظهر من مظاهر المقاومة للروس:

---

[1] الشعب عدد ٢٣ من يناير ١٩٩٦م .

وفي مطلع شهر فبراير جد جديد في مجال مقاومة الشيشان للوجود الروسى في بلادهم فقد قام الآلاف من النساء والرجال بمسيرات سلمية داخل العاصمة جروزنى احتجاجا على الوجود الروسى وطالبوا بإجلاء القوات الروسية عن بلادهم وأستمرت هذه المظاهرات ليلا ونهارا وأعتصم المتظاهرون في الميادين وأقاموا الخيام وحاولت حكومة الشيشان الموالية لموسكو فض المظاهرات سلميا فلم يستطيعوا إلا بعد أن قدموا لزعماء المتظاهرين أمرا رسميا لأحدى الوحدات الروسية بالأنسحاب من العاصمة مما أقنعهم بفض مظاهراتهم، وصرحت مصادر صحفية روسية أن الشرطة العميلة لموسكو فتحت النيران على المتظاهريين مما دفعهم لإنهاء تجمعهم بعد سقوط بعض القتلى والجرحى .

وقد ذكر عدد من أبناء جروزنى صباح يوم ١١ فبراير أن المتظاهريين الذين غادروا ساحة قصر الرئاسة ليلا على متن أتوبيسات روسية لم يعودوا لديارهم الأمر الذى يثير شكوكا حول أحتمال أعتقالهم بتهمة الأنتماء لوحدات المقاومة التابعة للرئيس الشيشانى (جوهر دوداييف) .[١]

محاولة تصفية المقاومة الشيشانية :

تقوم القوات الروسية بعد احتلال جروزنى بتصفية المقاومة الشيشانية بنفس الطريقة التى قامت بها في جروزنى وهى تمشيط كل قرية بيتا بيتا وقتل الأبرياء ودفنهم سرا وهذه العملية ذكرها الصحفيون المراقبون هناك حيث شاهدوا كثيرا من القبور الجديدة في هذه المدن الممشطة .

وتحاول القوات البحث عن القواد الكبار مثل (جوهر دوداييف) وكبار قواده الذين قادوا التمرد وظهرت الى حيز الاعلام أنباء عن مجزرة تمت في سماشكى في ١٤/٤/١٩٩٥م ذكزت إذاعة لندن أن سماشكى بالقرب من الحدود على الأنجوش حاصرتها الجنود الروس أربعة أيام . واستعملوا قاذفات اللهب وغيرها من الأسلحة وأخرجوا

---

[١] الأهرام ١٢ فبراير ١٩٩٦م .

المدنيين من ملاجئهم ويتعاطى الجنود المخدرات ، وقد لاحظ الصحفيون إنتشار القبور الجديدة في المدينة .

هذا في الوقت الذى تدعى فيه روسيا أن الأعمال العسكرية إنتهت في الشيشان .

وفي المساء أذاعت لندن أيضا أن روسيا بصدد الهجوم على آخر معقل للمقاومة الشيشانية في المنطقة الجبلية في غربى البلاد ، واحتجت فرنسا على هذه العمليات الهجومية .

العودة الى جروزنى :

عاد المجاهدون الشيشان مؤخرا الى العاصمة جروزنى مرتين وسيطروا خلالها على ثلثى المدينة تقريبا رغم تمركز الروس بالمدينة ، وقتلوا كثيرا من الجنود الروس ، وقوات الغزو الروسى لم تنجح سوى في قتل المدنيين العزل واقتحام القرى الشيشانية والقرى الداغستانية التى آوت الشيشان وتدميرها تماما ، ولم تأت هذه العمليات بنتيجة حاسمة للقضاء على المجاهدين الشيشان ،والمحصلة كثير من التدمير لأراضى الشيشان وهذه الأعمال مثل أعمال الدب الذى يقتل صاحبه وصدق من أطلق على روسيا الدب الروسى .

وأخيرا أعلن يلتسين في ٣١مارس على شاشة التليفزيون وقف العمليات العسكرية إبتدا من منتصف ليلة الأحد ٣١ مارس ١٩٩٦م وسحب القوات الروسية الى الحدود نهاية لهذه المأساة التى روعت الروس والشيشان معا منذ دخول القوات الروسية أراضى الشيشان يوم ١١ديسمبر ١٩٩٤م ولكن هذا البيان التلفزيونى جاء متأخرا والدافع إليه حملة انتخابات الرئاسة في ١٦ يونيو ٩٦ والفرصة أمام يلتسين أصبحت ضئيلة ، وأهم شىء أن يلتسين سلم مؤخرا بالتفاوض مع دوداييف عن طريق وسيط .[1]

رد فعل دوداييف على بيان يلتسين في ٣١مارس١٩٩٦م:

---

[1] الوفد ، عدد الخميس ١٩٩٦/٤/٤م .

وكان رد فعل دوداييف عدم الثقة في هذا البيان على الرغم من اعتراف يلتسين لأول مرة بالتفاوض مع جوهر دودايف مع أنه كان يعتبره من قبل قاطع طريق لا يمكن التفاوض معه .

غير أن يلتسين يعتبر أن اجراءات التفاوض مع دودايف لا يختلف في شيء عما فعلته اسرائيل بالتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية (!) بأنها لعبة (ويجب أهداء هذا الفهم الى ياسر عرفات ورفاقه) وما فعلته بريطانيا بالتفاوض مع الجيش الجمهورى الإيرلندى (!) فالجميع من وجهة نظره إرهابيون يمكن التفاوض معهم في نهاية المطاف !

محاولة اغتيال دودايف :

في الشهور الأربعة الأخيرة تم إرسال مجموعات خاصة الى جمهورية الشيشان للعثور على دودايف وتصفيته جسديا غير أن الشيشان اكتشفوا هذه المجموعات وأجهزوا عليها . ومشروع يلتسين الأخير يفرق بين نوعين من الشيشان ١ـ عناصر إجرامية ومرتزقة . ٢ـ مضللون انضموا الى دودايف للأنتقام لموت أقربائهم وتدمير بيوتهم .[٢]

ومن ثم فإن العمليات العسكرية الكبيرة ستتوقف وتبدأ عمليات عسكرية خاصة للقضاء على النوع الأول من المجاهدين وهذه في الواقع خطة لمحاولة بث الفرقة في الصف الشيشانى .

أنباء متضاربة عن مصرع دودايف :

أذاعت عدة وكالات أنباء مصرع جوهر دودايف في ٢١ أبريل ١٩٩٦م بصاروخ أطلقته طائرة روسية في جنوب الشيشان ، وتم أنتخاب نائبه (سليم خان ياندربييف) رئيسا مؤقتا ، ووصفت قيادة المقاومة الشيشانية مصرع دودايف بأنه عمل إرهابى وهددت بالأنتقام ، فيما حذر الرئيس الروسى من تزايد نشاط المقاومة وحمل

---

[٢] جريدة الوفد المصرية ، عدد الخميس ١٩٩٦/٤/٤م .

دوداييف مسئولية نشوب الحرب وأكد أم موسكو مصممة على انهائها سلما .
وأكد أحد القادة الميدانيين وهو شامل باسيف مصرع دوداييف وأكد أن أنصار جوهر مصممون على مواصلة المسيرة حتى النصر ولو أدى ذلك الى ٥٠ أو مائة سنة من الحرب . ودعا الشعب الى توحيد صفوفه ضد المعتدين .
وأذاعت وكالة (إنترفاكس) الروسية نبأ أكدت فيه مقتل جوهر دوداييف متأثرا بجراحه خلال غارة صاروخية على بلدة (غيخىتشو) التى تبعد ٣٠ كيلو متر عن جروزنى ، وكان ذلك أثناء محاولته إجراء اتصال عبر الأقمار الصناعية بأحد الوسطاء ، ولا يستبعد أن يكون الحادث عملية مدبرة رصد خلالها مكان دوداييف من خلال الأقمار الصناعية التى تسجل المكالمات الهاتفية .
ولكن وكالة " إيتار تاس " الروسية ذكرت أنها ليست متأكدة من دفن جوهر دوداييف وتحاول الجهات الروسية التأكد من نبأ مقتله وأبدت الحكومة الروسية حذرا في التعامل مع النبأ ، وذكر بعض المسئولين الروس افتراضات حول اشاعة مصدرها دوداييف نفسه وأن النبأ أطلق ليكون ستار دخان لتغطية أنسحاب دوداييف مؤقتا وتعطيل المفاوضات مع موسكو ، وتوقع أن يعود (دوداييف) الى الظهور كبطل قوى بعد ٣ أو ٤ أشهر .[١]

الحرب الشيشانية تدخل عالم الأساطير :

تحولت حرب الشيشان من مواجهات يومية بين القوات الروسية الغازية وفصائل المقاومة الشيشانية ، الى قصص تدخل في دائرة الأساطير . أما آخر هذه الأساطير فقد جاءت على لسان (سليمان رعديوف) أحد القادة الميدانيين ، الذى أكد أن (جوهر دوداييف) الرئيس الشيشانى ، مازال على قيد الحياة . ظهر رعديوف ، في مؤتمر صحفى عقده في جنوب الشيشان واذاع التليفزيون الروسى مقتطفات منه ، وقال " اقسم على القرآن الكريم

---

[١] الحياة ، عدد الخميس ٢٥ ابريل ١٩٩٦م ص٨ .

وأمام الله أن دوداييف على قيد الحياة " . ورغم أن رعديوف لم يقدم دليلا على أقواله إلا أن مجرد ظهور هذا القائد الشهير على مسرح الاحداث من جديد ، يفجر مفاجأة مذهلة لم تكن في الحسبان ، حيث أن رعديوف نفسه ، اعتبر قتيلا منذ مارس الماضى ، وروجت المخابرات الروسية لقصة اغتياله ، وقالت آنذاك أن رعديوف قتل في اشتباك مع قوات الأمن الروسية جرى في مارس جنوب العاصمة جروزنى .

وقال رعديوف الذى كان يخفى عينيه بنظارتين سوداوين كبيرتين ، وقد بدأ أثر عملية جراحية على أنفه أمام عدد من الصحفيين إنه نجا من الموت وأجريت له عملية في مستشفى خارج روسيا . وأضاف إنه عاد لتوه من المستشفى ، الذى يعالج فيه دوداييف وأن الرئيس الشيشانى كلفه بشن حرب شاملة ضد القوات الروسية حتى تحقيق النصر النهائى . ولم يستطع الصحفيون الذين تابعوا المؤتمر الصحفى التحقق من شخصية رعديوف ، خاصة بعد عملية التجميل التى أجريت له إثر إصابته التى ذهبت بإحدى عينيه وبجزء من أنفه .

ورغم ذلك ، فإن رواية رعديوف تعيد فتح ملف دوداييف من جديد ، وإن كانت هذه الرواية تدخل بالرئيس الشيشانى الى دنيا الأساطير ، بوصفه رمز المقاومة الذى لا يموت . وكان المحيطون بالرئيس (جوهر دوداييف) قد أعلنوا أنه قتل بصاروخ اطلقته طائرة روسية في ٢١ أبريل الماضى جنوب الشيشان ولم تقدم أى جهة ، ما يثبت مقتل دوداييف ولم يعرف بعد المكان الذى دفن فيه . (١)

هزيمة الروس واتفاق أغسطس ١٩٩٦م :

أخيرا أعلن الجنرال " ليبيد " انتهاء الحرب في الشيشان ، ووقع مع قادة المقاومة اتفاقا سياسيا يقضى بتأجيل بقاء الجمهورية الشيشانية ضمن روسيا لمدة خمس سنوات يجرى بعدها أستفتاء

(١) اللواء العربى ، العدد السادس ، الأربعاء ٧ أغسطس ١٩٩٦م .

عام حول استمرار بقائها أو استقلالها عن موسكو ، وقد عقب (سليم خان ياندرباييف) على الأتفاق قائلا إنه خطوة مهمة نحو الاستقلال الكامل عن روسيا ، وأضاف : إن الشيشان في الواقع جمهورية مستقلة لكن الاتفاق خطوة نحو إقرار الروس بذلك .. ورغم الدمار الهائل الذى أحدثته الحرب بالبلاد (٤٠ ألف من الضحايا المدنيين) إلا أن نشوة النصر قد دبت في المقاتلين والمواطنين فشاهدنا على شاشات التلفاز الاحتفالات الجماعية الراقصة ابتهاجا بانتهاء الحرب وتحقيق النصر .

نتائج الاتفاق الأخير :

ويمكن القول بأن الاتفاق الأخير قد حقق عدة نتائج مهمة في المسألة الشيشانية :

أولا : الاعتراف الروسى الرسمى بالمقاومة الشيشانية باعتبارها الجهة الوحيدة الممثلة لشعبها ، وسقوط خيار روسيا الذى يمكن أن نطلق عليه " البديل الشيشانى للمقاومة " .. فلم يعد للحكومة الشيشانية العميلة أى شرعية ، ولم يكن لها أى وجود أثناء توقيع الأتفاق ، بل تكشفت أمام القيادة الروسية حقيقة كذبها حول ادعاءات قوتها ، ووصفها للمقاتلين بأنهم " عصابات مجرمة " لا تعبر عن الشعب الشيشانى . كما سقطت أيضا الادعاءات الكاذبة للقادة الروس الذين دأبوا على وصف المقاتلين بأنهم " قطاع طرق " وخارجون عن القانون ، وأن التدخل الروسى في الشيشان هو مساعدة صديقة للشيشانيين .

ثانيا: الاتفاق الأخير جاء بعد فشل كل المحاولات الروسية لحسم الصراع في الشيشان عسكريا ، ولم تكن الخسائر فقط في الجانب الشيشانى بل إن الجانب الروسى قد سقط في الحرب (١٣ ألف قتيل ومفقود) .. بينما كانت الضحايا في الجانب الشيشانى من المدنيين فإن الضحايا من الجانب الروسى كانوا من العسكريين ، وقد كشفت الشيشان عن الوجه الحقيقى للجيش الروسى الذى أنتهك كل قواعد

الحرب واستخدم ابشع أنواع الأسلحة والرسائل لتحقيق انتصار لكنه فشل في ذلك ، لقد أدى ذلك الى تحطم الروح المعنوية للجيش الذى وصفه " ليبيد " بأن جنوده يائسون ولا يعرفون هدفا للحرب . كما أن الحرب ببشاعتها خلقت رأيا عاما في البلاد ضد استمرارها . ومن ثم فإن خيار السلام حتميا أمام الروس ولم يكن هناك بديل له ، لذا فإن الأتفاق هو محصلة حقيقية للفشل الروسى ، وقوة العزيمة الشيشانية . ولا يتوقع نكوص عنه كما حدث في اتفاقات سابقة من قبل القادة الروس .

الحرية والاستقلال :

ثالثا: إن الاتفاق التاريخى الأخير بين الروس والمقاومة الشيشانية لا يحدد فقط لحظة مصيرية في التاريخ الشيشانى ولكنه يفتح الباب واسعا أمام بقية الجمهوريات الإسلامية في روسيا لكى تحذو حذو الشيشان في المطالبة بالاستقلال عن روسيا . وما نقله المراسلون عن عمق فكرة الحرية والرغبة في الاستقلال من قبل الشعب الشيشانى تعيشها بالتأكيد بقية شعوب الجمهوريات الاسلامية ، فأحد المراسلين الصحفيين يذكر أنه عندما ذهب الى أرض الشيشان قالت له امرأة تغطى رأسها بمنديل : " أراد يلتسين أن يأتى الى هنا لكن من الأفضل أن يذهب الى روسيا .. لا نريد حكومته غير الشرعية ، إنه يقتلنا منذ سنوات لماذا ؟ نحن لا نريد غير أن تكون لنا جمهوريتنا " . وقال شيخ : " نحن نتظاهر سلميا وهم يطلقون علينا قذائفهم ، الروس يقولون : إننا مجرمون انظر يا سيدى ، هنا لا يوجد مجرمون ولا قطاع طرق . هنا أناس يطالبون بحريتهم " . لا نريد أن نكون عبيدا للروس ، الحرية والاستقلال هى شعارات مكتوبة تحت شعار الله أكبر على حوائط جروزنى .

الشيشانى والموت :

رابعا: انتصار الشيشان يمكن القول بأنه تعويض ربانى عن الهزيمة الداخلية للأفغان ، فبينما استطاع الأفغان تحقيق نصر عسكرى كبير

إلا أن الاوضاع الداخلية قد تفجرت وذهبت بحلاوة انتصارهم على الروس ، لكن النصر الشيشانى عرق واحد ولغة واحدة ، وتضم جمعية الطرق الصوفية التى هى بمنزلة مؤسسات منظمة للإنسان والمجتمع معا ، وتبدو بقوة فى الوجدان الشيشانى ما يمكن أن نطلق عليه "التأثر التاريخى" فلا يزال الوجدان الشيشانى وفيا بعنف وقوة لمعاركه مع القياصرة ، ولم يكن الشعب يرى أن المعركة التى بدأت في أواخر القرن الثامن عشر قد انتهت بعد .. لذا فإن الموت قدر شيشانى ، وقد قال مريد (مقاتل صوفى) " إن الشيشانى يولد بعلامة الموت على جبهته فهو يعرف أنه في يوم أو آخر سوف يموت وسلاحه بين يديه .. هذا قدره ، ويعد نفسه منذ طفولته لهذا اليوم المجيد الذى يجمع روحه بأرواح أجداده . إن الأماكن ذاتها التى حارب فيها الشيخ شامل والامام منصور ، وحمزة الخزاجى لا تزال هى نفسها التى تجرى الحرب اليوم عليها .. إن الشعب الشيشانى تاريخيا كان معلما لبقية شعوب القوقاز الجهاد والتضحية واستمرار المقاومة . لذا فإن نصره سوف يستمر في بناء معركة الداخل التى أشارت بعض التقارير الى أنها بدأت فعلا أثناء الحرب ، حيث بدأ المقاومون المجاهدون يرسون أسسا وبنى اجتماعية وسياسية لدولتهم ، وقد بدأت فعلا حركة إعادة الإعمار في البلاد ، كما أن خبرة موت (جوهر دوداييف) أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن البناء التنظيمى للمجاهدين هو بناء راسخ وقوى ومتكامل وأن المراهنة على الانشقاق بين صفوفهم كانت خاسرة لذا فإن الشيشانية متوقع لها أن تثبت قدرة في الداخل لا تقل عن قدرة الحرب وبخاصة أن إمكانات الشيشان الاستراتيجية هائلة بكل المقاييس .

انتصار الشيشان والأمن القومى الإسلامى :

خامسا: يمكن القول بأن هناك " أمنا قوميا اسلاميا " ونقصد بذلك وجود قواعد ومتطلبات تفرضها " جيبوليتكا العالم الاسلامى " فلم يعد جائز النظر للمؤامرات التى تحاك ضد دولة باعتبارها مؤامرات منفصلة ، وإنما هى مهددة للكيان كله وبهذا

الاعتبار فإننا نرى نشاط الكيان الاسلامى في مناطقه الطرفية هو تعويض استراتيجى مفتوح عن خنق مناطق القلب ، وبينما حركة الأطراف التى تتخذ خطا مستقيما محوراه البوسنة - الشيشان هى بالأساس صراع مع العالم الأرثوذكس فإن مؤامرات القلب يقوم بها العالم الغربى ممثلا في أمريكا واسرائيل . إن انتصار الشيشان والبوسنة (الى حد ما) هو مساندة استراتيجية لحركة القلب التى بدأت تتخذ طابعا اقتصاديا ، وأن الأمة الاسلامية لا تزال رغم حصارها قوية ولا تزال تحقق الانتصارات على المستوى العسكرى والحضارى .[1]

الجنود الروس سرقوا المخزون النووى :

كشفت صحيفة " صنداى تايمز " عن أن كميات من الخزون النووى الروسى في الشيشان قد تمت سرقتها ، وتم وصولها الى عناصر إرهابية في أنحاء متفرقة من دول العالم ، ونقلت الصحيفة عن وثائق روسية حصلت عليها ، من بينها وثيقة مختومة بخاتم الجنرال الروسى المتقاعد الكسندر ليبيد (سكرتير عام الأمن القومى الروسى) السابق ، تفيد علم العديد من الوزارات الروسية باختفاء هذه الكميات الكبيرة من المواد النووية من البلوتين واليورانيوم التى تستخدم في انتاج الأسلحة النووية لدرجة أن نصف المواد المخزونة تم سرقتها ولم تكن هناك ضمانات تحول دون الاستيلاء على هذه المواد .

وتوجه أصابع الاتهام الى الجنود الروس المحبطين بسبب تدنى مرتباتهم وتأخرها ، فيحتمل استيلائهم على هذه المواد وبيعها في السوق السوداء للإرهابيين وطبقا لأحد الوثائق فإن المواد النووية كانت في ٢١موقعا في أراضى الشيشان .[1]

من الحرب الى السياسة :

---

[1] انظر جريدة الشعب التى تصدر من القاهرة ، عدد ٣من سبتمبر ١٩٩٦م ، مقال بقلم كمال حبيب .
[1] جريدة الشعب المصرية ، عدد ١٩/١١/١٩٩٦م .

في السابع والعشرين من يناير سنة ١٩٩٧م تم إجراء انتخابات لاختيار رئيس جديد لجمهورية الشيشان وأنتخب الشعب بأغلبية ساحقة (أصلان مسخادوف) والمعروف أنه من دعاة استقلال الجمهورية الشيشانية عن روسيا غير أنه يختلف عن العديد من الزعماء الآخرين في بلاده الذين قادوا الحرب ضد الغزو الروسى على أمتداد ٢١شهرا ، بأنه يقول : إن النضال من أجل أنتزاع الاعتراف بأستقلال الشيشان يجب أن يتم بالوسائل السلمية فقط.

وقبل أيام من الأنتخابات الرئاسية والبرلمانية الشيشانية عقد أصلان مسخادوف مؤتمر صحفى قال فيه : " إن جمهورية الشيشان دولة مستقلة ، لقد حددنا وضع بلادنا في عام ١٩٩١م ولا يمكننا أن نبحث سوى العلاقات بين دولتين مستقلتين : روسيا الأتحادية وجمهورية الشيشان " .

" وشيء واحد نريد أن نقوله الى روسيا لم يعد مقبولا لدينا أن يكون لك الحق في قتل أبناء الشعب الشيشانى بلا عقاب ، وعليك تحمل المسئولية ومن الضرورى أن نحصل على ضمانات دولية تكفل عدم تكرار عمليات الابادة ضد الشيشان ، وسوف نسعى للإعتراف الدولى بنا ، وهى مهمة مستمرة وصعبة وكل من يتولى السلطة في بلادنا لابد أن يعمل على استقلال الشيشان ومالم يحدث ذلك فإن مواطنينا سوف يتساءلون : لماذا أريقت كل هذه الدماء إذن ؟ فهل تدرك روسيا هذه الحقائق والمشاعر ؟ [٢] "

وقد أكد سائر القادة المرشحين الآخرين في الانتخابات ثقتهم في أصلان مسخادوف ، حتى أن شامل باسيف القائد الثائر ، الذى سأله البعض عما اذا كان أصلان قويا بما يكفى للصمود أمام روسيا ، قال : إنكم لا تعرفون الرجل إنه أكثر صلابة منى ، وسوف تدركون ذلك مع مرور الوقت "

وهذا صحيح والدليل على ذلك أنه عندما واجه الثوار الشيشان شبح الهزيمة ، شن أصلان هجوما مضادا للاستيلاء من جديد على

---

[٢] عن جريدة الوفد ، عدد ١٩٩٧/٢/١٣م .

العاصمة جروزنى ، وتمكن من مباغتة الجنود الروس واستطاع خلال أسبوع استعادة السيطرة على المدينة .

أما الرئيس الشيشانى السابق سليم خان فإنه قرر أن يستأنف نشاطه الأدبى بعد أن تمنى الحظ السعيد لأصلان .

ولذلك فإنه ليس من المتوقع أن يواجه أصلان متاعب من جانب رفاقه في السلاح ومن ناحية أخرى فإن روسيا تعتبر أصلان أفضل رئيس يمثل الشعب الشيشانى في مفاوضات حول العلاقة بين موسكو والشيشان التى لا تزال روسيا تنظر اليها على أنها جزء من روسيا الاتحادية .

وعلى الرغم من ذلك فإن بعض المراقبين يتساءل هل ما حدث في أفغانستان يمكن أن يتكرر في الشيشان ؟ والجواب على ذلك أنه من الواضح أن القادة الشيشان لن يقاتلوا بعضهم بعضا ، صحيح أن هناك فترة بين اتفاقية موسكو المبرمة في أكتوبر ونوفمبر ١٩٩٦م والتى تنص على تأجيل موعد إقرار الوضع النهائى للشيشان حتى سنة ٢٠٠١م ، ومن الممكن أن تقوم هناك بعض الأحداث التى تعكر الجو وخاصة من سلمان رادوييف أحد القادة الذى أعلن رفضه الاعتراف بنتائج الأنتخابات الشيشانية وأعتزامه الإعداد لعمليات عنف جديدة ضد بعض المدن الروسية إلا أن أصلان كان حازما عندما أنذر بأن القوات المسلحة سوف تتخذ إجراءات صارمة لقمع أى أعمال أرهابية .

وعلى كل حال فقد كانت الأنتخابات بمثابة الاعلان الثانى للإستقلال وأصبح على روسيا أن تمد الشيشان بكل أنواع الدعم مثل الكيانات الأخرى المستقلة ذاتيا وهو ما يؤدى الى تقوية العدو السابق وتعارض الكتلة الرئيسية من المواطنين الروس هذا التعاون ، من المؤكد أن عدم التعاون من جانب روسيا مع الشيشان يعادل الاعتراف باستقلالها وفك الحصار عنها وأعتبار مواطنيها رعايا دولة أجنبية غير صديقة . وكلا الأمرين شر لابد منه في نظر الروس .

وخلاصة الأمر أن الروس يعرفون أنهم إذا تخلوا عن الشيشان فإنهم يخاطرون بالتخلى عن القوقاز وأنهم اذا اعترفوا باستقلال الشيشان فإن الجمهوريات القوقازية الأخرى الصغيرة في الشمال من داغستان الى أفخاذيا يحق لها أن تتساءل ولماذا لا نستقل نحن أيضا ؟ (١)

والواقع أن أصلان مسخادوف يواجه مشكلات صعبة تتمثل في الفوضى في كل مجالات الحياة التى أعقبت الحرب مثل أنهيار القانون والنظام والدمار والخراب الأقتصادى وتفشى الجريمة ، والسلاح موجود في كل بيت شيشانى ليس لعشرات الآلاف من العائلات مورد رزق لأن رجالها بلا عمل بعد العودة الى بيوتهم من جبهة القتال ولن تستطيع الدول الاسلامية تقديم كل المساعدات المطلوبة كما أن المستثمرين الأجانب سوف يمتنعون عن وضع أموالهم في منطقة ستظل خطرة لوقت طويل ، مع قلة الموارد الداخلية ولا شك أن مسألة نقل البترول الشيشانى خارج البلاد سواء الى روسيا أو غيرها تعتبر من أهم المسائل التى سيكون لها نتائج في الأقتصاد الشيشانى وهذه المسألة ستتوقف على مرونة كل من قادة روسيا وقادة الشيشان .

روسيا فقدت استقلالها الاقتصادى والسياسى والعسكرى :

صرح فيكتور اليوخين رئيس لجنة الأمن القومى الروسى للأهرام ونشر بتاريخ ١٩٩٧/١/١٤م بأن الانهيار أصاب روسيا بسبب زيادة استهلاكها بنسبة أكبر من انتاجها ، وذكر أن روسيا فقدت استقلالها الاقتصادى والسياسى والعسكرى بسبب الاختراق الأمريكى والصهيونى لنظامها ، فقد عين يلتسين رئيس روسيا الحالى أحد الصهاينة نائبا لسكرتير مجلس الأمن القومى وهو (فلاديمير بيريزوفسكى) وهو مواطن اسرائيلى وذكرت عنه جريدة اسرائيلية بأنه كان مواطن اسرائيليا ، ولذلك فإن البنوك الروسية تحت سيطرة اليهود ، واليهود في روسيا يسيطرون على أهم

---

(١) المرجع السابق .

المناصب ، وهؤلاء لهم ارتباطهم الوثيق بالخارج مع اسرائيل وأمريكا بالذات ، وحسب الأتفاق بين روسيا وأمريكا يتم ترحيل ٢٠ ألف مليون دولار أمريكى كل عام من روسيا الى أمريكا أى ١٠% من الدولارات المهربة الى الخارج ، وإدارة الرئيس يلتسين معبأة بهؤلاء العملاء وبذلك يرى (فيكتور) أن روسيا وقعت في هاوية عميقة ولا يمكن انتشالها اليوم بل يحتاج الأمر الى وقت أوسع للنهوض بها من كبوتها.

ويقول بأن روسيا تتعرض لخسائر فادحة من جراء قطع علاقاتها السابقة مع العالم العربى ، وأن روسيا توحدت مع الغرب في معاقبة العراق وتعرضت بسبب ذلك لخسائر كبرى .

لقد كان (أندريه كوزيريف) وزير خارجية روسيا السابق مع صديقه (جوسينسكى) رئيس بنك موست من قادة المنظمات اليهودية الصهيونية في روسيا ، وكانت مصلحة كوزيريف تخريب علاقات روسيا مع العالم العربى مما أساء الى روسيا وسياستها الخارجية مع العالم العربى والاسلامى .[1]

لكن روسيا تخلصت من (كوزيريف) عد اعادة انتخاب يلتسين ، ومن ثم وقفت مؤخرا (١٩٩٨م) موقفا صلبا مع العراق ضد أمريكا التى كانت تريد ضرب العراق عسكريا .

---

[1] انظر : الحديث الذى أجراه مراسل الأهرام في موسكو الصحفى عبد الملك خليل ، مع فيكتور اليوخين رئيس لجنة الأمن القومى الروسى ونشر بالأهرام في ١٩٩٧/١/١٤م .